

حاشية
البناجوري على البركة

تأليف

شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجوري

على

بردة المصريح

لأبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

رحمهما الله تعالى

وبها مشها : شرح البردة

للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى

رحمه الله آمين

الطبعة الرابعة

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

حاشية
البَاجُورِيُّ عَلَى الْبُرْكَاتِ

تأليف

شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجوري

على

بردة المريد

لأبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

رحمهما الله تعالى

وبها مشها : شرح البردة

للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى

رحمه الله آمين

الطبعة الرابعة

١٣٧٠ - ١٩٥١ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

(ترجمة مؤلف الحاشية)

هو : العالم الفاضل الفريد ، والإمام الكامل الوحيد ، الذي اشتهر صيته في الآفاق ، وشهد بفضلته جميع الناس بالاتفاق ، مولانا :

الشيخ إبراهيم الباجوري ابن الشيخ محمد الجيزاوي

ولد رحمه الله سنة ألف ومائة وثمان وتسعين ببلدة الباجور وهي قرية من قرى مصر المحروسة على مسافة اثنتي عشرة ساعة منها .

نشأ في حجر والده السعيد وقرأ عليه القرآن المجيد ، فلما ترعرع ونما انتقل إلى الجامع الأزهر الأسنى وسنه إذ ذاك أربعة عشر كما جمع منه رحمه الله واشتهر . ثم لما تغلبت الفرنساوية على البلاد المصرية سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرية ارتحل من مصر إلى بر الجيزة وأقام بها مدة وجيزة ولما أخرجت الفرنساوية من تلك البلاد وقرت عيون أهلها بالصلاح بعد الفساد عاد الشيخ إلى الجامع الأزهر المنيف وبذل جهده في تحصيل العلم الشريف ففاق أهل زمانه وسما على أقرانه واستفاد العلوم النافعة وأفاد وكان كمن قال وأجاد :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكبر والإقداما

وكان قد أدرك الأفاضل الأعلام المعروفين بحلالة القدر بين الأنام منهم : الفاضل الجليل الشهير الشيخ محمد الأمير الكبير والعالم العامل مغفور المساوي الشيخ عبد الله الشرفاوي والإمام الحافظ الراوي الشيخ داود القلعاوي ، وغيرهم ممن كان في ذلك العصر الزاهر من ذوى الكمالات والمظاهر إلا أن أكثر تحصيله كان على شيخه ذى المعالي الشيخ محمد الفضالي والخبر الصمام ذى الجذبة الإلهية الشيخ حسن القويسني الشهير بفضائله البهية واستمر على ذلك الحال إلى أن ظهرت عليه أمارات نجاح الآمال فامتلا وطابه من نفائس العلوم وتفجرت أنهار إفادته من تلك النجوم وفاح ندى فضله في كل ناد وطار ذكره في جميع البلاد وألف التأليف العديدة المفيدة وقصدته الطلبة من البلاد القريبة والبعيدة فهو تارة يشنف السامع بدرر الفوائد وتارة يزين سطور الطروس بمحاسن الفرائد وتارة ليفه مشحونة بالتحقيقات السنية ، ومن جملتها : هذه الحاشية البهية .

وقد انتهت إليه رئاسة الجامع الأزهر ومحفل الدين الآثور وتقلدها في شهر شعبان المعظم سنة ألف ومائتين وثلاث وستين من هجرة سيد الأولين والآخرين ، لاغرو وهو ابن مجديتها والقائم بوظائف نجلتها وفي أثناءها قرأ كتاب الفخر الرازي في تفسير القرآن وحضره أفاضل الجامع الأزهر الأعيان لكن لم يقدر له الإتمام فإنه أصابه مرض الحما ولم يزل ملازما له إلى أن توفي رحمه الله يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة ألف ومائتين وست وسبعين فيكون عمره قد ناهز الثمانين وصلى عليه بالأزهر وكان يوما مشهودا لم يكن لغيره من المشايخ مهورا ودفن بالفراقة الكبرى المشهورة بالباجورين رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

وَأَنَّكَ لَمَعَ خُاتَمِ عَظِيمٍ
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله مستحق التحميد والتكبير والتهيل والتسبيح والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الوجه الملبح واللسان الفصيح والقدر الرجيح وعلى آله وأصحابه أولى الاتقياس والتضمين والحل والعقد والتليح فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني خالد بن عبد الله الأزهرى قد سألتني أيها الأخ النجيب أن أضع شرحا لطيفا على بركة المديح للشيخ الإمام شرف الدين محمد البوصيرى رحمه الله تعالى مشتملا على بيان لغاتها وإغراب أياتها وإيضاح معانيها أتم توضيح فأجبتك لما سألت على وفق ما اخترت مقتصرًا على القول الصحيح. قال ناظم هذه القصيدة سبب نظمها إياها أني أصابني خلط فالج عجز عن علاجه كل معالج إذا بطل نصفي وتخريفه وصفي فلما أيست من نفسي وقاربت حلول رمسى تذكرت في ساعة سعيدة أن أصنع قصيدة في مدح خير البرية فصحت العزم والنية وشرعت في امتداح المصطفى ورجوت به البرء والشفاء فأعانتني ربي ويسر عليّ

حمدا لمن شرح بمدح نبية قلوب أوليائه ووشحهم بريدة محاسنه وطيب سنانه وصلاة وسلاما على من خصه بخواص هباته وكله بأكل عناياته .
[أما بعد] فيقول راجي عفو ربه الكريم عبده الباجورى إبراهيم: اعلم أن مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطه غول الشعراء للتقدمين لأن كماله صلى الله عليه وسلم لا تحصى وشماله لا تستقصى فالمداحون لجناحه العلى والواصفون لكمالته الجلى مقصرون عما هنالك قاصرون عن أداء ذلك كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهى العقول ولا يستطاع إليه الوصول فلو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لمجزوا عن ضبط ما حباه مولاه من مواهبه ولقد أحسن من قال :

أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ الثنى عليه وأكثرا
إذا الله أننى بالذى هو أهله عليه فامقدار ما تمدح الورى

فكل علو في حقّه تقصير ولا يبلغ البليغ إلا قليلا من كثير لكن المتأخرون رأوا مدحه بالشمال والكمالات من أعظم القرب والطاعات لأجل التعلق بجناحه الشريف والتبرك بمخدمة قدره النيف فأكثرُوا من مدحه وتغنوا فيه فنونا كثيرة ومن أجلهم الإمام السكامل والممام العالم العامل البليغ الأديب أشعر العلماء وأفصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى ومما صاغه صوغ الذهب الأحمر ونظمه نظم الدر والجوهر قصيدته المشهورة بالبردة وإنما اشتهرت بذلك لأنه لما نظمها بقصد البرء من داء الفالج الذى أصابه فأبطل نصفه حتى أعجز الأطباء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فمسح بيده عليه ولقعه في برده فبرئ لوقته كما ذكره الناظم في تعليقه. وقال بعضهم : الأولى أن يقال لهذه القصيدة برأة لأن المؤلف برئ بها وألقى حقها أن يقال لها بردة بانت سعاد التي هي قصيدة كتب بن زهير لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجازها عليها بردة حين أنشدها بين يديه. وقد سألتني بعض الإخوان أصلح الله ليله الحال والشان أن أكتب عليها حاشية تبين مقصودها وتبرز مرادها فأجبتة لذلك وإن كنت

لست أهلاً لما هنالك فالتقطت بعض العبارات واجتئيت بعض الثمرات قلت وبالله التوفيق لأقوم طريق: قد اشتهر ابتداء هذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو:

الحمد لله منشى الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم

وهو ليس منها لأنه وإن كان ثناء حسناً في ذاته إلا أن ابتداء القصائد به غير مستحسن عند الأدباء لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الأحبة وديارهم ومقاساة الأحزان والأشواق وتحمل مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلاً وتشبيهاً ويعدون هذا الصنيع من حسن المطلع لاهتمامهم بشأن العشق واغتنامهم شدائده ولذلك قال بعضهم الشعر لا يبدأ بالبسملة والمجدة وقد جرت عادة الشعراء بأنهم يجردون من أنفسهم شخصاً يحاورونه دلالة وعتاباً وسؤالاً وجواباً إيهاماً لندرة خير يظهرهم رموز العشق عليه وتخيلة لقلة صديق يضمرون كنوز الحب لديه ولما كان الناظم من أبلغهم وأفصحهم صنع هذا الصنيع كما ستره إن شاء الله تعالى (قوله أمن تذكر الخ) قد جرد المصنف من نفسه شخصاً مزج دمه الجاري من مقلته بالدم وخاطبه بذلك مستفهماً عن سبب مزج الدمع الجاري من القلة بالدم ما هو هل هو تذكر الجيران القيمين بذى سلم أو هبوب الريح من جهة كاظمة وإعاض البرق في الليلة الظلماء من إضم وعلم من ذلك أن الهمة للاستفهام ومن التعديل فهي بمعنى لام الأجل وهي متعلقة بقوله مزجت وقدمها عليه تنبيهاً على أن الشك ليس في نفس المزج إذ هو ثابت مشاهد بل الشك في سببه والتذكر مصدر تذكر مأخوذ من التذكر بالضم وهو ضد النسيان والجيران بكسر الجيم جمع جار وإضافة التذكر إليه من إضافة المصدر لمفعوله بعد حذف الفاعل والأصل تذكرك جيراناً لحذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه والمراد بالجيران المحبوبون لأن من لازم الجوار الذي هو الملاصقة في الأصل المحبوبة فالناظم قد أطلق اسم المألوم وأراد اللزوم على سبيل المجاز المرسل والباء للظرفية فهي بمعنى في والمراد بذى سلم موضع بين مكة والمدينة قريب من قديد وهو محل هنالك أيضاً والمزج الخلط وقيل أخص منه لأنه لا يكون إلا فيما يصير بعد الخلط حقيقة واحدة بخلاف الخلط فإنه لا يخصص بذلك وكفى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء والدمع ماء يصعد إلى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أو حزن ويكون بارداً للسرور وساخناً للحزن فيكون حينئذ كالماء الشديد الحرارة إذا فارق النار القوية لا يبرد إلا بعد حين فإذا عظمت الحرارة قلت الرطوبة فيخرج مع الدمع دم لأنه أقرب من غيره لعمومه الأعضاء وسريانه في سائر العروق فإذا طال البكاء جف الدم فيبيض الدمع ويقال حينئذ شاب الدمع، والجري السيلان بشدة ولذلك عبر الناظم بجري دون سال والمقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وفيها الحدة التي هي السواد الذي في وسط العين وتلك الحدة فيها الناظر ولشدة صفائه كانت العين كالمرآة إذا استقبلها شخص رأى صورته فيها وأفرد الناظم القلة لأن العرب قد يطلقونها ونظائرهما مفردة ويريدون بها المثنى كما قال بعضهم بككت عيني وحق لها بكائها * ويحتمل أنه بنى أمره على الرجاء والخوف فإذا نظر بمقلة الخوف بكى وإذا نظر بمقلة

طلبي فلما ختمتها رأيت في منامى المصطفى التهامي قد أتى إلى * ومر يده الباركة على فموفيت لوقتي وعدت لما كان من نفي انتهى بمعناه فدونك بردة قد غزلت من نعت المصطفى ونسجت على نيري الإخلاص والصفا واشتملت أولاً على براعة المطلع وهي أن تفتح القصيدة بذكر ما يلائم المقصود ثم على أسلوب آخر مشتمل على معنيين أولهما التلهف والأحزان والاعتراف بالمقلة والعصيان وثانيهما التمسك بالموعظة الحسنة والجدال بالبرهان ثم على أسلوب آخر مشتمل على شيئين على المديح والصفات وعلى الآثار والمعجزات ثم على أسلوب آخر مشتمل على شيئين على تصحيح الاعتقاد وتحقيق وظائف المبدأ والمعاد وعلى الدعاء والمناجاة بالابتهاال وإظهار الخوف والرجاء في العاقبة والمآل. ولما أراد ناظمها براعة المطلع جرد من نفسه شخصاً مزج دمه بدمه فسأله عن علة ذلك فقال مخاطباً له:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بَذَى سَلَمٍ
مَزَجْتُ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ نِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

التذكر مصدر تذكر والجيران جمع جار بمعنى مجاور من الجوار وهو القرب في المنزل وذى سلم موضع بين مكة والدينة والرج الحلط والدمع اسم جنس جمع واحد دمة وهو ما يقطر من العين وجرى سال والمقلة شحمة العين التي هي السواد واليباض وهبت الريح هاجت وتلقاء بمعنى حذاء بالذال (٦) المعجمة وكاطمة اسم طريق إلى مكة وأومض لمع وإضم واد دون المدينة

الرجاء سر . قال الشاعر :

ينام باحدى مقتلتيه ويتقى بأخرى النايافهو يقظان نائم

ومن الداخلة على المقلة ابتدائية وهي متعلقة بجرى واعترض بأن هذه الجملة حشو لافائدة فيها لأن الدمع لا يكون إلا كذلك . وأجيب بأنها ليست حشوا بل للاحتراز عما يحتمله الكلام لولا هذه الجملة من أنه مزج الدمع بعد انفصاله من العين بالدم وليس مرادا وفي هذا الجواب نظر لأن هذا الاحتمال قائم مع هذه الجملة والأظهر في الجواب أنها تأكيد والسم أحد الأمشاج الأربعة التي خلق منها الإنسان والباء الداخلة عليه للتعدية بالنظر لقوله مزجت وللصاحبة بالنظر لقوله جرى فقد تنازعه كل منهما والمراد بدم منك كما قدره بعض الشارحين ليخرج ما يحتمله الكلام لولا هذا التقدير من أنه مزج الدمع بعد انفصاله بدم أجنبي والتوين في قوله جيران ودمعا ومقلة ودم إما للتعظيم وإما للتوزيع وفي هذا البيت براعة استهلال لأن فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر فيه المواضع التي بقرب المدينة الشريفة وفيه أيضا الجناس الناقص حيث ذكر فيه الدمع والدم فإنهما مختلفان بزيادة العين وقصائنها (قوله أم هبت الريح الخ) لما كانت الهمزة لا بد لها من معادل أتى المصنف بما يعادلها فقال أم هبت الريح الخ فأتم متصلة وهي حرف عطف يطلب بها وبالهمزة التعيين وجملة هبت الريح في تأويل الفرد أي أم هبوب الريح وكذا جملة أومض البرق أي وإيماض البرق فكل من الفعلين مؤول بمصدر وإن لم يكن هناك سابق لأن وجود السابق أمر أغلبي وإلا فقد لا يوجد كما في قولهم تسمع بالمعدي خير من أن تراه فإن الفعل فيه مؤول بمصدر مع عدم وجود السابق على بعض الأقوال وواو العطف إما على حقيقة كما هو المتبادر فيكون الترديد بين الشيء والشيئين أو بمعنى أو فيكون الترديد بين ثلاثة أشياء على سبيل منع الخلو فان كلا من تذكر الجيران وهبوب الريح من جهة كاطمة وإيماض البرق من إضم سبب للبكا وموجب للافراط فيه ، أما التذكر فلا أنه يحصل به التحسر على ماضى من وصل الأحبة ومؤانستهم ولقد أحسن من قال :

تذكرت أياما لنا ولياليا مضت فحرت من ذكرهن دموع
ألاهل لنا يوما من الدهر أوبة وهل لي إلى أرض الحبيب رجوع

وأما

[الإعراب] أمن الهمزة للاستفهام ومن بكسر الميم حرف تعليل وجر متعلقة بمزجت تذكر مجرور بمن جيران بكسر الجيم مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله بعد حذف فاعله والأصل بتذكرك جيرانا بذى جار ومجرور نعت جيران سلم بفتحتين مضاف إليه مزجت بفتح التاء فاعل وفاعل دمع مفعول به جرى فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على دمع والجملة نعت له من مقلة متعلق بجرى لإفادة التوكيد لأن الدمع لا يجرى من غير المقلة فهو كقوله تعالى يطير بخناحيه أوللتأسيس نظرا إلى الدم للمزج بالدمع بدم متعلق بمزجت أيضا والأصل مزجت دمع بدم أم حرف عطف وهو معادل للهمزة في الاستفهام بهما عن تعيين العلة الحاملة على مزج الدمع بالدم هبت الريح فعل وفاعل في تأويل مفرد معطوف على تذكر من تلقاء بالمد متعلق بهبت كاطمة بالمعجمة مضاف إليها وأومض البرق بالضاد المعجمة فعل ماض وفاعل معطوف على هبت الريح في الظلمات بالمد متعلق بأومض على تقدير موصوف بين الجار والمجرور التقدير في الليلة الظلماء من إضم بكسر الهمزة وفتح المعجمة حال من الظلمات [وحاصل معنى البيتين] أنه أراد بالجيران الأحبة وبذى سلم وكاطمة وإضم أمكنتهم ومزج الدمع بالدم شدة البكا فاستفهم عن علة مزج الدمع بالدم أي تذكر الأحبة الغائبيين أم هبوب الريح ولعمان البرق من ناحيتهم فأدخل الهمزة على أحد المعادلين وأم على الآخر ووسط بينهما ما لا يستل عنه وهو مزج الدمع بالدم فهو كقوله تعالى - أنتم أشد خلقا أم السماء ، لا أن الناظم جعل أحد المعادلين جملة كقوله تعالى - قل إن أدرى أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا -

وأم

فَاَلَيْسَ لَكَ أَنْ قُلْتَ أَكْفَأُ مِمَّا

وَمَا لَكَ أَنْ قُلْتَ اسْتَفَقَ بِهِمْ

أكفا احبسا دمعكا وممنا من المهي وهو الانحدار والسيلان والقلب الفؤاد وهو شكل صنوبري موضعه وسط الصدر وهو منبع الحياة والتحقيق أنه سر لطيف به يحصل الإدراك ويعبر عنه بهذه الجارحة تقريبا للأذهان واستفوق مرادف أفق وبهم مضارع هرام على وجهه إذا لم يدرك أين هو .

[الاعراب] فما الفاء عاطفة وما اسم استفهام في موضع رفع على الابتداء لعينيك بالثنية خبر مبتدأ إن بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط قلت بفتح التاء فصل الشرط في محل جزم أكفا بضم الفاء الأولى وفتح الثانية فعل أمر وفاعل والجملة في موضع نصب بقلت ممنا فصل ماض وفاعل والأصل ممنا قلبت الياء ألفا فصار ممنا حذف الألف لالتقاء الساكنين ومما الألف وتاء التأنيث وتحريكها لأجل الألف عارض والجملة جواب الشرط وما اسم استفهام مبتدأ قلبك خبره إن قلت بفتح التاء شرط استفق مقول قلت بهم جواب الشرط والأصل بهم حذفت الياء لالتقاء الساكنين الياء والميم للجزم وتحريكها بالكسر عارض لحرف الروي

[ومعنى البيت] فيا منكر الحب أي شيء حصل لعينيك حتى إنك إن قلت لهما احبسا الدموع سالت دموعهما وأي شيء حصل لقلبك حتى إنك إن قلت له أفق من غمرة العشق هام فيه أليس كل من سيلان الدمع وهيام القلب من آثار الحب ثم التفت من الخطاب إلى الغيبة فقال :

وأما هبوب الريح من جهة كاظمة فلأن الحب دائما يسكر في محاسن محبوبه فإذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل أنها حملت روائحه إليه وأما إيماض البرق من إضم فلأن من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأعبة لكون البرق مما يذكر صفات المحبوبين للطافته وأيضا الحب يتخيل عند لمعان البرق أنه يرى ديار المحبوب وهبوب الريح هيجانها والريح جسم لطيف شفاف غير مرئي يهب بمقدار مخصوص في وقت مخصوص وإذا أتت مفردة فالغالب أنها للعذاب وإذا أتت مجموعة فالغالب أنها للرحمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لأن ريح العذاب واحدة وهي الدبور وعليها خزنة فتعت عليهم فخرجت من مقدار خاتم فأهلكت عادا ولو خرجت من مقدار أنف ثور لأهلكت الدنيا وأفردها الناظم هنا لأن الحب وإن كان عذبا لكنه مختلط بعذاب وتلقاء بمعنى حذاء وكاظمة اسم موضع كما قاله الجوهري وقال غيره اسم ماء والايماض اللمعان الخفيف وإن أطلقه بعضهم عن التقييد بالخفيف والبرق عند أهل السنة أجنحة ملك يسوق بها السحاب وقيل ضحكه فقد نقل الشافعي في الأم عن الثقة عن مجاهد أن الرعد ملك والبرق أجنحته وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعث الله السحاب فنطقت أحسن النطق وضحكت أحسن الضحك فالرعد نطقها والبرق ضحكها أي لمعان النور من فيها وأما قول بعض الشارحين إنه صوت ملك يزجر السحاب إلى الجهة التي يريد الله تعالى ففيه نظر وأما عند أهل الهيئة فهو نار تحدث عند شدة اصطكاك الهواء بعضه مع بعض ولذلك أكثر ما يكون عند انتقال الزمان من الحرارة إلى البرودة وعكسه والظلماء صفة لموصوف محذوف والتقدير في الليلة الظلماء أي ذات الظلمة وإنما خص الليلة الظلماء بالذكر لأن الضوء في الظلمة أجلى وقد اختلف في الظلمة قليل أمر وجودي يضاد النور قائم بالهواء وقيل أمر عديم وإضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة اسم جبل وقيل اسم لواد بقرب المدينة الشريفة . وفائدة هذين البيتين أنهما يكتبان في جام أي قراز ويمحيان بيماء المطر ويسقى المحو للهيئة التي صعب تعليمها وتذليلها فإذا شربت ذلك ذلت وانقادت وتعلت بسرعة وإذا كان عندك عبد أعجمي وعسر عليك تعليمه كلام العرب فاكتب هذين البيتين فارق غزال ثم علقه على عضده الأيمن فإنه يتكلم بالعربية في أسرع وقت (قوله فما لعينيك الخ) لما سأل الناظم عما ذكر ولم يرد عليه المستول جوابا لأن من شأن المحبين أن يكتموا الحب في أول الأمر بل جرت عادتهم بإنكاره بالمرءة نزل الناظم المستول منزلة السكر وتجب من حاله على فرض صدقه في الإنكار فقال فما لعينيك الخ أي إذا صدقت في إنكارك الحب فأى شيء ثبت لعينيك أوجب لهما أنك إن قلت لهما أكفا ممنا وأي شيء ثبت لقلبك أوجب له أنك إن قلت له استفق بهم فالقاء للافصاح وجعلها بعضهم للعطف لكن الأول أظهر وما في الموضعين اسم استفهام مبتدأ خبره الجار والجرور بعده وجملة قوله أكفا في محل نصب مقول القول وكذلك جملة قوله استفق ومعنى أكفا أمسا عن البكا وممنا بمعنى سالتا مأخوذ من الهيمان وهو السيلان فأصله ممنا قلبت ياؤه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذف الألف لالتقاء ساكنة مع التاء التي أصلها السكون وإن

أَيْحَسِبُ الصَّبُّ أَنْ الْحَبَّ مِنْكُمْ مَا يَنْ مَنَسَجِمٍ مِنْهُ وَمَضْطَرِمٍ

يَحْسِبُ يَظُنُّ وَالصَّبُّ الْعَاشِقُ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَدَّ بِهِ الْعَشَقُ بَكَى فَيَنْصَبُ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَالْحَبُّ الْحُبَّةُ وَمَنْسَجِمٌ مُسْتَوٍ وَمَضْطَرِمٌ هَاطِلٌ مُنْحَدِرٌ وَمَضْطَرِمٌ مُلْتَهَبٌ مُشْتَغَلٌ [الاعراب] أَيْحَسِبُ الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ التَّوْبِيخِي وَيَحْسِبُ مُضَارِعٌ حَسْبُ التَّعْدِي لِاتِّبَاعِ الصَّبِّ فَاعِلُهُ أَنْ يَفْتَحَ الْهَمْزَةُ وَتَشْدِيدُ النُّونِ حَرْفٌ (٨) تَوْكِيدٌ يَنْصَبُ الْاسْمُ وَيَرْفَعُ الْحَرْفُ الْحَبُّ بَضْمُ الْمَهْمَلَةِ اسْمُهُامَنْكُمْ خَبَرُهَا

وَأَنْ وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ سَادٍ مَسْدٌ مَفْعُولٌ يَحْسِبُ مَا زَائِدَةٌ بَيْنَ مَنْصُوبٍ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ السَّكَانِيَّةِ مَنْسَجِمٌ مُضَافٌ إِلَيْهِ عَلَى تَقْدِيرِ مَوْصُوفٍ بَيْنَ التَّضَايِفِينَ مِنْهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْسَجِمٍ وَالْمَاءُ ضَمِيرُ الصَّبِّ وَمَضْطَرِمٌ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ وَالطَّاءُ الْمَهْمَلَةُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَنْسَجِمٍ عَلَى تَقْدِيرِ مَوْصُوفٍ بَيْنَ الْعَاطِفِ وَالْمَعْطُوفِ

[وَمَعْنَى الْبَيْتِ] أَيْظُنُّ الْعَاشِقُ انْكِتَامَ الْحُبَّةِ عَنِ النَّاسِ وَهُوَ مَا بَيْنَ دَمْعٍ هَاطِلٍ وَقَلْبٍ مُلْتَهَبٍ ثُمَّ التَّفْتُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ فَقَالَ :

لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تَرُقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ
الهُوَى بِالْقَصْرِ مَصْدَرُ هَوَى بِالْكَسْرِ إِذَا أَحَبَّ وَتَرَقَّ تَصَبَّ وَالدَّمْعُ مَا يَسِيلُ مِنَ الْعَيْنِ وَالطَّلَلُ مَا شَخَصَ مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ أَيْ ارْتَفَعَ وَأَرَقْتَ سَهَرْتَ وَالْبَانَ شَجَرَ الْخَلَّافِ بِالْتَخْفِيفِ وَاحِدَهُ بَانَةٌ وَالْعَلَمُ اسْمُ جَبَلٍ وَالْمُرَادُ بِهِمَا هَهُنَا مَوْضِعَانِ بِالْحِجَازِ

[الاعراب] لَوْلَا حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الشَّيْءِ لَوْجُودِ غُسَيْرِهِ الْهُوَى بِالْقَصْرِ مَبْتَدَأٌ حَذَفَ خَبَرُهُ وَجُوبًا لَسَدَ جَوَابُ لَوْلَا مَسْدُهُ لَكُونُهُ كَوْنًا مُطْلَقًا وَالتَّقْدِيرُ لَوْلَا الْهُوَى مَوْجُودٌ لَمْ تَرُقْ بَضْمُ التَّاءِ التَّوْقِيَّةُ وَكَسْرُ الرَّاءِ جَازِمٌ وَجُزُومٌ دَمْعًا مَفْعُولٌ بِهِ عَلَى طَلَلٍ بَطَاءُ مَهْمَلَةٌ وَلَامٌ

عَرَضَ تَحْرِكُهَا لِلْمُنَاسِبَةِ الْأَلْفَ وَفِي كَلَامِهِ حَذَفَ التَّمْيِيزَ الْحَوْلَ عَنِ الْفَاعِلِ أَيْ هُمَا دَمْعًا وَالْأَصْلُ هُمَا دَمْعُهُمَا فُحُولُ الْإِسْنَادِ عَنِ الدَّمْعِ إِلَيْهَا وَأَتَى بِهِ تَمْيِيزًا لَكِنْ حَذَفَهُ النَّازِمُ وَالْقَابُ لَحْمٌ صَوْبُورِي الشَّكْلِ أَيْ شَكْلُهُ عَلَى شَكْلِ الصَّنُوبُرِ لِأَنَّهُ دَقِيقُ الْأَسْفَلِ غَلِيظُ الْأَعْلَى كَهَيْئَةِ قَمْعِ السَّكْرِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْقَلْبُ سِرٌّ وَضَعَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ اللَّحْمَةِ فَتَسْمِيَّتُهَا قَلْبًا لِحَوْلِهِ فِيهَا وَالسَّيْنُ وَالتَّاءُ فِي اسْتَفْقَ زَائِدَتَانِ فَعْنَاهُ أَفْقٌ مِمَّا أَتَتْ فِيهِ وَقَوْلُهُ يَهْمُ مُضَارِعٌ هَامٌ يَهْمُ إِذَا قَامَ بِهِ الْهَيَامُ وَهُوَ دَاءٌ كَالْجُنُونِ يَنْشَأُ مِنَ الْعَشَقِ وَغَيْرِهِ وَفِي هَذَا الْبَيْتِ الطَّبَاقُ لِأَنَّهُ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ مُتَقَابِلَيْنِ فِي كُلِّ مِنَ الشَّطْرَيْنِ أَمَّا الشَّطْرُ الْأَوَّلُ فَجَمَعَ فِيهِ بَيْنَ قَوْلِهِ أَكْفَفَا وَقَوْلِهِ هُمَا وَأَمَّا الشَّطْرُ الثَّانِي فَجَمَعَ فِيهِ بَيْنَ قَوْلِهِ اسْتَفْقَ وَقَوْلِهِ يَهْمُ (قَوْلُهُ أَيْحَسِبُ الصَّبُّ الْحَ) لِمَا سَأَلَ الْمَصْنِفُ الْخُطَابَ السُّؤَالَ الْمُسَكَّتَ وَأَلْزَمَهُ الْإِثْرَ الْمُبْهَتَ رَجَعَ إِلَى تَغْلِيظِهِ فِي الْإِنْكَارِ فَقَالَ أَيْحَسِبُ الصَّبُّ الْحَ وَالْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي وَيَحْسِبُ بِكَسْرِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا أَيْ يَظُنُّ وَكَانَ مَقْتَضَى مَا سَبَقَ أَنْ يَعْبُرَ الْمَصْنِفُ بِتَاءِ الْخُطَابِ لَكِنَّهُ التَّفْتُ إِلَى الْغَيْبَةِ لِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْأَدْبَاءِ مِنْ تَغْيِيرِ كَلَامِهِمْ مِنْ أَسْلُوبٍ إِلَى أَسْلُوبٍ آخَرَ تَكَلُّمًا وَخَطَابًا وَغَيْبَةً تَنْشِيطًا لِلْسَّامِعِ وَالصَّبُّ الْعَاشِقُ مِنْ قَوْلِهِمْ صَبَّ الْمَاءُ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ كَثِيرَ الْبَكَاءِ فَكَأَنَّهُ يَصُبُّ الدَّمْعَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مِنَ الصَّبَابَةِ وَهِيَ رِقَّةُ الْعَشَقِ وَحَرَارَتُهُ وَجَمَلُهُ أَنْ وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا سَدَتْ مَسْدٌ مَفْعُولٌ يَحْسِبُ وَالْحَبُّ عَرَفَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ صَفَاءُ الْحَالِ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحُبُوبِ وَقَوْلُهُ مِنْكُمْ أَيْ مُسْتَرٌّ وَمَا اسْمُ مَوْصُولٍ بِمَعْنَى الَّذِي فِي مَحَلِّ نَصَبٍ عَلَى أَنَّهُ بَدَلَ مِنَ الْحُبِّ أَوْ صِفَةً لَهُ وَصَدَرَ الصَّلَاةُ مَحْذُوفٌ أَيْ الْحُبُّ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الْحَ كَذَا قَالَ بَعْضُ الشَّارِحِينَ وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ جَعْلِ بَعْضُهُمْ مَا زَائِدَةً وَجَمَلَهُ بَيْنَ ظَرَفَا لِقَوْلِهِ مِنْكُمْ وَكُلٌّ مِنْ مَنْسَجِمٍ وَمَضْطَرِمٍ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ وَالتَّقْدِيرُ بَيْنَ دَمْعٍ مَنْسَجِمٍ مِنْهُ وَقَلْبٍ مَضْطَرِمٍ وَالْمَنْسَجِمُ السَّائِلُ مِنْ قَوْلِهِمْ انْجَسِمَ الْمَاءُ سَالَ وَالْمَضْطَرِمُ الْمُسْتَعْلَقُ مِنْ قَوْلِهِمْ اضْطَرَمَّتِ النَّارُ اشْتَعَلَتْ وَالْمَعْنَى لَا يَظُنُّ الْعَاشِقُ أَنَّ الْحُبَّ مُسْتَرٌّ عَنِ النَّاسِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ دَمْعٍ سَائِلٍ وَقَلْبٍ مُسْتَعْلَقٍ مِنَ نَارِ الْحُبِّ وَكُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ آثَارِ الْحُبِّ مَعَ كَوْنِهِمَا ظَاهِرَيْنِ وَحِينَئِذٍ فَانْكَارُ الْحُبِّ غَلَطٌ (قَوْلُهُ لَوْلَا الْهُوَى الْحَ) لَمَّا غَلَطَ الْمَصْنِفُ الْمُسْتَوَّلُ فِي إِنْكَارِهِ الْحُبَّ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِأَدَلَّةٍ فَقَالَ لَوْلَا الْهُوَى الْحَ وَالْهُوَى مَصْدَرُ هَوَى بِكَسْرِ الْوَاوِ إِذَا أَحَبَّ فَهُوَ بِمَعْنَى الْحُبِّ وَهُوَ مَبْتَدَأٌ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَيْ مَوْجُودٌ وَلَوْلَا حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الْجَوَابِ لَوْجُودِ الشَّرْطِ فَالْمَعْنَى امْتِنَاعُ عَدَمِ إِرَاقَتِكَ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ لَوْجُودِ الْهُوَى وَقَوْلُهُ لَمْ تَرُقْ دَمْعًا أَيْ لَمْ تَصْبِهِ يَقَالُ أَرَاقِي الْمَاءِ أَيْ صَبُّهُ وَيَقَالُ هَرَاقِي أَيْضًا بِمَعْنَاهُ وَكَانَ مَقْتَضَى قَوْلِهِ أَيْحَسِبُ الْحَ أَنْ يَقُولَ لَمْ يَرُقْ بَيَاءُ الْغَيْبَةِ لَكِنَّهُ التَّفْتُ إِلَى الْخُطَابِ لَمَّا تَقَدَّمَ وَالطَّلَلُ مَا بَقِيَ مِنْ آثَارِ الدَّارِ مَرْتَفَعًا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ

مَرْتَفَعًا
مَفْتُوحَتَيْنِ مُتَعَلِّقَتَيْنِ بِتَرَقٍّ وَجَمَلُهُ لَمْ تَرُقْ وَمَعْمُولُهَا جَوَابُ لَوْلَا لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ لِأَنَّهَا جَوَابُ شَرْطٍ غَيْرِ جَازِمٍ وَلَا أَرَقْتَ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحُ التَّاءِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جَوَابِ لَوْلَا وَلَا زَائِدَةٌ لَنَا كَيْدُ النَّبِيِّ لَكَ مَتَعَلِّقٌ بِأَرَقْتَ الْبَانَ مُضَافٌ إِلَيْهِ وَالْعَلَمُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَاللَّامُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْبَانَ [وَمَعْنَى الْبَيْتِ] لَوْلَا مَحَبَّتُكَ وَهُوَ الْكَلَامُ بِكَيْتٍ عَلَى آثَارِ دِيَارِ الْأَحْيَابِ وَمَا ذَهَبَ نَوْمُكَ بِذِكْرِ أَشْجَارِ الْبُؤَادَى وَجِبَالِ الْمَنَازِلِ وَفِي الْبَيْتِ مِنَ الْبَدِيعِ الْجَنَاسِ الشَّيْبَةُ بِالشَّيْءِ بِأَشَقِّ فِي قَوْلِهِ لَمْ تَرُقْ وَأَرَقْتَ

مرتفعاً بأن كان ملتصقاً بالأرض كان رسماً وعلى الداخلة عليه للتعليل أى لأجل طلل
هذا إن لم يقدر وقوفه على الطلل كما هو للتبادر وإلا كانت بمعنى في وقوله ولا
أرقت الخ عطف على قوله لم ترق الخ وأرقت بكسر الراء بمعنى سهرت ببلان شجر
طيب الريح ويتخذ منه دهن يعرف بدهن البان والعلم يطلق على معان منها الجبل
والرمح أى ولا سهرت لذكر البان والعلم السكائين بمحل المحبوب وعلى هذا فالبان
والعلم باقيا على معناها ويحتمل أنه شبه المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة
وطول القامة وإنما أوردته ذكرهما السهر لأن النوم إنما يكون من الرطوبة الصاعدة
من المعدة إلى الدماغ والمحب تنكسر حرارته فتنتفي عنه الرطوبة وحينئذ فلا ينام
وتلك الرطوبة تنشأ غالباً عن كثرة الطعام والشراب والمحب يلهيه حبه عن أكله
وشرابه فتنتفي رطوبته وتتضاعف حرارته لاسيما عند ذكر معاهد الأحباب أو ما هو
شبهه بالأحباب وفي هذا البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين رقى وأرقت (قوله ولا
أعارتك الخ (١)) لما ذكر المصنف دليلين أردفهما بدليل ثالث على ما في بعض
النسخ الذى شرح عليها بعض الشارحين لكن لم يوجد ذلك في كثير من النسخ وهو
معطوف على قوله لم ترق الخ ومعنى أعارتك أعطتك على سبيل العارية وقوله لوني عبرة
وضنا معمول لأعارتك وفاعله ذكرى الخ والمراد باللونين هنا النوعان والعبرة بفتح
العين الدموع والضنا للرض فانسجام الدموع على النحر بمثابة الدر المعلق عليه وذلك
لون العبرة ورقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنا
وفي الكلام استعارة بالسكنية وتخيل لأنه شبه لوني العبرة والضنا بلباسين بجامع
الزينة في كل أما في المشبه به فظاهر وأما في المشبه فلا أن آثار الحب زينة عند المحب
فيتزين بها كما يزين باللباس تشبيها مضمراً في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه
بشيء من ملايماته وهو الإعارة وقوله ذكرى الحيام وذكرى الحيام أى تذكر
الحيام وتذكرى ما كفى الحميم فالله ذكرى فيهما بمعنى التذكر وكل من الحيام والحييم جمع
خيمة وهى بيت تتخله العرب من عيذان الشجر وحذفت النون من ساكنين للإضافة
ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله فكيف تنكر الخ) لما أقام المصنف على
المستول الأدلة على حبه مع صحة نتيجتها أنكر عليه دوامه بعد ذلك على الإنكار فقال
فكيف تنكر الخ والقاء للانصاح لأنها أفصح عن شرط محذوف والتقدير إذا
قامت عليك الأدلة فكيف تنكر الخ وكيف حال مقدمة مضمنة معنى الاستفهام
على وجه الإنكار ومعنى تنكر تجحد والجحد هو النفي بعد العلم بخلافه قبله وقوله
حبا معمول لتنكر وبعد ظرف له وما يحتمل أن تكون مصدرية وهو الظاهر فالفعل
بعدها وهو شهدت مؤول بمصدر والضمير في به عائد على الحب والتقدير على هذا
بعد شهادة عدول الدمع والسقم به عليك ويحتمل أن تكون اسم موصول بمعنى
الذى وجلة شهدت صلة والضمير في به عائد على ما والتقدير على هذا بعد الذى شهدت
به عليك الخ وفى شهدت استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة
بجامع الوضوح في كل واستعار الشهادة للدلالة واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة
شهدت بمعنى دلت ولفظ العدول ترشيح للاستعارة والعدول جمع عدل والدمع هو

كما في قوله تعالى قال إني لعملكم من القالين.

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ

بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

(١) قول الحشى قوله ولا أعارتك الخ

هذا بيت لم يكتب عليه الشيخ خالده

وهو

ولا أعارتك لوني عبرة وضنا

ذكرى الحيام وذكرى ما كفى الحميم

وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ خَطِيءَ عَصْبَةٍ وَضَعِي مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْقَسَمِ

الانكار ضد الاعتراف والحب ضد الغضب وشهدت أخبرت والعدول جمع عدل بمعنى عادل والمراد بالجمع هنا الاثنان بدليل ما بعده إلا أن يريد بالدمع الدموع وبالسقم الأسقام فيكون الجمع على بابه والسقم إطالة المرض والوجد الحزن وخطي تثنية خط والعبرة البكا والضنا الضعف والحزال والبهار ورد أصفر طيب الرائحة والغم ورد أحمر [الاعراب] فكيف استفهام ومعناه هنا التعجب متعلق بتنكر بضم التاء الفوقية فعل مضارع وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنت حبا بضم الحاء مفعول به بعد منصوب بتنكر ماموصول حر في شهدت فعل ماض وتاء تأنيث به عليك متعلقان بشهدت عدول فاعل شهدت الدمع مضاف إليه والسقم بفتحتين معطوف على الدمع وجملة شهدت (١٠) وما بعدها صلة ما وما وصلتها في تأويل مصدر مجرور باضافة بعد

إليها والتقدير بعد شهادة عدول الدمع والسقم وأثبت فعل ماض معطوف على شهدت الوجد فاعل أثبت خطي بفتح الحاء المعجمة والطاء المهملة وسكون الياء مفعول أثبت وحذفت النون للاضافة عبرة بفتح العين المهملة وسكون الياء الموحدة مضاف إليها وضنا بالمعجمة والقصر معطوف على خطي مثل بالنصب نمت خطي وضنا البهار بفتح الموحدة مضاف إليه على خديك في موضع الحال من خطي وضنا والغم بفتح العين المهملة والنون معطوف على البهار [ومعنى البيتين] كيف تنكر أيها المخاطب المحبة بعد ما شهد بها عليك عدول من الدموع الماطلة والأسقام المتنوعة وبعد ما أثبت الوجد أمرين كائنين على خديك أحدهما صفرة الحدود والوجنات الناشئة عن الضنا وثانيهما حمرة قطرات العبرات الناشئة عن البكا وقد حكم قاضي الهوى بموجب ذلك وفيه لف ونشر مشوش فإنه شبه خطي العبرة بالغم في الحمرة وشبه الضنا بالبهار في الصفرة ولما أثبت كون

الماء الجاري من العين والسقم بفتحتين المرض ويقال فيه سقم بضم فسكون لكن في غير النظم كما قاله شيخ الإسلام وإضافة عدول للدمع والسقم لليان أو من إضافة الصفة للموصوف واستعمال الجمع في الاثنتين كما هنا كثير شائع. واعترض هذا الجمع بأن العدل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع. وأجيب بأن محل قولهم إن المصدر لا يثنى ولا يجمع إذا اعتبرت مصدرية وهنا قد اعتبر ما نقل إليه وإنما ذكر كونهم عدولا للإشارة إلى أنه لا يمكن المخاطب رد شهادتهم (قوله وأثبت الوجد الخ) أي وبعد ما أثبت الوجد الخ فهو معطوف على شهدت والوجد هو الحزن بسبب الحب وقيل نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب وإسناد الاثبات إلى الوجد مجاز عقلي من قبيل الإسناد إلى السبب كما في قولك سرتني رؤيتك وقوله خطي عبرة بفتح العين كما تقدم أي خطين من الدموع وقوله وضنا عطف على خطي عبرة لكن على تقدير مضاف أي وأثر ضنا وقوله مثل البهار الخ صفة لكل من خطي العبرة ومن الضنا لكن على اللف والنشر المشوش لأن البهار بفتح الباء الموحدة ورد أصفر وأثر الضنا صفرة الوجه فأثر الضنا مثل البهار في الصفرة والغم بفتح العين والنون شجر له أغصان حمرة وقيل ورد أحمر والخططان من العبرة أحمران لامتزاج الدمع بالدم فالخططان من العبرة مثل الغم في الحمرة وقوله على خديك متعلق بأثبت فتقدير البيت وأثبت الوجد على خديك خطي عبرة مثل الغم وأثر ضنا مثل البهار والمعنى وكيف تنكر حبا بعد ما أثبت الوجد على خديك علامتين ظاهرتين على الحب فكل من رآك يعرف الحب في وجهك. وفائدة الأبيات الخمسة التي أولها فما لعينيك أن الرجل إذا اتهم زوجته أوبته أو عيلته كتب هذه الأبيات في ورقة من ورق الأترج ووضعها على يد التهموم اليسرى وهونائم ويحمل أذنه على فمه فإنه ينطق بجميع ماضيه في غيبته خيرا أو شرا وكذلك إذا سرق له شيء واتهم أحدا أو شك في أحد فليكتب هذه الأبيات في جلد ضفدع مدبوغ ويأخذ لسان الضفدع ويصره في الجلد المذكور ويعلق ذلك الجلد في في عنق التهموم فإنه يقر في ساعته لدهشته (قوله نعم سرى الخ) لما اتضح حال اللستول

مما

المخاطب محبا وكان هو المخاطب في المعنى رجع عن التجريد واعترف بالحب فقال :

نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى مَا رَقْنِي وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

نعم حرف تصديق في الخبر وسرى سار ليلا والطياف الخيال في النوم والهوى المحبة والعشق وأرقني أسهرني والحب المحبة ويعترض يحول بينه وبين مراده واللذات بالمعجمة جمع لذة وهي ما يبتغى به والألم الوجع [الاعراب] نعم حرف جواب سرى فعل ماض طيف بفتح المهملة وسكون الياء التحتية فاعل سرى من بفتح اليم اسم موصول في موضع جربا لاضافة أهوى فعل مضارع مسند إلى التكلم والجملة صلة من وعاندها محذوف أي أهواه فأرقني معطوف على سرى وفاعله مستتر فيه يعود على طيف والحب بضم الحاء المهملة مبتدأ يعترض بفتح التحتية وكسر الراء وبإضاد المعجمة فعل مضارع وفاعله مستتر فيه جوازا يعود على الحب اللذات

مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل الى الانكار أقر واعترف بذلك حيث قال نعم
الح هكذا قال بعض الشارحين وعليه فالناظم لم يرجع من التجريد الى التسلّم وقال
بعضهم لما انكشف كون المسؤل محبا وكان هو التسلّم في المعنى رجع من التجريد
الى التسلّم واعترف بالحب حيث قال نعم الح والأول أقرب ونعم حرف إيجاب لما سبق
فكانه قال صدقت أيها السائل فيما نسبتني إليه من الحب وأن سبب مزج الدمع
الجاري من القلة بالدم تذكر المحبوبين كما هو الشق الأول من السؤال السابق فقال
له السائل وما سبب تذكرك لهم فقال سري الح وصلة سري محذوفة والتقدير سري
الى أي سار الى ليلا لأن السري هو السير ليلا وقوله طيف من أهوى أي خيال من
أحب فالطيف خيال المحبوب وأهوى مضارع هوى بكسر الواو بمعنى أحب بخلاف
هوى بفتح الواو فإنه بمعنى سقط وسبب ذلك الخيال أن النفس إذا ولت بشيء حصلت
صورته في القوة الخيلة فتري خياله في المنام كثيرا وقوله فأرقتني أي أسهرني لأنه لما
تذكر الحب ثارت عليه الحرارة وانتفت عنه الرطوبة فارتفع عنه النوم كما تقدم وقوله
والحب يعترض اللذات بالألم أي يدفعها بالألم يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به فالألم هنا
بمنزلة السهم واللذات بمنزلة الشخص المرمى ويحتمل أن المراد أن الحب يجعل الألم
عرضة في اللذات فيصير الألم كالخشبة المعترضة في النهر ويحتمل أيضا أن المعنى أن الحب
يغيب اللذات بالألم فإنه يقال عرض الشيء إذا غيبه والمراد باللذات ما كان فيه من
النوم والتسلي عن المحبوبين وبالألم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد . وحاصل المعنى
أنه صدقه فيما نسب إليه من الحب بقوله نعم ثم ذكر له سبب تذكره للمحبوبين بقوله
سري طيف من أهوى وذكر أنه أسهره بقوله فأرقتني وذكر أنه بعد أن كان في لذة
صار في ألم ولذلك قال : والحب يعترض اللذات بالألم . ولبعضهم في هذا المعنى :

وزارني طيف من أهوى على حذر من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحا وكاد يهتك سراي الحب بي شغفا

[وفائدة هذا البيت] أن من كرره بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم فإنه يرى
المصطفى صلى الله عليه وسلم في منامه إن شاء الله تعالى (قوله بالأنمي الح) لما أقر
المسؤل بالحب لآله السائل فيه فرجع للمسؤل على السائل يوبخه في لومه عليه فيه فقال
بالأنمي الح وهذا كما ترى مبنى على بقاء التجريد وأما على أن الناظم رجع عن التجريد
الى التسلّم فيكون المصنف قد استشهد لآلئها عليه لأن الحب إذا أقرب بالحب لآله عليه غيره
فوبخه المصنف على لومه عليه وقوله في الهوى العذري بالدال المعجمة أي الهوى المنسوب
الى بنى عذرة بضم العين وهم قبيلة مشهورة باليمن يؤدي بهم العشق الى الموت لصدقهم
في الحب ورقة قلوبهم والمقصود من النسبة التشبيه المراد أن هواه مشبه لهوى بنى
عذرة وقيل الهوى العذري هو الحب الذي من شأنه أن يقبل عذر صاحبه عند كل
أحد لكونه مفرطا وقوله معذرة أي أعذر معذرة أو أقدم معذرة فهو بالنصب على
أنه مفعول لفعل محذوف ويصح قراءته بالرفع على أنه مبتدأ خبره قوله مني اليك أي
صادرة مني اليك أو على أنه خبر مبتدؤه محذوف والتقدير هذه معذرة ومكون
الاشارة راجعة لقوله سابقا سري طيف الح فالمعذرة على هذا خصوص ذلك بخلافه

مفعول به بالألم متعلق بيعترض

[ومعنى البيت] صدقت ولكن لشدة

كلني بمحبوبى لما رأيت خياله في النوم
انتهت فرقا فجاءني الأرق وهذا شأن
الحب يحول بين المحب ولذاته بالألم من
جهة ما ينشأ عنه من عدم الوصل من
المحبوب ثم اعتذر فقال :

يَا لَأَنَّمِي فِي الْهُوَى الْعُذْرِي مَعْدِرَةً

مَنِي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَمْتَ لَمْ تَلِمِ

عَدَّتْكَ حَالِي لَا مِرِّي بِمُسْتَرٍ عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمٍ

اللاثم العاذل والعذرى نسبة الى بنى عذرة بالذال المعجمة قليلة قد اشتهرت رجالهم بوفور العشق ونساؤهم بفرط العفاف ومعذرة مصدر عذرتة إذا صفت عنه ومحوت إساءته (١٢) والمعذرة أيضا ما يدفع به الإنسان عن نفسه مما عيب عليه فعلة

على ما قبله فانه يحتمل أن تكون هي ذلك وأن تكون قوله الآتي لاسرى بمستر عن الوشاة ولادائي بمنحسم وأن تكون معذرة معروفة في الخارج وهي أن يقول الحب للعاذل إني محب والحب لا يلام سبها من كان جبه عذريا وقوله ولو أنصفت لم تلم أي لأن الحب ليس اختياريا حتى يلام عليه بل هو قهري ولا يلام إلا على الأمر الاختياري كما قال القائل : وعيب الفتى فيما أتى باختياره ولا عيب فيما كان خلقا مكرها

لكن كون الحب ليس اختياريا بل قهري بعد تحككه وإلا فببدؤه اختيارى أو لأن اللوم على الهوى لا يكون إلا بمن ذاقه والمخاطب لم يذقه ولذلك قال بعض الصوفية لا ينبغي للشخص أن يتكلم على حاله إلا إذا ذاقها وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض بقوله : دمع عنك تضيئى وذوق طعم الهوى وإذا عشقت فبعد ذلك عذف

[فائدة هذا البيت وما بعده] أنك إذا رأيت منكرا ولم تقدر على إزالته فاكتبها في ورقة برعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة دائرة ثم اجعلها بين عينيك تحت إمامة فتقوى على إزالته باذن الله تعالى وإذا أردت أن تقهر نفسك على إقامة شعائر الدين وتواظب على قراءتهما خلف كل صلاة (قوله عدتكم حالى الخ) لما أبدى له المعذرة في الهوى ووجهه في اللوم عليه فلم يرجع عن اللوم استعطفه بالدعاء له فقال عدتكم حالى الخ أى جاوزتكم حالى كما يقول الشخص لغيره لا أراك الله حالى وعلى هذا فالجملته دعائية ويحتمل أنها استفهامية بتقدير همزة الاستفهام وعليه فالمعنى أجازوتكم حالى فلم تعذرونى ويحتمل أيضا أنها خبرية وعليه فالمراد الإخبار بأنه جاوزته حاله ولم يصب بمصيبته حتى يعلم قدر ما هو فيه ولا يلومه ولو أصيب لعلم قدر ما هو فيه ولم يلمه . هذا كله ان قسر عدتكم بمعنى جاوزتكم كما تقرر فإن قسر بمعنى تعدت اليك أى وصلت اليك كما قاله بعض الشارحين كان القصد الدعاء عليه لاله أو الاستفهام عن ذلك بتقدير همزة الاستفهام والمعنى عليه أ وصلت اليك حالى حتى تلومنى وقوله لاسرى بمستر عن الوشاة مستأنف استئنافا بيانيا لأنه واقع في جواب سؤال مقدر فكان اللاثم قال له وما حالك التى استعظمتها فأجابه بذلك والسر ما يكتمه الشخص عن غيره والوشاة جمع واش وهو الذى ينشئ الحديث بين المحب والمحبوب أى يزيه ويزخرقه لأجل الفساد بينهما ومن العلوم أن الوشاة أعداؤه فاطلاعهن على سره يسيئه وقوله ولادائي بمنحسم أى ولادائي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته كما هو شأن الحب فإنه إذا اشتد عليه الحال وواصله المحبوب وآنسه انقطع داؤه لكن هذا أمر أغلب وإلا فهناك من يزيد عليه الحال بوصل المحبوب ومؤانسته (قوله محضتى النصح الخ) لئلا يقدم معه الاستعفاف فلم يرجع عن اللوم اعترف له بأنه أخلص له في النصح من باب التسليم الجدى ليستريح منه فقال محضتى النصح الخ أى أخلصتلى

وأنصفت أى عذبت بالذال المعجمة عدتكم أى واللوم العذل بالذال المعجمة عدتكم أى بلغتكم وجاوزتكم حالى أى أمرى والسر الشيء المكتوم والوشاة جمع واش وهو الكذاب والداء المرض والمنحسم المنقطع [الاعراب] يحرف نداء لاثمى منادى مضاف الى ياء التكم منسوب بفتحة مقدرة على الهم فى الهوى متعلق بلائمى العذرى بالذال المعجمة نعت الهوى معذرة بالنصب بفعل محذوف تقديره أعتذر إن كان المراد بها المصدر أو أقول إن كان المراد بها الكلام الذى يعتذر به فهى فى معنى الجملة منى اليك متعلقان بمعذرة ولوحرف شرط أنصفت بفتح التاء فعمل الشرط لم تلم بفتح التاء الفوقية وضم اللام جواب الشرط عدتكم فعل ومفعول مقدم حالى بالمهملة فاعل مؤخر لا حرف تنى سرى بكسر السين المهملة اسم لا العاملة عمل ليس مضاف لياء التكم بمستر خبرها فى موضع نصب عن الوشاة بضم الواو متعلق بمستر ولا نافية دأى اسمها بمنحسم بمهملتين خبرها.

[ومعنى البيتين] يا من تلومنى ويعذلى فى عجة منسوبة الى قوم من بنى عذرة ولو كان لك إنصاف لم يكن منك ملامة فقد بلغتكم حالى وتحققت لوعتى وغرامى فليس سرى مكتوما عن الواشين ولا مرضى مقطوعا وفى البيت الأول من البديع رد المعجز على الصدر فى قوله لاثمى ولم فيه أيضا الجساس الشبيه بالمشفق فى قوله العذرى معذرة ، ثم اعترف بالنصح فقال :

النصح

مَحْضَتْنِي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَتَمُّهُ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْمُدَّالِ فِي صَمَمٍ

المحض الخالص والنصح ضد الفس والعدل جمع عاذل أى اللوام والصمم ضد السمع وأتهمت من التهمة وهى الخلل على غير المقصود والشيب بياض الشعر والتهم جمع تهمة [الاعراب] محضتى فعل وفاعل ومفعول أول النصح مفعول ثان لكن حرف ابتداء

النصح عن الاغراض كالالتفات الى المحبوب فإذا كان الالتفات الى المحبوب لم يخص
النصح عن الاغراض بل له فيه غرض وهو اختصاصه بالمحبيب بخلاف ما إذا كان
ليس له الالتفات الى المحبوب فإنه قد أخلص النصح وما هنا من هذا القبيل على التسليم
الجدلي وقوله لكن لست أسمع استدراك على قوله محضاتي النصح والنتي إنما هو صانع
القبول والافقد يسمعه بل قد يتلذذ به وقوله ان الحب الخ تعليل لقوله لكن لست
أسمعه فكأنه قال إنما أسمع لأن الحب الخ وفي الحديث حبك للشيء يعنى ويصم أى
يعمى عن رؤية عيوبه ويصمك عن سماعها وقوله عن العذل على تقدير مضاف أى عن
نصحهم والعذل جمع عاذل وهو الالتئيم في الحب وقوله في صم لا يخفى ما فيه من البالغة لأنه
بالغ في الصم حتى كأنه محيط بالحب وجعله ظرفاً له والصم ضعف في قوة السمع فوق
الوقر ودون الطرش ودون الصنج أيضاً كما علم بالأولى ولذلك قال تعالى يقال في أذنه
وقر فإن زاد فهو صم فإن زاد فهو طرش فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج وإنما
خص المصنف الصم بالذكر دون غيره وإن كان كل من الطرش والصنج أعلى منه لأنه
هو الذى تستقيم عليه القافية (قوله إني اتهمت الخ) لما اعترف له على طريق التسليم الجدلي
بأنه محضه النصح فلم يرجع عن اللوم اتهمه في عذله فكأن السائل قال له كيف تتهمنى في العذل
فقال له إني اتهمت الخ أى فإذا اتهمت نصيح الشيب في عذله على في الهوى والحال أن
الشيب أبعد عن التهم في النصح فكيف بالعادل الذى ليس أبعد عن التهم في النصح بل
من شأنه أن يتهم فيه والاضافة في قوله نصيح الشيب للبيان أى نصيحا هو الشيب أو من
إضافة الصفة للموصوف أى شيبا ناصحا وإنما كان الشيب ناصحا لأنه يدل على قرب الأجل
وحصول الموت الموجب لزك دواعي الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى
وإنما دل على ذلك لأنه ليس بعد بياض الزرع إلا حصاده فهو ناصح بأمران الحال وقد
قيل في قوله تعالى وجاءكم النذير إنه الشيب وقوله في عذل متعلق باتهمت أى اتهمته
في لومه على في الهوى ودواعي الشباب وهو بفتح الدال المعجمة لغة في العذل بسكونها
وقوله : والشيب أبعد في نصح عن التهم أى والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح
فالواو للحال [وفائدة هذين البيتين] أنك إذا أحببت شخصا في الحلال وتستحي منه
ومن الناس أن تكلمه فاكتمها في ساعة الزهرة في صفحة من نحاس وامح تلك الصفحة
بماء الطر واشربها فلنك تقوى على المحبوب وتجتنب به ولا تختشى من أحد أبدا وتخشى
إليه سررك وتبلغ منه مقصودك إن شاء الله تعالى (قوله فإن أمارنى الخ) هذا تعليل
لابت قبله فكأنه قال إنما اتهمت نصيح الشيب في العذل ولم أقبل نصحها لأن أمارنى الخ
واستشكل قوله أمارنى بأن فيه اتحاد الأمر والمأمور لأن نفس الشخص هى هو .
وأجيب بجوابين أحدهما أن النفس باعتبار تعلقها بالخالفة أمر وباعتبار تعلقها بالصواب
مأمور فهما مختلفان بالاعتبار وثانيهما أن الأمر النفس والمأمور البدن فالنفس
مستولية بسلطانها على البدن فتصرفه في شهواتها والأمانة من أنواع النفس وهى
التي تأمر بالخالفة فلا يلوح لها طمع إلا فعلته ولا برزت لها شهوة إلا قضتها فلم تسلك
سبيل الرشاد ولم تنضى بنور السداد وقد ذكرها الله في قوله تعالى : إن النفس
لأمارة بالسوء ، ومنها اللوامة وهى التى ترجع باليوم على صاحبها كثيرا عند الوقوع

إني اتهمت نصيح الشيب في عذل
والشيب أبعد في نصح عن التهم
واستدراك لست بضم التاء ليس واسمها
أسمعه فصل وقاعد ومفعول والجملة في
محل نصب خبر ليس إن الحب إن واسمها
عن العذل بالدال المعجمة متعلق بضم
فإن قلت معمول المصدر لا يتقدم عليه قلت
ذلك في غير الظروف والمجرورات على
الأصح في صم خبر إن إلى إن واسمها اتهمت
خبرها نصيح مفعول اتهمت الشيب
مضاف إليه في عذل بفتح الدال المعجمة
اسم مصدر متعلق باتهمت والشيب
مبتدأ أبعد خبره في نصح عن التهم
متعلقان بأبعد وهو اسم تفضيل وفصل بينه
وبين المفعول المجرور عن الجار والمجرور
قبله والجملة حال مرتبطة بالواو .

[ومعنى البيتين] قد نصحتني أيها
الناصح نصيحة خالصة لكنى من عظم
عجبى لست أسمع نصح ناصح فإن العاشق
أصم عن سماع نصح العادل كما قيل : حبك
الشيء يعنى ويصم فإني اتهمت كل ناصح
حق اتهمت الشيب في نصحه لى والحال
أن الشيب أبعد النصحاء عن مواقع
النهم وإن العادل غيره قد يتهم بالحمس
والطمع والهيرة وغيرها والشيب لا يتصور
شئ من ذلك فيه وفي البيت الثانى من
المبدع رد العجز على الصدر وهو من
القسم الذى جعل فيه أحد الافظين
الجناسين في حشو الصراع الأول وهو
جناس الاشتقاق في قوله إني اتهمت والتهم
وفيه أيضا التكرار في لفظى الشيب .

فإن أمارنى بالسوء ما انعطت
من جهلها بنذير الشيب والحرم

وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى ضَيْفٌ أَلَمْ يَرَأِ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ
لَوْ كُنْتُ أَغْلَمُ أُنَى مَا أَوْقَرَهُ كُنْتُ سِرًّا بَدَأَ مِنْهُ بِالْكُتْمِ

أما رقى مبالغة أى نفسى الأمانة والسوء اسم جامع للقبائح وانعظت مطاوع وعظ يقال وعظته فاعظ أى نصحه وذكرته في العواقب
والنذير للبلغ ولا يستعمل إلا في التخويف (١٤) والهرم كبر السن وأعدت أى ادخرت واجتعلل الحسن والقرى بكسر

القاف والقصر مصدر قرىب الضيف أحسنت
إليه وألم حل وزل ومحتشم أى مستح
وأوقره أعظمه وأحترمه وكنمت أخفيت
والكتم بفتح التاء نبت يخضب به كالحناء
[الاعراب] فان الفاء تمليلية لعدم
قبول النصح وان حرف توكيد أما رقى
اسمها بالسوء بضم السين متعلق بأمرقى
ما حرف في انعظت فعل ماض وفاعله ضمير
مستتر فيه يعود إلى أما رقى والجملة خبر إن
من جهلها متعلق بانعظت على أنه علة له بنذير
متعلق بانعظت الشيب مضاف إليه على معنى
من والهرم بفتح الحين معطوف على الشيب
ولأعدت بسكون التاء معطوف على انعظت
من الفعل متعلق بأعدت الجميل نعت الفعل
قرى بكسر القاف وفتح الراء بلا تنوين لأنه
مضاف منصوب على الفعولية بأعدت
ضيف مجرور بإضافة قرى إليه ألم بفتح
الميم المشددة فعل ماض وفاعل والجملة نعت
ضيف برأسى متعلق بألم غير بالنصب على
الحال من فاعل ألم المستتر فيه محتشم مضاف
إليه لو حرف شرط كنت بضم التاء فعل
ماض ناقص والتاء اسم وجبة أعلم خبره
أنى بفتح الهززة حرف توكيد وباء التكلم
اسمها مانافية وجملة ما أوقره من الفعل
والفاعل والمفعول خبرها وأن ومعمولاها
سدت مسد مفعولى أعلم والهاء لشيب
كنمت بضم التاء فعل وفاعل جواب لوسرا
مفعول كنمت بدافع ماض وفاعله ضمير
مستتر يعود على سراً والجملة نعت على منه متعلقان

في المعصية لسابقة القضاء ، ومنها المطمئنة وهى التى اطمأنت للايمان والتصديق بوعد الله
فهى دائماً موفقة للطاعة مصدقة بقاء الله تعالى وقد ذكرها الله تعالى في قوله تعالى
يا أيها النفس المطمئنة الآية وقوله بالسوء متعلق بأمرقى والسوء القبيح وقوله ما انعظت
خبر إن أى ما قبلت الوعظ وقوله من جهلها أى من أجل جهلها فهو تعليل لقوله
ما انعظت وإعما ونج نفسه على عدم الاعتاظ بسبب جهلها لأنه قادر على دفع الجهل
بتحصيل أسباب العلم وقوله بنذير متعلق بانعظت أو بجهلها ونذير إما بمعنى الانذار
فيكون مصدراً وعلى هذا فالإضافة في قوله نذير الشيب والهرم من إضافة المصدر
لفاعله أو بمعنى النذر فيكون اسم فاعل وعلى هذا فالإضافة في قوله نذير الشيب والهرم
من إضافة الصفة للموصوف أو للبيان وكان عليه أن يقول بنذيرى الشيب والهرم إلا
أن يقال الإضافة للجنس فيصدق النذير بالمتعدد أو أنه حذف من الثانى لدلالة الأول
والأصل بنذير الشيب ونذير الهرم [وهذا البيت والاثنان بعده] خاصيتهما أن من كانت
نفسه غالبة عليه وامتنعت من التوبة وعجز عن مخالفة النفس فليكتب الآيات الثلاثة
يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاحها ويمحوها بماء الورد ويشربها فإذا شربها استمر
جالساً مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب ويذكر الله تعالى ويكرر هذه
الآيات في بعض الأوقات أيضاً فإنه لا يفارق هذا المجلس إلا وقد انقادت نفسه وحسن
حاله إن شاء الله تعالى ويوقفه الله للتوبة (قوله ولا أعدت الخ) عطف على قوله
ما انعظت من قبيل عطف الخاص على العام لأن الاعتاظ يكون بالاثنيان بالأعمال الحسنة
والاجتناب عن الأعمال القبيحة وأما إعداد القرى فلا يكون إلا بالأول فقط والإعداد
التهيئة يقال أعد واستعد بمعنى هيا وقوله من الفعل الجليل أى من الأعمال الصالحة
وهو بيان مقدم لقوله قرى ضيف مشوب ببعض قرى الضيف بكسر القاف إكرامه
وفيه استعارة مصرحة مرشحة لأنه شبه الشيب بالضيف بجامع الطرود في كل فان سواد
الشعر كان ملازماً للإنسان فلما تبدل بالشيب كان كالضيف في طروده على الشخص
بعد أن لم يكن واستعار اسم للشبه به فله شبه وذكر القرى ترشيحاً للاستعارة ولما كان
الشيب نذيراً بانقضاء العمر صار بلسان حاله طالباً للأعمال الصالحة التى هى زاد الآخرة
كما يطلب الضيف قراءه تصريحاً أو تلويحاً وقوله ألم بتشديد الميم بمعنى نزل وقوله برأسى
أى في رأسى فالباء بمعنى في وقوله غير محتشم أى غير مستحى وهو حال من الضمير الفاعل
بألم وإنما كان غير محتشم لأن من آداب الضيف أن لا يكثر الإقامة عند من أضافه
فمن أكثرها عنده كان غير محتشم والشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت فهو غير
محتشم فعلى العاقل أن يستعد بالأعمال الصالحة لضافته فان آخر الاستعداد إلى نزوله
قد لا يتمكن من شئ من الأعمال لسرعة الرحيل وضيق الوقت (قوله لو كنت أعلم الخ)

يبدأ والهاء لسراً بالكتم بفتح الكاف والتاء متعلق بكنمت [ومعنى الآيات الثلاثة] أن نفسى الأمانة بالسوء لم تنعظ من قرط الجاهالة لما
بنذير الشيب وكبر السن البعيد من التهمة فان الشيب نذير الموت والهرم دليل القوت ولاهيات من ثمرات الأعمال ومحاسن الحصال ضيافة
لقدوم ضيف كريم نزل برأسى من نور شيبى فلم أكرمه عند الملامه ولا احتشمته حق احتشامه فلو كنت قبل نزوله عالماً بأنى لأرعى حرمة
الشيب لكنت أول ما بدألى من سر الشيب بخضاب يستر تحتها البياض ولا لحقنى زيادة الملامة والاعتراض ثم أراد استرجاع ما فات فقال:

لما بين أن نصح الشيب لا ينبغي أن يهمل واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الأمازة ورأى
 من سوء العتاب وتقييح الفعال من الناس ما لم يكن رآه قال لو كنت أعلم الخ والعلم
 والمعرفة بمعنى واحد على الصحيح وقوله أي ما أوقره أي أتى ما أعظمه بفعل الخيل
 وترك القبيح استحياء منه وقوله كنمت سرا أي أخفته والمراد بالسرا الشيب الذي
 يظهر أولا وإعماسى سرا لأنه قبل ظهوره يكون خفيا كحديث النفس الذي لم يظهر وقوله
 بدالى أي ظهر لى وقوله منه أي من الشيب وقوله بالكنم متعلق بكنمت والكنم بفتح
 التاء نبت يغلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه كما في القاموس وقد قيل شيان
 عجيبان هما أبرد من يخ شيخ يتصابى وصبي يتمشيخ ويخ اسم لبس شديدة البرودة
 كذا نقل عن بعض الأشياخ وقال بعض أهل العلم هو اسم لدود يكون في الثلج الذي
 هو شديد البرودة وذلك الدود أشد برودة من الثلج وإعماقيد بقوله لى لأنه إذا نزل
 الشيب بالشخص ظهر له أولا في الغالب لاهتمامه بشأن نفسه ويحتمل أنه من البيان
 بعد الاجمال على حد رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وفي هذا البيت تنبيه على
 توقير الشيب وقد سماه الله تعالى وقارا فقد روى أن أول من رأى الشيب إبراهيم على
 نبينا وعليه الصلاة والسلام فقال ما هذا يارب فقال الله تعالى وقرا يا إبراهيم فقال يارب
 زدنى وقارا فأصبح وقد عمه الشيب وفي الحديث القدسي الشيب نورى (قوله من لى
 الخ) لما لم تتعظ النفس بواعظ الشيب استفهم على سبيل الاستعطاف عنم يتكفل له
 برد جماعها بالمواعظ السنية والأسرار الربانية فقال من لى الخ أى من يتكفل لى الخ
 وقوله برد جماع من غوايتها أى بصرف قوة وغلبة ناشئة من ضلالها فالجماع بمعنى
 القوة والغلبة والمراد برده صرفه وغوايتها بفتح الغين المعجمة بمعنى ضلالها والجار
 والمجرور متعلق بمحذوف صفة للجماع أى جماع ناشئ من غوايتها وقوله كما يرد
 جماع الخيل بالجماع أى ردا مثل رد جماع الخيل بالجماع فى القوة والعنف حيث لم يرفع
 واعظ الشيب فالكاف بمعنى مثل وما مصدرية والجم جمع لجام ككتب وكتاب
 وفي هذا البيت إشارة إلى أن السلوك لا يتم الا بشيخ عارف لأن النفس ربما تستحسن
 أمرا فيكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب الماهر [وفائدة هذا البيت والاثني
 بعده] أن من أكثر تلاوتها عند شروعه فى إزالة منكرو مفتتحا تلاوتها عشر مرات
 فإنه يرى الهية والقبول بالسكال باذن الله تعالى رآه فلا ترم بالمعاصى الخ لما استفهم
 عنم برد جماع نفسه ردا عنيفا استشعر شخصا قال له لاجابة الى ردها لأنك
 إذا أعطيتها ماتت مناه من المعاصى انكسرت شهوتها فرد عليه ذلك بقوله فلا ترم
 بالمعاصى الخ أى لا ترج ولا تتوقع بتمكينها مما تمناه من المعاصى دفع شهوتها لأنها
 إذا ألقت المعاصى قويت شهوتها وقد استدل على ذلك بقوله : إن الطعام يقوى شهوة
 النهم أى إن الطعام يزيد فى شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذى هو شديد
 الشهوة إلى الطعام فتمكينه من شهوته إليه وكذلك النفس تمكينها من المعاصى
 تزيد فى شهوتها إليها . واعتراض بأن النهم إنما تقوى شهوته الى الطعام إذا لم يشبع
 منه وأما إذا شبع منه فقد أخذ حاجته . وأجيب بأن المعدة تنفتح ابدا لما
 يلقى فيها من الطعام إلا لما منع وقوتها الجاذبة لاتزال وإن امتلأت لاسيا معدة النهم

مَنْ لِي بِرَدِّ جَمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
 كَمَا بُرِّدُ جَمَاحُ الْخَيْلِ بِالْجَمِّ
 فَلَا تَرْمِ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
 إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوَى شَهْوَةَ النَّهْمِ

وَالنَّفْسُ كَالطَّافِلِ إِنْ تَهَمَّلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَنَفَّطَهُ يَنْفَطِمَ

الجماع مصدر جمع الفرس إذا غلب فارسه وجمع الرجل إذا ركب هواه وعسر رده فهو جموح والغواية الضلالة والرد الرجوع والحيل اسم جمع واحد فرس في المعنى والجمع جمع لجام فارسي معرب وهو ما يعمل في فم الفرس والروم الطاب والمعاصي جمع معصية ضد الطاعة والكسر الصرف

(١٦)

والأهمل الترك وشب السلام إذا كبر

والرضاع شرب اللبن قبل حولين وقطعت المرأة ولدها فصلته عنها

[الاعراب] من بفتح الليم اسم استفهام

مبتدأ إلى خبره برد متعلق بما يتعلق به

الجمود قبله جماع يحجم مكسورة ثم جاء

بمهمة مضاف إليها من غوايتها بفتح

العين المعجمة متعلق برد كما الكاف

جارة ومما صدرية برد فعل مضارع مبنى

للمالم يسم فاعله جماع نائب الفاعل

الحيل مضاف إليه بالجمع بضم اللام

والجمع متعلق يبرد فلا حرف نهى ترم

بضم الراء محزوم بلا الناهية بالمعاصي

متعلق بترم كسر مفعول ترم شهوتها

مضاف إليه إن الطعام إن واسمها يقوى

بضم الياء وفتح القاف وتشديد الواو

المكسورة فعل مضارع وفاعله ضمير

مستتر فيه يعود على الطعام شهوة مفعول

به النهم بفتح النون وكسر الهاء مضاف

إليه وجملة يقوى خبر إن والنفس بسكون

الفاء مبتدأ كالطفل خبره إن تهمله بضم

التاء شرط شب بفتح المعجمة والوحدة

جواب الشرط على حب بضم الحاء

المهمة متعلق بشب الرضاع بفتح الراء

وكسرهما مضاف إليه وإن تنفطمه ينفطم

بفتح أولهما شرط وجوابه

[ومعنى الآيات الثلاثة] من برد نفسى

الأمارة بالسوء عماهى عليه من الضلالة

(قوله والنفس كالطفل الخ) شبه النفس بالطفل في عدم المال والنأمة بالاستمرار

على المألوفات فكما أن الطفل أن تركته على مألفه من الرضاع دام على حبه وإن منعه

عنه امتنع كما ذكره بقوله أن تهمله الخ كذلك النفس إن تركتها على مألفته من

المعاصي دامت على حبه وإن منعها عنه امتنعت وقوله أن تهمله أى تركه على مألفه

من الرضاع وقوله شب على حب الرضاع أى كبر حال كونه مشتملا على حب الرضاع

وإن تنفطمه ينفطم أى وإن تفصله وتغتنه عن الرضاع انفصل وامتنع عنه وصار غير

طالب له قال في الصباح قطعت المرأة الرضيع قطعا من باب ضرب فصلته عن الرضاع

فهى فاطمة والرضيع فطيم والجمع قطع بضمين مثل بريد وبرداه وعلم من ذلك

أن تنفطمه بكسر الطاء واعلم أن النفس لطيفة ربانية وهى الروح قبل تعلقها بالأجساد

وقد خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألحق عام فكانت حينئذ فى جوار الحق وقربه

فتستفيض من حضرة بلا واسطة فلما أمرها الحق أن تتعلق بالأجساد عرفت الغير

لحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عنه تعالى فلهذا احتاجت إلى مذكر قال تعالى

وذكر فإن الله كرى تنفع المؤمنين فهى قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعد تعلقها

به تسمى نفسا فالاختلاف بينهما اعتبارى والطفل بكسر الطاء المهمة الصغير ذكر

كان أو أنى (قوله فاصرف هواها الخ) أى إذا علمت ذلك فاصرف هواها الخ فالفاء

فاء الفصيحة وإنما لم يقل فاصرف النفس عن هواها كما هو متضى الظاهر لأنه نظر

لكونها تابعة لهواها لا تخالفه أبدا فلا يمكن صرفها عن هواها وإنما الممكن صرف

هواها بمعنى عدم اتباعه فهى لا تخلو عن هوى أبدا لكن الشخص لا يتبعه وقوله

وحاذر أن توليه أى واحذر أن تعطى هواها الولاية والإمارة عليك لأنه داع إلى

الضلالة غير صالح للإمارة وإنما عبر المصنف بحاذر دون احذر تنبيها على أن النفس

تراقب غفلة الشخص لتقع فى هواها فهى تحاذره كما يحاذرها فالحاذرة من الجانبين

وقد علل ذلك بقوله إن الهوى الخ فهو فى قوة قوله لأنه جائر ظالم وقوله ما تولى ضبطه

شيخ الاسلام بضم التاء والواو وكسر اللام مشددة على أنه مبنى للمفعول والشائع على

الألسنة قراءته بفتحات على أنه مبنى للفاعل وكل صحيح فالمنى على الأول ما ولله

الشخص وعلى الثانى ما صار واليا وشرطية وقوله يصم بضم الياء وسكون الصاد من

أصميت الصيد إذا رميته فقتلته وقوله أويصم بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه

إذا عابه فالمعنى أن الهوى إن ولاه الشخص يقتله أويصم وفى هذا الكلام استمارة

بالكناية وتخيل لأنه شبه هوى النفس بإنسان طالب للولاية والإمارة تشبيها مضمرا

في

والغواية بالمواغظ السنية والأسرار الربانية كما يرد الفرس الجموح بالاجم

الشديدة فلا تطلب أيها المخاطب كسر شهوة النفس بشيء من المعاصي فإن تناول الأطعمة البذيذة يقوى شهوة الحريص على الأكل

ولو منع نفسه عن ذلك لامتنت فإن النفس تشبه الطفل الرضيع فى أنه إن ترك على الرضاع بلغ أوان الشباب وهو مستمر

على الرضاع وإن فطم فطم ولم يتضرر من الفطم . ثم تم ذلك فقال :

فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُتَوَلَّيَهُ إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُضْمِرْ أَوْ يَصْمِرْ

وَرَاعِيَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتْ الرِّعَى فَلَا تَسْمُ
كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ الرِّعَى قَائِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

الحذر التحذير والتولية الولاية والإمارة وتولى تؤمر ويصم يضم الياء يقتل ويفتحها يصيب وراعها لاحظها والسوم الرعى
في الكلاً اللباس واستحلت المرعى وجدته حلوا والمرعى الكلاً والسّم بتثنية السين الشيء القاتل والدسم الودك كالدهن .
[الأعراب] فاصرف فعل أمر وفاعل هواها مفعوله وحاذر (١٧) بالحاء المهملة والذال المعجمة فعل أمر بمعنى

احذر أن يفتح الهمزة وسكون النون
حرف مصدرى توليه فعمل مضارع
منصوب بأن إن بكسر الهمزة وتشديد
النون حرف تأكيد ونصب الهوى اسمها
ما اسم شرط بمعنى إن تولى فعل ماض
في موضع جزم بما يضم يضم الياء
وسكون الصاد المهملة وكسر الهمزة جواب
الشرط أو حرف عطف لأحد الشيئين
يضم يفتح الياء وحسب الصاد المهملة
معطوف على يضم والشرط وجوابه
خبر إن وراعها يفتح الراء وكسر العين
المهملة فعل أمر وفاعل ومفعول
معطوف على اصرف وهي مبتدأ في
الأعمال يفتح الهمزة متعلق بسائمت
بسين مهمة خبر البتة والجملة حاله
مرتبطه بالواو والضمير وان حرف شرط
هي فاعل بفعل محذوف يفسره
استحلت هذا مذهب جمهور البصريين
وزهد الأخفش والكوفيون إلى أن
هي مبتدأ وجملة استحلت الرعى من
الفعل والفاعل والمفعول خبره فلا حرف
نهى ضم ضم التاء وكسر السين مجزوم
بلا الناهية وكسر للقافية ومفعوله
محذوف والجملة جواب الشرط وقرنت
بالفاء لأنها طلبية كم خبرية بمعنى كثير
عملها نصب على المصدرية أي كم تحسبن
وحسنت بتشديد السين المهمة فعل

في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو منته من الولاية
والإمارة حيث قال: فاصرف هواها وحاذر أن توليه. ورشحها بذكر أنه جائر ظالم لأنه إن
تولى قتل أو عاب حيث قال إن الهوى ما تولى يصم أو يصم فهم مرشحة لأنها قرنت
بما يلائم الاستعارة منه ولما كان الهوى سبباً للهلاك أجمع على ذمه العارفون ووردت
بذمه الآيات والأحاديث لأنه ينتج من الأخلاق قبايحها ويظهر من الأفعال فسادها
ويجعل ستر الروعة مهتوكاً ومدخل الشر مسلوكة وقال ابن عباس الهوى إله يعبد
من دون الله وتلا قوله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - الآية وقال الشعبي إنما
سمى هوى لأنه يهوى بصاحبه إلى النار وبالجملة فالهوى أصل كل بلية والخلاص منه
عسر جداً إلا بتوفيق من الله تعالى (قوله وراعها وهي الخ) لما كان ظاهر كلامه أن
هوى النفس يصرف حق عن الطاعة شرح الحال بقوله وراعها وهي الخ أي لاحظها
والحال أنها في الأعمال الصالحة سائمت كالبيضة السائمت في الكلاً فالواو للحال وأل في
الأعمال للمهد والمجهود الأعمال الصالحة أعم من أن تكون واجبة أو مندوبة وفي
سائمت استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه أخذ النفس في الأعمال واشتغالها بها بسوم
البيضة في الكلاً بجامع عدم معرفة الصلاح في كل واستعارة السوم للأخذ والاشتغال
واشتق منه سائمت بمعنى آخذة ومشتغلة وإنما أمر بملاحظتها وهي مشتغلة بالطاعة لأنه
قد يكون لها حظ فيها كرياضة وحب محبة وشهرة ولذلك قال وإن هي استحلت للرعى
فلا تسم يضم التاء وكسر السين أي وإن هي وجدت الرعى حلوا فلا تبقها فيه لأنها
لا تميل إلى الطاعة لذاتها بل لفرض فيها فتغلب الطاعة بمعصية بل قد تكون أعظم
مفسدة من المعصية كما يشير لذلك قول صاحب الحكم : رب معصية أورت ذلاً وانكساراً
خير من طاعة أورت عزاً واستكباراً ، وفي بعض الآثار أوحى الله إلى داود عليه
السلام يداود قل للعاصيين الخبتين أبشروا وقل للعابدين المعجيين اخشوا ومن
العلوم أن أداة الشرط وهي إن هنا من خواص الفعل فقوله وإن هي أصله وإن
استحلت حذف الفعل فانفصل الضمير وقوله استحلت مفسر للفعل المحذوف على حد
قوله تعالى وإن أحد من الشركين استجارك وفي قوله فلا تسم استعارة بالكناية وتخيل
لأنه شبه النفس بالبيضة بجامع عدم معرفة الصلاح في كل تشبيها مضمراً في النفس
وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاسامة وذكر للرعى
ترشيح (قوله كم حسنت الخ) هذا البيت استشهاد على البيت قبله وكم خبرية بمعنى

(٣ - باجورى - برده) ماض وفاعله مستتر فيه يعود على النفس لذة بفتح اللام والذال المعجمة مفعول حسنت

للمرء متعلق بحسنت قائلة نعت لذة من حيث بتثنية الثالثة متعلق بقائلة لم يدر جازم ومجزوم أن يفتح الهمزة حرف تأكيد السّم اسم
أن في السّم بفتح السين خبرها وأن ومعمولاًها مفعول يدر ويذر ومعموله في موضع خفض بإضافة حيث إليه [ومعنى الأبيات الثلاثة]
أمسك عنان النفس واصرف هواها عما هي عليه من طلب اللذات والانهماك على الشهوات واجاهد في الحذر عن سلطان الهوى
وولايته فإن الهوى مادام والياً على المرء فلما أن يقتله معافضة وإما أن يعيه وأحسن رعى النفس في حال كونها سائمت في رياض

كثيرا ومميزها محذوف والتقدير كم مرة أى كثيرا من المرات وقوله حسنت لذة للمرء قاتلة أى عدت لذة قاتلة حسنة للشخص رجلا كان أو امرأة فلذة مفعول لحسنت وقاتلة صفة لها وهذا الصنيع أولى من جعل لذة تميزا لكم وجعل مفعول حسنت محذوفا وإن جرى عليه بعض الشارحين وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله من حيث لم يدر أن السم فى الدسم أى من جهة وتلك الجهة هى كونه لم يعلم أن السم بتثليث أوله مدسوس فى الدسم الذى هو الدهن وخص السم بالذكر لأنه قاتل وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته والمراد بالسم هنا حظ النفس والمراد بالدسم هنا الطاعة فى كلامه استعارتان مصرحتان أما الأولى فلائنه شبه حظ النفس بالسم بجامع الضرر فى كل واستعار اسم المشبه به للشبه وأما الثانية فلائنه شبه صورة الطاعة بالدسم بجامع أن كلا سائر لغيره واستعار اسم المشبه به للشبه . والحاصل أن النفس لها حظ فى الطاعة كما أن لها حظا فى المصيبة بل حظها فى الطاعة أشد لأن حظها فى المصيبة ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى [وقائدة هذه الآيات الثلاثة التى أولها فاصرف هواها الخ] أن من واطب على قراءتها خلف كل صلاة مكتوبة عشرين مرة استقام أمره على الكتاب والسنة وجعله الله آمنا من الأهواء والبديع (قوله واخش الدسائس الخ) أى خف المكاييد التى تخفيها النفس فى الجوع والشبع فالدسائس من الجوع كالحلدة وسوء الخلق والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة والكلام فى الجوع والشبع المفرطين لأن المذموم منهما ليس إلا المفرط وأما المعتدل الذى بين الإفراط والتفريط فمدح كإشعاره بقوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا هذا على كون الجوع والشبع على ظاهرهما ويعتدل أن المصنف كنى بالجوع عن قلة العبادة وبالشبع عن كثرتها لأن قلة العبادة تمثول إلى الجوع فى الآخرة وكثرة العبادة تمثول إلى الشبع فى الآخرة فالدسائس من الجوع بمعنى قلة العبادة كالميل إلى الراحة وترك العبادة بالكليّة والدسائس من الشبع بمعنى كثرة العبادة كحب الشهرة والمحمدة وهو مفسدة عظيمة لأنه حينئذ يكون قاصدا بالعبادة غير وجه الله تعالى . ولما كان قد يقع فى بادئ الرأى أن الجوع لدسائس فيه لأن العرب والحكماء تمدح بقلة الأكل وتذم بكثرته وحينئذ فلا وجه للتحذير من مكاييد الجوع دفع المصنف ذلك بقوله قرب مخمصة شر من التخم فكأنه قال لا تستبعد ذلك إذ رب مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل باعتبار الآفات المترتبة عليهما فالعبادة قد لا تحصل بالكليّة مع الجوع المفرط وتحصل مع كثرة الأكل وإن كان فيها كسل ولا شك أن ترك العبادة بالمرّة شر من الكسل فيها هذا على أن المراد بالجوع والشبع حقيقتهما وأما على أن المراد بالجوع قلة العبادة وبالشبع كثرتها فكأنه قال لا تستبعد ذلك إذ رب عمل قليل شر من عمل كثير فإن النفس قد تزين له قليل العبادة كأن تقول له لازم القليل من العبادة وداوم عليه لأن الكثير يضر البدن فيؤدى إلى العجز بالكليّة وربما يكون فيه الرياء وقصدها بذلك الراحة وقد تزين له كثير العبادة كأن تقول له عليك بالكثير من العبادة ليكثر ثوابك وقصدها بذلك أن تمجد عند الناس وتعظم عندهم وهذه مفسدة عظيمة لكن مع الاستكثار من العبادة قد يسلم كثير منها بل قد ينصلح باطنه فى آخره أمره وقد كان

الأعمال كلالا تتباعد وتتأدى فى رعيها فتستحل المرعى وإن استحلته فلا تسهما فيه فتتمرد عليك ولا تطيعك بعد ذلك وإياك وتلبس النفس فكم زينت وجسنت للمرء لذة قاتلة له بحيث لا يعلم أن فيما يلتذ به من الطعام الدسم مما قاتلا لا كلة وفى البيت الأول من البديع الجنس المحرف فى قوله يصم أوبصم وفى البيت الثانى رد العجز على الصدر فى سائمة ونسم وهو من القسم الذى جعل أحد متجانسى الاشتقاق فى آخر الصراع الأول .

وَإِخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
قَرُبَ مَخْمَصَةٍ شَرًّا مِنْ التَّخْمِ

واستخرج الدمع من عين قد امتلأت من الحسية الخوف والدسائس جمع دسيسة وهي الفتنة الخفية من (١٩) الدساسة وهي الكيد والكر الخفي والتمصصة

المجاعة والتخمة جمع تخمة وهي فساد الطعام في المعدة من الامتلاء واستفرغ من التفرغ وهو التخلية والمحارم جمع محرم وهو الحرام والحلية للنسب مما يضر والنسب الأسف .

[الاعراب] واخشي الدسائس فعل أمر وفاعل ومفعول به من جوع ومن شبع في موضع الحال من الدسائس ومن لبيان الدسائس قرب حرف جر مخففة مجرور برب في موضع رفع على الابتداء شر خبره كقوله :

ورب قتل عار من التخمة
ضم التاء الموقية وفتح الحاء المجمة متعلق بشر واستفرغ الدمع فعل أمر وفاعل ومفعول من عين في موضع الحال من الدمع قد حرف تخفيف امتلأت فعل ماض وفاعله مستتر يعود الى عين من المحارم متعلق بامتلات والزم بفتح الزاي فعل أمر معطوف على استفرغ حمية بكسر الحاء المهملة مفعول به الندم مضاف إليه .

[ومعنى البيت] واخشي المهالك الخفية الحاصل بعضها من الجوع كسوء الخلق والحمة والذبول وضعف قوى البدن وغير ذلك وبعضها من الشبع كالكسل وغلبة الشهوة وإظلام القلب وغير ذلك وكل من هذه الأمور مشوش للعبادة وقد تحصل العبادة مع الشبع دون الجوع فيكون الجوع شرا من الشبع فانظر في مصلحتك وأكثر البكاء على خطيئتك وأفرغ الدموع من عين قد امتلأت من

بعض الشايع يقول عليكم باصلاح ظواهركم فانه يوشك أن تصلح بواطنكم . وحكى أن رجلا تعبد ستين ليشتهر بذلك وتودع عنده الأمانات فينتفع بها فلم يودع عنده شيء فلما طال عليه الأمر ونج نفسه وتاب الى الله تعالى فلما أصبح آى بأمانة فقال لصاحبها ما كان بيننا وبينها إلا ظلام الليل اذهب بسلام ورب هنا للتفليل والتمصصة المجاعة والتخمة بضم التاء وفتح الحاء جمع تخمة وهي فساد المعدة بالطعام وقيل فساد الطعام في المعدة وفسرت أيضا بأنها ضد التهمزة وهذا قد يقتضيه كلام المصنف وتعقب بأن ضد التهمزة الشبع وإن لم يحصل تخمة [وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما] لأن من قسا قلبه واستولت عليه نفسه وكررها ليلة الجمعة عند السحر فانه لا يصبح إلا وقد رأى رقة في قلبه وكسرا في نفسه ونهوض أعضائه في العبادة وندم على ما فرط وتاب الله عليه (قوله واستفرغ الدمع الخ) أى أفرغ الدمع بالبكاء أو اطلب فراغه بذلك فالسين والتاء إما زامدتان وهو الأظهر أو للطلب وقوله من عين قد امتلأت من المحارم من الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية وامتلاء العين من المحارم كناية عند الفقهاء عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعا وعند الصوفية وأهل الحب رؤية الأغيار بها ولذلك يقال للعارف أدب عينيك بدمع الندامة إذا نظرت لغير ذلك الجمال واقصر نظرك على كمال الكبير المتعال ولم يزل السلف الصالح ييكون على ما حصل منهم والبكاء على الحسية معظم العزم حتى قال بعضهم لولم ييك الإنسان إلا على ماضع من عمره النفيس من غير طاعة لكفاء . وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم طوبى لمن بكى على خطيئته وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء وقيل في قوله تعالى فيهما عينان تجريان إنيهما لمن له في الدنيا عينان تجريان وقوله والزم حمية النسم أى والزم حماية النسم لك عن المحارم ويحتمل والزم النسم الحامى لك عن عقاب المحارم والمراد من النسم التوبة المستحكمة للشروط الشرعية وإنما عبر بالندم لأنه العمدية في التوبة ولذلك ورد النسم توبة (قوله وخالف النفس والشيطان الخ) أى إذا أمرتك نفسك والشيطان بشيء أو نهيتك نفسك والشيطان عن شيء خالفهما لأنهما عدواك وقوله واعصهما أشار به الى أنه لا يكتفى بمجرد مخالفتهما لأنه قد يخالفهما الى ما يرضيان به بل لابد من عصيانهما وإن خست المخالفة بالمكروه والعصيان بالمحرم كان من عطف الفاعل وإن أقيمت المخالفة على عمومها وخص العصيان بالمحرم كان من عطف الخاص على العام للاهتمام بذلك الخاص وإنما قدم المصنف النفس على الشيطان لأنها أضرمته وفتنتها أعظم من فتنته إذ هي عدو في صورة صديق والإنسان لا يتنبه لمساكيد الصديق وأيضا هي عدو من داخل بخلاف الشيطان فإنه عدو ظاهر وقد قيل الخروج عن النفس هو النعمة العظمى لأنها أعظم حجاب بين الشخص وبين الله تعالى وقد سئل بعض الأسياف عن الإسلام فقال ذبح النفوس بسيف المخالفة وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى وبالجملة فخالفة النفس رأس العبادة

الالتذاذ بالحرام والزم الورع والاحتراز عما يجب أن يحتمى منه التائب النادم على ما فرط لعل الله تعالى يقبل توبتك ويعمل البكاء كفارة لذنبك :

وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَأَعَصِيَهُمَا وَإِنْ هُمَا مَخْضَاكَ النَّصِيحَ فَاتَّبِعْهُمَا

وَلَا تُطِيعُ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ

النفس الروح وقيل الدم وقيل جميع البدن وقيل غير ذلك والشیطان إن كان من شطن فمعناه البعد وإن كان من شاط فمعناه الهالك أو المحترق ووزنه على الأول فيعال وطى

(٣٠)

[الاعراب] وخالف النفس فعل أمر وفاعل ومفعول والشیطان معطوف على النفس واعصهما فعل أمر وفاعل ومفعول معطوف على خالف النفس والجمع بين المخالفة والعصيان للتأكيد بالمرادف وعطف الجمل في التأكيد خاص بهم كما صرح به الشيخ أبو حيان في الارتشاف وإن حرف شرطهما فاعل فعل محذوف يفسره المذكور والتقدير وإن عصمتكما ويجوز عند الكوفيين والأخفش أن يكون مبتدأ محضاك فعل وفاعل ومفعول أول النصح مفعول ثان والجمل على الأول لا محل لها لأنها مفسرة وعلى الثاني محلها الرفع لأنها خبر المبتدأ فانهم جواب الشرط وقرن بالفاء لأنه فعل أمر وحرك بالكسر لموافقة حرف الروي ولا حرف نهى تطع مجزوم بلا الناهية منهما متعلق بتطع وضمير الثانية للنفس والشیطان خصما مفعول تطع ولا حكما بفتححتين معطوف على خصما وزيدت لا بعد العاطف لإفادة التأكيد في النفي فأنت مبتدأ تعرف خبره كيد مفعول تعرف الخصم مضاف إليه والحكم بفتح الحاء والكاف معطوف على الخصم .

[ومعنى البيتين] أن النفس والشیطان عدوان مبینان لك خالفهما فيا يأمرانك به وينهايانك عنه واعصهما في ذلك وإن أخلصاك النصح فاتهمهما فيه ولا تعتقد نصحهما فإن أحدهما خصمك

وأول مراتب السعادة وانظر فعل الشيطان مع أيك وقد أقسم إنه له لمن الناصحين فكيف بك وقد أقسم أنه ليغوينك وقوله وإنهما محضاك النصح فاتهم أي وإنهما أخلصاك النصح فيا أبدأياك كأن يقول لك تمتع بهذه الشهوة لكي تتوجه إلى الطاعة فارغ القلب أو يقول لك ارفق على نفسك في العبادة لتدوم عليها أو أكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلا أو نحو ذلك فاتهمهما بأن تنسبهما إلى الحيانة لأن مرادهما بذلك الخديعة والسكر وقد تقدم أن أداة الشرط وهى هنا إن من خواص الفعل فتقوله وإنهما أصله وإن محضا حذف الفعل فانفصل الضمير والفعل المذكور تفسير للمحذوف على حد قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك وعبر المصنف بأن التقي للشك إشارة إلى أن إخلاصهما النصح أمر مشكوك فيه بل لا يفرض إلا كما يفرض الحال إذ لا يصدر منهما إلا العنق ولذا قيل إن الشيطان يفتح للإنسان تسعا وتسعين بابا من الخير ليوقعه في باب من الشر [وخاصية هذا البيت والذي بعده] أن من واطب عليهما غلب نفسه وشیطانه ورزقه الله الحفظ منهما إن شاء الله تعالى (قوله ولا تطع منهما الخ) هذا البيت تأكيد للبيت قبله ومعناه أنه إذا تخاصم العقل مع النفس وجعل الشيطان حكما أو تخاصم العقل مع الشيطان وجعل النفس حكما فلا تطع واحدا من النفس والشيطان لا الحسم ولا الحكم لأن كلا منهما يدعو إلى الشر وأما العقل فيدعو إلى الخير فإذا تخاصم العقل مع أحدهما كان الحكم مع خصم العقل لأنه من ناحيته فلا يحكم إلا بما هو على مراده وقيل صورة كون أحدهما خصما والآخر حكما أن أحدهما يزين لك الأقدام على العصية وأنت تمتنع من ذلك لما تعلم من سوء العاقبة فقد صار خصما لك ثم بعد الأقدام على العصية يزين أحدهما لك البقاء عليها وأنت تريد الخروج منها فيضرب لك أجلا بعد أجل كما يفعله الحكماء فقد صار حكما في ذلك وبما تقرر علم أن الخصم قد يكون النفس والحكم الشيطان وبالعكس ومن في قوله منهما للتبعض والضمير فيه عائد للنفس والشیطان ولا في قوله ولا حكما زائدة لتأكيد النهي وقوله فأنت تعرف كيد الخصم والحكم أي لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس وكيد النفس والشیطان أشد (قوله أستغفر الله الخ) لما كان المصنف معتقفا بأنه غير عامل بقوله وقد قال تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون استغفر من ذلك حيث قال أستغفر الله الخ والمقصود من قوله أستغفر الله الانشاء وهو يطلب مفعولين ثانيهما مجرور بمن كما هنا ويجوز حذف من نحو أستغفر الله ذنبا أي من ذنب وقوله من قول بلا عمل أي من قول مصحوب بعدم العمل أو متلبس بعدم العمل فالباء للملابسة أو الصاحبة ومن للتعدية أو للتعليل وذلك كأن يأمر ولا يأمُر وينهى ولا يَنْهَى وظاهر كلام المصنف

أن

والآخر كما عليك ومثلك لا يخفى عليه مكر الخصم وجور الحاكم المتعصب وفي البيت

الثاني من البديع رد العجز على الصدر في تكرير الحسم والحكم . ولما استكمل ما بذل فيه النصح لمخاطبه بطريق التخليص مما أحاط به أثبتة لنفسه حيث لم يعمل بما قاله وطلب الغفران من هذه المقالة فقال :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلِي بِلاَ عَمَلٍ أَمَدًا نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِيَدَى عَقْمٍ

أن الاستغفار من القول المذكور ووجهه بعضهم بأن المتبادر من الأمر والنهي أن يكون الشخص مؤتمرا بما أمر به منتهيا عما نهى عنه فإن لم يكن كذلك في الواقع كان أمره ونهيه رياء ونفاقا فيحتاج للاستغفار منه وبعضهم جعل الاستغفار منصبا على القيد فقط أعني عدم العمل لأن القول في ذاته طاعة فلا يحتاج للاستغفار منه وعدم العمل ترك طاعة فيحتاج للاستغفار منه وهذا هو الموافق لمذهب أهل السنة من أنه لا يتوقف الأمر والنهي على العمل بهما لأن عدم الأمر والنهي معصية وعدم العمل معصية أخرى وتقليل المعاصي مطلوب ما أمكن ولذلك قالوا يجب على مدير الكاس الإنكار على الجلاس ويجب على الزاني بامرأة أن يأمرها بستر وجهها ومن هذا يعلم أن العالم الذي لا يعمل بعله خير من الجاهل ، وأما قول صاحب الزبد :

وعالم بطله لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

أمرتك الخير لكن ما انتمرت به
وما استقممت فما قولي لك استقم

فمحمول على علماء أهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا وكثموا الحق وقيل إن تعذبه من قبل عباد الوثن ليس لكونه أسوأ حالا منهم بل للاسراع بتطهيره وقوله لقد نسبت به نسلا لدى عقم مستأنف استئنافا بيانيا لأنه واقع في جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له لم استغفرت من ذلك القول فقال لقد نسبت به نسلا لدى عقم أي لقد نسبت بهذا القول نسلا وهو الذرية لشخص صاحب عقم بضم القاف كما هو لغة في العقم بسكونها وليس جمع عقيم لأن إضافة ذي إليه تمنع من ذلك لا يقال إن المصنف لم يقع منه نسبة نسل لدى عقم فكيف يقول لقد نسبت به نسلا الخ لأننا نقول المعنى على التشبيه أي كأنني قد نسبت به نسلا الخ ووجه ذلك أن المتبادر من الأمر والنهي أن يكون الأمر والنهي مؤتمرا منتهيا فذلك القول يتضمن نسبة العمل إلى القائل فإذا كان بلا عمل فقد أشبه نسبة النسل لدى العقم وهو الذي لا يولد لمثله وذلك كذب يستغفر منه فكذا ما أشبهه وهذا يؤيد أن الاستغفار من القول المذكور وفي ذكر فضل الاستغفار طول يخرجنا عن المقصود ، وما أحسن قول القائل :

ولو أن فرعون لما طغى وقال على الله إفكا وزورا
أناب إلى الله مستغفرا لما وجد الله إلا غفورا

(قوله أمرتك الخير الخ) هذا البيت بيان للبيت قبله وأمر يتعدى لمفعولين ثانيهما بنفسه تارة كما هنا وبالباء تارة أخرى كما في قولك أمرت زيدا بكذا ومراده بالأمر ما يشمل النهي كما في قولهم أمر السلطان أن لا يؤذى أحد أحدا وأن يحامل في المعاملة فاندفع ما يقال لم خص الأمر بالله كرم مع أنه سبق منه أمر ونهي والمراد أمرتك بفعل الخير ونهيتك عن تركه والخير ماله عاقبة محمودة وقوله لكن ما انتمرت به أي لكن ما عملت به وقوله وما استقممت أي بفعل الأمور وترك المنهيات لأن الاستقامة هي الاعتدال وعدم الاعوجاج وذلك يكون بفعل الأمور وترك المنهيات وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بها في صورة هود وأخواتها قال تعالى فاستقم كما أمرت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيتني هود وأخواتها وقيل قال ذلك لما فيها من الإخبار عن إهلاك الأمم للماضين وقوله فما قولي لك استقم أي فما ثمرة قولي لك استقم حيث

وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً وَلَمْ أَصَلْ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصُمْ

الاستغفار طلب المغفرة ونسبت عزوت والنسل الولد وعمم مصدر عقلت الرحم أى لم تقبل الولد والأمر الطلب والخير ضد الشر والتمرت أى امتثلت واستعمت اعتدلت والزاد فى الأصل الطعام اتخذ للسفر والمراد هنا الطاعات النافعة فى الآخرة والموت مفارقة الروح الجسد والنافلة الزيادة على الواجبات وسوى بمعنى غير [الاعراب] استغفر بفتح الهمزة فعل مضارع وفاعله مستتر فيه وجوبا الله منصوب باستغفر من (٢٢) قول متعلق باستغفر بلا عمل نعمت قول لقد اللام مؤكدة لجواب قسم

لم أستقم والاستغهام إنكارى بمعنى التنى أى لا مرة له ولا فائدة له لأنه لا ينفع غالبا إلا إذا استقام القائل ولذلك قيل فى هذا المعنى :

يأبها الرجل العلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لى السقام وذى الضنى كما يصح به وأنت سقيم
ابداً بنفسك فانها عن غيبها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول وبشتقى بالقول منك وينفع التعليم
لأنه عن خلق وثائق مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فان قيل لم يتقدم منه أمر بالاستقامة حتى يظهر قوله لما قولى لك استقم أجيب بأنه تقدم ضمنا لأنه يعلم من كلامه السابق (قوله ولا تزودت قبل الموت الخ) المراد بالتزود هنا العمل وإنما عبر بالتزود نظرا لكون الموت سفرا طويلا محتويا على الأهوال والشاق والسفر المذكور يناسبه التزود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والذي عليه المحققون من المفسرين أن المراد بالتزود أخذ الزاد الذى هو ما يوصلهم لمقصودهم والمراد بالتقوى فى هذه الآية ما يتق به ذل السؤال وقوله نافلة أى مستقلة فاندفع ما يقال إن الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله ولا تزودت قبل الموت نافلة مع كونه كان يفعل الفرائض وقد اشتهر أن النافلة يجبر بها ما نقص من الفرائض لكن نقل القرطبي فى التذكرة عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أن ذلك فيما نقص من الفرائض سهوا وأما ما نقص منها عمدا فلا يجبر بالنافلة وإن كثرت جدا وقوله ولم أصل سوى فرض ولم أصم إنما خص الصلاة والصوم بالذكر لأنهما محض عبادة بدنية وإنما سكت عن الإيمان لأنه لا يتنفل به وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ولم أصم سوى فرض . لا يقال يبعد أنه لم يقع منه صلاة السنن كالوتر وغيره وصوم السنن كهصوم عاشوراء وغيره . لأننا نقول إنما نفي ذلك تنزيلا لما فعله من النوافل منزلة العدم لاتهمامه نفسه فى الإخلاص فيه وما قبل من أنه كان إذا صلى نافلة نذرها أو صام نافلة نذره فهو بعيد [وخاصية هذا البيت والذين قبله] أن من دخله العجب أو الرياء فى علم أو عمل كتبها عند طلوع الفجر وكررها إحدى وسبعين مرة ثم علق ذلك المكتوب على عضده الأيسر مائلا لجهة جنبه فانه يتواضع حينئذ ويصير آمنا من

محذوف وقد حرف تحقيق والتقدير والله لقد نسبت بفتح المهملة وسكون الموحدة وضم التاء فعل وفاعل به متعلق بنسبت والماء لقول نسلا مفعول نسبت لى بكسر اللام والدال المعجمة جار ومجرور متعلق بنسبت عقم بضمين مضاف إليه وأصل القاف السكون وضمها لنة جارية فى الثلاثى المضموم أوله كسر ويسر . أمرتك الخير فعل ماض وفاعل ومفعولان لكن حرف ابتداء واستدراك مانافية اثمرت بضم تاء التكلم فعل ماض وفاعل والأصل اثمرت بهمزتين مكسورة فساكنة قلبت الساكنة ياء لانكسار ما قبلها به متعلق باثمرت والماء للخبر وما نافية استعمت بالضم فعل وفاعل لما اسم استغهام مبتدأ قولى بفتح القاف خبره لك متعلق بقولى استقم فعل أمر وفاعل فى موضع نصب على المفعولية لقولى ولا حرف نفي تزودت بالضم فعل وفاعل قبل ظرف زمان منصوب بتزودت الموت مضاف إليه نافلة بالفاء مفعول تزودت ولم حرف نفي أصل فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الباء سوى مفعول أصل لا ظرف مكان فرض مضاف إليه ولم أصم معطوف على أصل ومفعوله محذوف مما قبله والتقدير

العجب

أصل ومفعوله محذوف مما قبله والتقدير ولم أصم سوى فرض لحذف من الثانى لدلالة الأول عليه

[ومعنى الآيات الثلاثة] إني استغفر الله من قولى هذا فإنى عقيم عن تقديم عمل يناسب مقالى فان نتيجة القول العمل فلما لم ينتج قولى عملا فهو كالرحم العقيمة التى لم تنتج ولذا ووالله لقد عزوت بهذا القول الخالى عن العمل ولذا لعقيم فقد أمرتك بالعمل الصالح وما فعلت أنا ما أمرتك به وما اعتدلت ناقمة نفسى على الاستقامة لما فائدة قولى لك اعتدل أنت إذا لم أعتدل أنا وقد قال الله العظيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وما تزودت قبل نزول الموت زادا من النوافل واقتصرت من الصلاة والصوم على الفرض منهما .

السبب والرياء (قوله ظلمت سنة من الخ) هذا تخلص للشروع في القصود وهو مدحه صلى الله عليه وسلم ولم يشرع فيه إلا بعد الوعظ والاستغفار والندم تأهيلا لمدح هذا الجنب الشريف ولما أخبر عن نفسه بما أخبر من كثرة التفريط وأخبر بأنه لم يتزود من النافلة حكم بأنه ظلم سنة سيد المرسلين أي جار فيها ووضعها في غير موضعها لأن الظلم هو الجور ووضع الشيء في غير محله والسنة لغة الطريقة وشرعا الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب ومن واقعة على نبي وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله أحياء الظلام أي أثار الليل المظلم بالصلاة فالمراد بالظلام المظلم والمراد بأحيائه إثارته بالصلاة إذ العبادة كما تؤثر النور في وجه العابد تؤثر في زمنها ولا يخفى أن في كلامه استعارة تصريحية تبعية أو استعارة مكنية فيكون قد شبه الأتارة بالإحياء بجامع النفع في كل واستعار الإحياء للأنارة واشتق من الإحياء بمعنى الأنارة أحياء بمعنى أثار أو شبه الظلام بمعنى الليل المظلم بحيث يجي تشبيها مضمر في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإحياء وقوله إلى أن اشتكت قدماء الضر من ورم أي واستمر إحياءه صلى الله عليه وسلم للظلام إلى ذلك فهو غاية في الإحياء لكن لا مفهوم لهذه الغاية واشتكاه القدماء كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة والورم ازدياد الحجم على غير اقتضاء طبيعي وسبب ورم القدمين من كثرة القيام انصباب المواد التي في أعلى الجسم إليهما لطول القيام فإنه صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن يزيد بالليل على اثنتي عشرة ركعة لكن كان يطيل القيام فيها وقد روى المغيرة أنه قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماءه فقبل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وفي رواية أنه قال جبريل أبق على نفسك فإن لها عليك حقا فأرسل الله سبحانه وتعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وفي هذا البيت مزيد التقرير لنفسه فكأنه يقول لها ما بالك في هذا التخصير وعدم الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كثرة عبادته وغلبة طاعته ولهذا اختار هذه الصفة من بين الصفات [وخاصية هذا البيت والأربعة بعده] أن من ثقل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل ولا زالت نفسه تمتد لراحة الدنيا فليكتب هذه الآيات في لوح ويحمله عند رأسه فيتزين له حينئذ العمل الصالح وتحذره نفسه بأمور الآخرة (قوله وشد من سغب الخ) عطف على أحياء الظلام الخ فهو عطف على الصلة فيكون صلة وإنما آتى بذلك نظرا لقوله في البيت السابق ولم أصم عقب قوله ولم أصل سوى فرض وبهذا ظهر حكمة تخصيصهما فإيا تقدم والشد العصب والربط والسغب بسين مهمل وعين معجمة الجوع ومن الداخلة عليه للتعليل أي عصب وربط من أجل جوع وقوله أحشاه مفعول لشد والأحشاء جمع حشا وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه الضلوع وقيل القلب وقيل الأمعاء وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة فتخمد الحرارة بعض خمود لأن المعدة إذا امتلأت بالطعام اشتعلت الحرارة بهضمه وإذا خلت عن الطعام طلبت الحرارة رطوبة الجسم فيتألم الإنسان بالشد تضعف تلك الحرارة وقد روى الشد مسلم عن أنس قال جئت

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى
أَنْ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ
وَشَدٍّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاهُ وَطَوَى
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشَعَامُ تَرْفِ الْأَدَمِ

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يتحدثون وقد عصب بطنه بصابة فقالوا من الجوع . وقوله وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم عطف أيضا على الصلة والطي اللف والكشح الحاصرة والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة والأدم الجلد أى ولف تحت الحجارة خاصرة ناعمة الجلد نعومة مفرطة وقائدة هذا الطى أن برودة الحجر تخفف حرارة الباطن وقد روى البخارى الطى عن جابر قال مكث صلى الله عليه وسلم لم يذق الطعام ثلاثا وهم يحفرون الخندق فقالوا يارسول الله إن ههنا حكمة من الجبل قد عجزت معاونا عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول ثم قال بسم الله فضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر غانت منى الثقات فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا . واستشكل ما ذكر من الشد والطي . بقوله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقنى لأن من هذا حاله لا يعصب أحشاءه ويطوى كشحه تحت الحجارة من الجوع . وأجيب بأن معنى الحديث أبيت مستحضرا جلال ربى فيعطى قوة الطعام والشراب والمراد بذلك أنه ضمن له قوة بدنه وبضارة جسمه حتى إن من رآه لا يظن به جوعا ولا عطشا كما أشار الى ذلك الناظم بقوله مترف الأدم فهو من قبيل الاحتراس وحينئذ فصول الجوع له صلى الله عليه وسلم لا ينافيه الإطعام فى الحديث (قوله وراودته الجبال الخ) لما كان قد يتوم من قوله وشد من سبب الخ أنه صلى الله عليه وسلم كان فقيرا من المال دفع ذلك التوم بقوله وراودته الجبال الخ والمرادة المطالبة يقال راوده أى طلب منه أن يكون على مراده وإسناد الراودة للجبال مجاز لأن الله هو الذى خيره فى ذلك ويحتمل أن يكون حقيقة إذ لا مانع من أن يخلق الله فيها إدراكا وتراوده حقيقة وأل فى الجبال للمهد الذهبى والعهود هنا هو جبال مكة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فإذا شبعت حمدتك وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك ، وروى أن جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك أعجب أن تكون لك هذه الجبال ذهباً وفضة تكون معك حيناً كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وقوله الشم أى المرتفعة وهى جمع أشم مشتق من الشم وهو الارتفاع وقوله من ذهب أى أن تكون من ذهب فهو خبر لتكون المندوفة وليس حالا خلافا لبعضهم لأنها لم تكن من ذهب حين الراودة وإنما طلبت منه أن تكون كذلك وقوله عن نفسه أى من أجل نفسه فمن التعليل وقوله فأراها أيما شمم أى فأراها شمما أيما شمم أى شمما عظيما أى إعراضا شديدا علما منه بأن ما عند الله خير وأبقى

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشَّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
مَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ

وَأَكَدَتْ زَهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتَهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ

ظلمت تركت السنة والسيرة والطريقة وأحيا الظلام قام في الليل على قدميه واشتكت أى أظهرت الشكاية والقدم طرف الرجل بمائلي الأصابع والضرر الألم والمزال والورم الانتفاخ والسبب الجوع والأحشاء جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع والطى الثنى والكشح ما بين الخاضرة إلى الضلع والمترف النعم والأدم جمع أدمة وهى باطن الجلد والبشرة ظاهره وراودته أى دعت إلى نفسها والشم جمع أشم وهو العالى فأراها أيما شتم أى أعرض عنها وارتفع عنها غاية الارتفاع وأكدت قوت والزهد ضد الرغبة والضرورة الحاجة ولا تعدو أى لا تنظم والعصم جمع عصمة وهى النع والحفظ [الاعراب] ظلمت بضم التاء فعل وفاعل سنة بضم السين مفعول به من بفتح الميم موصول اسمى مضاف إليه أحيا الظلام فعل وفاعل ومفعول والجملة صلة من وعاندها فاعل أحيا المستتر فيه إلى حرف جر وغاية أن بفتح الهمزة وسكون النون وكسر لالتقاء الساكنين موصول حرفى اشتكت قدماه فعل وفاعل صلة أن الضر بضم الضاد المعجمة مفعول اشتكت من ورم جار ومجرور فى موضع الحال من الضر أو متعلق باشتكت على أن من للتعليل وشد بفتح الشين المعجمة فعل وفاعل مستتر من سبب بفتح السين المهملة والنيين المعجمة متعلق بشد ومن للتعليل أحشاء مفعول شد وطوى بفتح الطاء والواو معطوف على شد تحت ظرف مكان منصوب بطوى الجارة مضاف إليها كشحا بفتح الكاف وسكون الشين (٢٥) المعجمة وبالهاء المهملة مفعول طوى مترف

بالتاء الفوقية الساكنة والراء المهملة المفتوحة وبالفاء نعت كشحا الأدم بفتح الهمزة والدال المهملة مضاف إليه من إضافة اسم المفعول إلى نائب الفاعل والأصل مترفا أدمه أى منعما جلده وراودته الجبال فعل وفاعل ومفعول الشم بضم الشين المعجمة نعت من ذهب فى موضع الحال من الجبال عن نفسه متعلق براودته فأراها بفتح الهمزة والراء المهملة فعل وفاعل مستتر ومفعول أيما بفتح الياء التحتية الشدة نعت لمصدر محذوف وما زائدة

(قوله وأكدت زهده فيها الخ) التأكيد التقوية والزهد ترك الشيء وقلة الرغبة فيه والضمير المجرور بنى راجع للجبال التى تكون من ذهب وبعضهم جعله راجعا للعالم والأولى أولى لعدم تقدم ذكر الدنيا وإن كانت معلومة من المقام والضرورة شدة الحاجة ولا يخفى أن زهده مفعول مقدم وضرورته فاعل مؤخر وإنما أكد ضرورته زهده فيها لأن الإعراض عن الشيء وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج إليه دليل جلى وبرهان قطعى على الزهد فى ذلك الشيء وقوله إن الضرورة الخ مستأنف استثنافا يائنا لكونه واقعا فى جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له كيف تؤكد ضرورته زهده فيها منع أن الضرورة تقتضى الإقبال عليها وعدم الإعراض عنها فقال إن الضرورة الخ وقوله لا تعدو على العصم أى لا تعدى عليها يقال عدا عليه أى تعدى عليه وفى كلامه حذف مضاف أى على ذوى العصم وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا إن قرئ العصم بكسر العين وفتح الصاد كما هو المشهور على أنه جمع

(ع - باجورى - بردة) شتم بفتح الشين المعجمة والميم مضاف إليه والتقدير فأراها شتما أى شتم وأكدت فعل ماض وتاء تأنيث زهده مفعول أكدت ومضاف إليه فيها متعلق بزهده ضرورته بالرفع فاعل أكدت ومضاف إليه إن الضرورة إن واسمها لانافية تعدو بالعين المهملة فعل وفاعل مستتر خبر إن على العصم بكسر العين وفتح الصاد المهملتين متعلق بتعدو [ومعنى الأبيات الأربعة] تركت طريقة نبى أحيا الليالى المظلمة مع علو قدره وارتفاع مكانه لإقامة وظائف العبودية على قدميه الكريمتين حق ظهر الوجع والورم عليهما وشد وسطه المبارك بالحجر وطوى خصره الناعم الشريف تحت الحجارة تخفيفا لألم الجوع لالعجز والقصور عن تدبير مالا بد منه فى أمر المعيشة فإن الجبال العوالى من الذهب الخالص كانت تدعوه إلى نفسها فكان يمرض عنها ويظهر لها أعلى ترفع واستغناء ومما يؤكد زهده فى زخارف الدنيا حاجته الضرورية وفائقته الزائدة والضرورات تبيح المحظورات فكيف المباحات المحتاج إليها والضرورة لا تمنع العصمة ، أما إحياؤه الليل فمن قوله تعالى - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية ، وأما نورم قدميه فمن قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلاأكون عبدا شكورا روى الشيخان وأما شدة الحجر على بطنه من الجوع قيد وقع له فى حفر الخندق روى البخارى ، وأما مراودة الجبال له فمأخوذة من حديث إن جبريل قال له إن الله تعالى يقول لك أحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حينما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لادار له الحديث بطوله فى الشفاء .

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةً مِّنْ

لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِّنَ الْعَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ السَّكُونَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ

نِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِّنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

العدم المراد به هنا التقدم على الممكنات قبل وجودها والسيد الجليل العظيم والكونان الدنيا والآخرة والثقلان الإنس والجن والثقل بالفتح النفيس من الشيء وأنفس ما على وجه الأرض الإنس والجن فلذلك سميا ثقلين والفريقان العرب والعجم والفریق الجماعة الكثيرة والعربي ما فصح بلغة العرب والعجمي بخلافه .

[الاعراب] وكيف متعلق بتدعو

بمعنى ما الناقية تدعو فعل مضارع إلى الدنيا متعلق بتدعو ضرورة فاعل تدعو من موصول اسمي مضاف إليه لولاه جار ومجرور عند سيبويه لم تخرج بضم التاء وفتح الراء جازم ومجزوم الدنيا نائب فاعل تخرج من العدم متعلق بتخرج وجملة لم تخرج الى آخره جواب لولا ولولا وجوابها صلة من وعاندها الهاء من لولاه عه بالرفع بدل من فاعل أحيا في البيت السابق أو مبتدأ وسيد نعمته أو خبره الكونين مضاف إليهما والثقلين والفریقین معطوفان على الكونين من عرب بضم أوله وسكون ثانيه حال من الفریقین ومن عجم بفتح حين معطوف على من عرب ومن فيهما للبيان .

[ومعنى البيتين] أنه صلى الله عليه وسلم لا تدعوه الضرورة الى حطام الدنيا الفانية فإن الدنيا ما أخرجت من العدم إلى الوجود إلا لأجله وكيف

لا يكون كذلك وهو سيد أهل الدنيا والآخرة وسيد الإنس والجن وسيد العرب والعجم .

عصمة فان قرئ* العصم بفتح العين وكسر الصاد كما استصوبه ابن مرزوق على أن أصله عصيم بمعنى معصوم حذفت ياءه للضرورة فلا حذف في كلامه وعلم من ذلك الفرق بين ضرورة من عصمه الله تعالى وضرورة غيره لأن ضرورة من عصمه الله لا تدعوه إلى أحسن الأشياء فضلا عن أحسها وضرورة غيره تدعوه إلى أحسن الأشياء حتى إنها تبيح له تناول ما لا ينبغي تناوله ولو كان محرم الأصل كالميتة وفي كلام المصنف إشارة إلى جواز وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد وهو الحق خلافا لمن منعه معالا بأن الزهد في الشيء فرع عن التعلق به لكن قد عيب على هذا البيت والذي بعده في إثبات الضرورة له صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يثبت له عليه الصلاة والسلام أصل الحاجة فضلا عن الضرورة ، وما أحسن قوله في التهمزية :

مستقل دينك أن ينسب الامتصاصك منها إليه والإعطاء

(قوله وكيف تدعو الخ) استفهام إنكاري بمعنى التثني أي لا تدعو الخ والدعاء الطلب والليل وقوله الى الدنيا متعلق بتدعو والدنيا صفة في الأصل ثم نقلت الى الاسمية فجعلت اسما لهذه الدار التي نحن فيها وقد تطلق على أعراضها وزخارفها من المال والجاه وما أشبههما وهذا هو المراد هنا وقوله ضرورة من أي ضرورة نبي وأرسول فمن واقعة على نبي وأرسول وقد تقدم الكلام على الضرورة وقوله لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ببناء الفعل وهو تخرج للفعل أول الفاعل وإن اقتصر بعضهم على الأول أي لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد فوجوده صلى الله عليه وسلم علة في وجودها فلو كانت ضرورته تدعو الى الدنيا لكان وجوده معلولا لوجودها وهو خالف والأصل في ذلك ما رواه الحاكم والبيهقي من قول الله تعالى لآدم لما سأله بحق عه أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة وكان رأى على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله عه رسول الله سألتني بحقه أن أغفر لك وقد غفرت لك ولولاه ما خلقتك فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم وآدم أبو البشر وقد خلق الله لهم ما في الأرض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك كما هو نص القرآن قال تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وإذا كانت هذه الأمور إنما خلقت لأجل البشر وأبو البشر إنما خلق لأجله صلى الله عليه وسلم كانت الدنيا إنما خلقت لأجله فيكون صلى الله عليه وسلم هو السبب في وجود كل شيء (قوله عه الخ) أي المدح عه الخ فهو خبر مبتدأ محذوف على قراءته بالرفع وصح فيه النصب على أنه مفعول لفعل محذوف أي أمدح عها ويجوز الجر على أنه بدل من الموصول الذي في قوله وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من الخ وقوله سيد الكونين أي أشرف أهل الكونين فهو على تقدير مضاف والمراد بالكونين الدنيا والآخرة وقوله والثقلين أي الإنس والجن وإنما سميا ثقلين لثقلهما الأرض أول ثقلهما بالذنوب والعطف في ذلك من عطف الخاص على العام وكذلك العطف في قوله والفریقین ونسكته التصريح به في مقام المدح ونصف البيت الياء من الثقلين فزيادة بعض الناس

نَبِيْنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمْ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تَرْجَى شَفَاعَتَهُ لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمٍ

النبي يلاهمز من النبوة وهي الارتفاع وبالهمز من النبأ وهو الخبر فهو على الأول المرتفع عند الله تعالى وعند الناس وعلى الثاني الخبر عن الله تعالى والأمير اسم فاعل من الأمر وهو طلب الفعل (٢٧) والناهي من النهي وهو طلب الترك وأبر

أصدق اسم تفضيل والرجاء الأمل والشفاعة السؤال للغير في الخلاص من الأمر الهول والهول المخافة والافتحام الوقوع بفتنة في الشدة .

[الاعراب] نبينا الأمر الناهي نعوت لمحمد أو أخباره فلا حرف نني عامل عمل ليس أحد بالرفع اسمها وأبر بالنصب خبرها ويجوز رفعها على إجمال لا ورفع ما بعدها على الابتداء والخبر وعلى الوجهين لا يتوّن لأنه غير منصرف للوصف والوزن لكونه اسم تفضيل في قول بلا تتوّن متعلق بأبر وهو مضاف ولا مضاف إليه من إضافة المصدر إلى المفعول بعد حذف فاعله . فإن قلت الحروف لا يضاف إليها . قلنا المراد لفظها منه متعلق بأبر والضمير له صلى الله عليه وسلم ولا حرف نني نعم بفتح النون والعين في محل جر بمضاف محذوف مماثل للذكور والتقدير ولا يقول نعم ولا ونعم من أحرف الجواب أي لأحد أبرمه في قوله لا ولا في قوله نعم ، هو الحبيب مبتدأ وخبر الذي نعت الحبيب ترجى فعل مضارع مبني للمفعول شفاعته نائب الفاعل والجملة صلة الذي والعائد الهاء المجرورة بالإضافة لِكُلِّ متعلق بترجى هول مضاف إليه من الأهوال نعت هول مقتحم بضم الميم وسكون القاف وفتح التاء والهاء المهملة نعت هول أيضا [ومعنى البيتين] نبينا الأمر

لفظ خير قبل الفريقين خطأ وقوله من عرب ومن عجم بيان للفريقين والعرب بضم العين وسكون الراء لغة في العرب بفتحهما والمراد بالعجم جميع غير العرب (قوله نبينا الخ) يجري في قوله نبينا أوجه الأعراب الثلاثة كما تقدم في عمده والإضافة في نبينا لتشريف المضاف إليه وقوله الأمر الناهي أي عن الله تعالى وهذا يستلزم كونه رسولا فهو في قوة أن يقول الرسول وقوله فلا أحد أبر في قول لأمته ولأنهم أي إذا أمروني فلا أحد أصدق منه في الأمر والنهي وقدير عن النهي يقول لا وعن الأمر يقول نعم ويحتمل أنه كفى بلا عن الخبر المنفي ونعم عن الخبر المثبت إما مطلقا أو عن الثواب والعقاب وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم أصدق الناس في الخبر ولا في قوله ولأنهم زائدة لتأكيد النفي وما ورد من أنه لم يقل لا قط محمول على أنه لم يقل لافي شيء مثل عنه من حوائج الدنيا بل إن كان عنده شيء أعطاه لأسائل وإن لم يكن عنده شيء سكت أو وعده وبأنه بعضهم حق قال :

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وهذا باعتبار الغالب وإلا ففي صحيح البخاري إن الأشعرين جاءوا إليه صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يحملهم فقال والله لا أحملكم إلى آخر الحديث [وهذا البيت والذي بعده] خاصيتهما التخلص من الوقوع في الشدائد فمن واظب على قراءتهما خلس من الوقوع في الشدائد ومن وقع في شدة قبل قراءتهما وكرر قراءتهما في جوف الليل وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم رفعت عنه تلك الشدة (قوله هو الحبيب الخ) الضمير راجع لمحمد أولئنا والحبيب إما بمعنى محب فيكون اسم فاعل أو بمعنى محبوب فيكون اسم مفعول وعلى كل فالمراد هو الحبيب لله أولأتمته لأنه أعظم محب لله وأفضل محبوب له وهو أيضا محب لأتمته ومحبوب لها إذ من شرط كمال الإيمان أن يكون أحب من المال والولد والنفس فقد قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنك أحب إلى من مالي وولدي والناس أجمعين دون نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام لا يكمل إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنبيك فقال عمر رضي الله عنه أنت أحب إلى من نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام قد كمل إذا إيمانك وهذا ترق لسيدنا عمر في الحال بيركته صلى الله عليه وسلم أو أن ذلك كان كامنا في نفسه غير أنه لحذته لم يتنبه لذلك إلا بعد أن نبهه صلى الله عليه وسلم وهذا هو اللائق بالأدب لكنه بعيد جدا وقوله الذي

بالمعروف الناهي عن المنكر ومن عادة أولى الأمر والنهي والتجافي والغلظة على الأمور والنهي ونبينا صلى الله عليه وسلم مع شدة بأسه في الحق والغلظة فيه فهو ألطف الناس وألينهم جانباً بالبر والشفقة فلا توجد منه غلظة في قول لا عند المنع ولا في قول نعم عند السؤال ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهو الحبيب الذي تؤمل شفاعته يوم القيامة لِكُلِّ خوف وفزع يرمى الإنسان نفسه فيه من شدة الشهوة من رؤيته .

ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مفتحم أى الذى تتوقع شفاعته وهى طلب الخير للغير عند كل هول فاللام بمعنى عند والهول هو الأمر المخوف حال كون ذلك الهول بعض الأهوال المفزعة موصوف ذلك الهول بأنه مفتحم فيه أى واقع فيه الناس فهو من باب الحذف والإيصال لحذف الجار واتصل الضمير والاتحام هو الوقوع فى الشيء كرها يقال اقتحم زيد الأمر إذا وقع فيه كرها وإنما عبر بالرجاء مع أن شفاعته صلى الله عليه وسلم مقطوع بها إشارة الى أنه لا ينبغي للشخص أن يهتمك فى العاصى ويتكلم على الشفاعة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات منها شفاعته فى فصل القضاء حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار لشدة الهول وهذه هى الشفاعة العظمى وتسمى القام المأمود لأنه يحمد به عليها الأولون والآخرون وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى دخول جماعة الجنة بغير حساب بل يقومون من قبورهم لقصورهم وهذه مختصة به صلى الله عليه وسلم أيضا ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى جماعة استحقوا النار أن لا يدخلوها بل يدخلون الجنة وكذلك هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى جماعة دخلوا النار أن يخرجوا منها وهذه غير مختصة به صلى الله عليه وسلم بل تكون لغيره أيضا من العلماء والأولياء ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى رفع درجات أناس فى الجنة وهذه لم يثبت اختصاصها به صلى الله عليه وسلم لكن جوزه النورى ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف العذاب عن بعض الكافرين كعمه أبى طالب على القول بأن الله لم يحبه فأمن به صلى الله عليه وسلم وهو المشهور والذى يحب أهل البيت يقول بأن الله أحياء وآمن به صلى الله عليه وسلم والله قادر على كل شيء ولا ينافى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف العذاب عن بعض الكافرين قوله تعالى لا يخفف عنهم لأن النقي إنما هو تخفيف عذاب الكفر فلا ينافى أنه يخفف عنهم عذاب غير الكفر على أحد الأجوبة فى ذلك (قوله دعا إلى الله الخ) أى دعا إلى دين الله كما قال تعالى ادع إلى سبيل ربك وهو الإسلام فى كلام المصنف حذف مضاف والفعل محذوف أى عباده وهو شامل للملائكة فقد دعاهم صلى الله عليه وسلم تشريفا لهم وتعريفا لمالم يكونوا يعرفونه لأنهم إذا عرفوا من آدم عليه السلام مالم يكونوا يعرفونه فليعرفوا منه صلى الله عليه وسلم مالم يكونوا يعرفونه بالطريق الأولى وقوله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم أى كما قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والمراد من الحبل السبب كما هو أحد إطلاقيه والقسم بالقاء القطع من غير إبانة بخلاف القسم بالقاف فإنه القطع مع الإبانة ونفى الأضعف يستلزم نفي الأقوى فكونه غير منفصم يستلزم كونه غير منقسم وإنما لم يقل فالهيبون له الخ وإن كان هو المناسب للدعاء تنبيها على أن مجرد الإجابة بالقول ونحوه لا يكتفى فى النجاة من المهالك بل لا بد من الاستمسك به صلى الله عليه وسلم كما يفعل من يصعد من مهوى فى تعلقه بالحبل

دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منقسم
أى دعا المرسل إليهم إلى دين الله تعالى
والاستمسك الاعتصام والحبل السبب
والمنقسم بالقاء المنقطع .

[الاعراب] دعا فعل ماض وفاعله
مستتر فيه جوازا يعود إلى النبي صلى
الله عليه وسلم إلى الله متعلق بدعا
فالمستمسكون مبتدأ به متعلق
بالمستمسكون ، مستمسكون خبر المبتدأ
وسوغ ذلك اختلافهما تعريفيا وتنكيلا
ومتعلقا بحبل بالحاء المهملة والباء
للوحد متعلق بمستمسكون غير بالجر
نعت حبل منقسم بالقاء والصاد المهملة
مضاف إليه .

[ومعنى البيت] دعا صلى الله عليه
وسلم الإنسان والجن إلى دين الإسلام
فمن اعتصم به صلى الله عليه وسلم وآمن
بعما جاء به فهو منقسم بسبب متصل
غير منقطع .

والتزامه به وإن قصر في الاستمساك ولو لحظة هوى [وقائدة هذا البيت] حفظ
الإيمان والأمان من سلبه بأن يقال بعد كل صلاة عشر مرات مفتحة بالصلاة والسلام
على النبي بصيغة مخصوصة وهي اللهم صلّ وسلم على نبيك البشير الداعي اليك بإذنك
السراج المنير (قوله فاق النبيين الخ) أي زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين وكذا
على غيرهم بالطريق الأولى في خلق بفتح الحاء وسكون اللام وهو الصورة والشكل
وفي ذائق. بضمهما وهو ما طبع عليه الإنسان من الحصول الحميدة كالعلم والحياة
والجود والشفقة والحلم والعدل والعفة وأمثال ذلك فقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم
ما تفرق في غيره من تلك الحصول وقد ذكر بعضهم أن من تمام الإيمان أن يعتقد
الإنسان أنه لم يجتمع في أحد من المحاسن الظاهرة والباطنة مثل ما اجتمع فيه صلى
الله عليه وسلم. واعترض على الناظم بأن مقتضى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم فاق
النبيين في بعض الخلق بفتح الحاء وسكون اللام وبعض الخلق بضمهما لأن كلا
منهما نكرة وهي في سياق الإثبات لا تتم وهذا ليس بمدح تام لأنه يحتمل بعد ذلك
أن يساويهم في البعض الآخر ويحتمل أن يفوقوه فيه وعلى هذا فإن كان ما فاقوه
فيه مثل ما فاقهم فيه حصات العادلة وإن كان أكثر انعكس ما قصده المصنف من
المدح. وأجيب بأن المراد في خلقهم وفي خلقهم فهم مضافان في المعنى فيعلمان
على أن النكرة في سياق الإثبات قد تم ولما لم يلزم من كونه فاقهم في ذلك نفي
مقاربتهم له نفاها بقوله ولم يدانوه أي لم يقاربوه وقوله في علم ولا كرم أي ولا غيرها
وإنما اقتصر المصنف عليهما لأن العلم رأس الفضائل والكرم رأس القواضل
ولا يرد على ذلك ما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء كقوله صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوا بين الأنبياء لأنه محمول على تفضيل يؤدي إلى تنقيص وليس في ذلك تنقيص
لأحد من النبيين لأننا نعتقد أنهم متصفون بالكمال والنبي أكمل قال تعالى تلك
الرسول فضلنا بعضهم على بعض قال ابن عباس المراد بالبعض الأول محمد صلى الله
عليه وسلم (قوله وكلهم من رسول الله الخ) هذا البيت كالدليل للبيت قبله والجار
والمحور متعلق بقوله ملتمس والإضافة في رسول الله للعهد والمعهود وهو سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من قوله ملتمس آخذ وإن كان الالتماس معناه
في الأصل الطلب وقوله غرنا من البحر أورشفا من الديم أي حال كون بعض
الملتسمين مغترفا من البحر وبعضهم مرشفا من الديم فهو إشارة إلى اختلاف أحوال
الملتسمين فأولو العزم مثلاً أكثر التماساً من غيرهم فأو في ذلك للتوزيع والتقسيم
والغرف مصدر عرف بمعنى أخذ والبحر ضد البرسمى بذلك لعمقه واتساعه والرشف
المص والديم جمع ديمة وهي المطر الدائم يوما وليلة من غير رعد والمراد من البحر
والديم هنا علمه وحلمه صلى الله عليه وسلم فكل منهما استعارة تصريحية وكل
من الغرف والرشف ترشيح وإنما عبر في جانب البحر بالغرف وفي جانب الديم
بالرشف لأن الغرف مناسب للبحر لسكنته دون الديم لأنها تجري على وجه الأرض

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي
وَلَمْ يَدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسِينَ
غُرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْرَشَفًا مِنَ الدِّيمِ

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ مِنْ نَقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ

فاق أى علا والخلق بفتح الحاء وسكون اللام الخلق ، والخلق ضممتين السجدة والطبيعة ويدانوه يقاربوه وملتس أى أخذ غرقا مصدر غرفت يبدى من البحر والرشف الص والديم جمع ديمة المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق ولديه عنده والحد هنا الغاية والنقطة واحدة النقط والشكلة واحدة الشكل من شككت الكتاب أى قيدته بحركات الاعراب مأخوذ من شككت الدابة إذا قيدتها بالشكال والحكم بكسر الحاء وفتح (٣٠) السكاف جمع حكمة بفتحيتين مأخوذ من حكمة اللجام لأنها تمنع

الفرس من الجراح ويسمى العالم حكيا لأنه يمنع من الخطأ .

[الاعراب] فاق النبيين فعل وفاعل ومفعول فى خلق بفتح الحاء وسكون اللام وفى خلق بضمهما متعلقان بفاق ولم يدانوه جازم ومجزوم وعلامة الجزم حذف النون فى علم بكسر العين متعلق يدانوه ولا كرم معطوف على علم وأعاد لاثنا كيد النقي وكلهم مبتدأ من رسول الله متعلق بملتس ملتس خبر البتداء وأفرده مراعاة للفظ حكمل غرقا بفتح العين المعجمة وسكون الراء وبالفاء مفعول ملتس من البحر متعلق بغرقا أورشفا بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالفاء معطوف على غرقا من الديم بكسر الدال المهملة وفتح الياء التحتية متعلق برشفا وواقفون معطوف على ملتس وجمعه مراعاة لغير كل لديه عند متعلقان بواقفون حدم بفتح الحاء الهملة مضاف إليه من نقطة بضم النون وسكون القاف وبالفاء الهملة متعلق بحدم أى بياتهم العلم بكسر العين مضاف إليه أو حرف عطف وتنقسم من شكلة بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف

فلا يجتمع منها ماء غالبا حتى يقترب (قوله وواقفون الخ) عطف على قوله ملتس لكن نظر فى أحدهما للفظ كل وفى الآخر للمعناه ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدم أنهم ثابتون عنده صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند الحد الذى حد لهم من ذلك فلا يتجاوزونه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يزل يترقى بعد ذلك فنهاية مراتبهم فى العلم والحكم مبدأ ما أوتيه صلى الله عليه وسلم منهما فوقوقهم لديه صلى الله عليه وسلم وقوف ذى القاية عند مبدأ غيره وقوله من نقطة العلم أو من شكلة الحكم بيان لحدم والمعنى على التشبيه والإضافة فى الموضعين على معنى من أى الذى هو كنقطة من العلم أو كشكلة من الحكم والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قاله بعض الشارحين وقيل المراد بهما علم الله وحكمه . وحاصل المعنى على الأول أنهم ثابتون لديه صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند حدم الذى هو كنقطة من علم الرسول أو كشكلة من حكمه صلى الله عليه وسلم . وحاصل المعنى على الثانى أنهم ثابتون لديه فى العلم والحكم عند حدم الذى هو كنقطة من علم الله أو كشكلة من حكمه تعالى فعلهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله وحكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكلة من حكمه تعالى وهذا أبلغ فى مدحه صلى الله عليه وسلم من الأول لكن الأقرب الأول وعلى كل فإذ للتبويب والتقسيم وإنما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لأن النقطة غير الحروف المشبهة بالصورة والعلم خاصته التميز لأنه صفة تقتضى تميزا لا يحتمل التفيض بوجه والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال والحكمة فأثبتها وضع الشيء فى المكان الذى يستحقه على أكل وجه لا يخل النظام (قوله فهو الذى تم الخ) مفرع على قوله فاق النبيين الخ لكن على اللف والنشر للشوش لأن معناه يرجع للخلق بضميتين وصورته ترجع للخلق بفتح الحاء وسكون اللام فإن المراد من معناه كلاله الباطنية كما هو المراد من الخلق بضميتين والمراد بصورته صفاته الظاهرية كما هو المراد بالخلق بفتح الحاء وسكون اللام وقوله ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم أى ثم اختاره حبيبا خالق الخلق والنسم بفتح النون المشددة جمع نسمة بفتحات وهى الإنسان وإنما خص الوصف المذكور من بين أوصافه تعالى تنبيها على أنه تعالى خلقه معطوف على من نقطة الحكم بكسر الحاء الهملة وفتح الكاف مضاف إليه ،

على

[ومعنى الآيات الثلاثة] أنه صلى الله عليه وسلم علا جميع النبيين فى الخلق والسجدة ولم يقاربوه فى العلم ولا فى الكرم كما سيأتى بيانه فى قوله يأ كرم الرسل وفى قوله ومن علومك علم اللوح والقلم ومن النبيين آخذ من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار غرفة من البحر أو مصة من المطر الغزير وكلهم واقفون عند غايتهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم وخص الشكلة بالحكم لزيادة التفهم بها على النقطة .

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

تمّ أي كمل بتلث الميم ومعناه حالة باطنه وصورته حالة ظاهره واصطفاه اختاره والباري الخالق والنم جمع نسمة بفتحين وهي الإنسان والتزّه البعد والمحسن جمع محسن بمعنى الحسن والبهاء وجوهر الشيء أصله والاقسام الافتراق .

[الاعراب] فهو مبتدأ الذي خبره وسوغ ذلك صلته تمّ بفتح التاء المثناة فوق فعل ماضٍ معناه فاعله والجملة صلة الذي وصورته بالرفع معطوف على معناه وبالنصب على المفعول معه ثم ضم المثناة حرف عطف اصطفاه معطوف على تمّ معناه حبيبا حال من الهاء باري فاعل اصطفاه النسم مضاف إليه منزّه خبر ثانٍ لهو عن شريك متعلق بمنزّه في محاسنه متعلق بشريك جواهر مبتدأ الحسن مضاف إليه فيه متعلق بمحذوف خبر البتداء غير بالرفع خبر بعد خبر وبالنصب على الحال من ضمير الاستقرار المنتقل إلى الجار والمجرور قبله منقسم مضاف إليه .

[ومعنى البتين] هو الذي كمل باطنه في الكالات وظاهره في الصفات ثم اختاره خالق الإنسان حبيبا ليس له في محاسنه شريك من البشر وجوهر حسنه لا يقبل القسمة بينه وبين غيره كما أن الجوهر الفرد الذي يتوهم في الجسم ويقول التكلمون إن الجسم مركب منه غير منقسم بوجه من الوجوه لا بالقرض ولا بالوهم ومن كان موصوفا بكال الصفات باطنا وظاهرا كان محبوبا .

على تلك الصورة ووقفه تلك الأخلاق الحميدة ومن ذلك يعلم أن تمّ ليست للترتيب في الصفات كما قاله بعضهم بل للترتيب في الذكر والاختيار ويمكن حمل كلام بعضهم على ذلك بأن يجعل على تقدير مضاف والأصل للترتيب في ذكر الصفات (قوله منزّه الخ) أي وهو منزّه الخ وقوله عن شريك أي عن كل شريك لأنه نكرة في سياق النفي معنى فإن النفي لا يوجد له شريك والنكرة في سياق النفي ولو معنى تمّ وقوله في محاسنه أي صورة ومعنى وقد تنازعه كل من منزّه وشريك والمحسن جمع محسن على القياس وقيل جمع حسن على غير قياس . واعترض على المصنف بأن النبيين مشاركون له صلى الله عليه وسلم في المحاسن كالنبوة والرسالة فكيف يقول منزّه عن شريك في محاسنه . وأجيب بأن ما عندهم من المحاسن مثل النقطة أو الشكلة كما يدل عليه ما ذكره سابقا في العلم والحكم وحينئذ فلا مشاركة وقوله جواهر الحسن الخ مفرع على قوله منزّه عن شريك الخ والمراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته وقوله فيه أي الكائن فيه وقوله غير منقسم أي بينه وبين غيره لاختصاصه به بخلاف يوسف فإنه أعطى شطر الحسن وإنما لم يفتن به صلى الله عليه وسلم كما افتن يوسف عليه السلام لأن جماله صلى الله عليه وسلم ستر بجلاله فلم يمكن أحدا أن يتأمل فيه حق يفتن به (قوله دع مادعته النصارى الخ) هذا البيت احتراسا عما بوجهه قوله منزّه عن شريك في محاسنه من شموله لصفات الإله فدفع ذلك بهذا البيت وفيه إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله والمراد بما ادعته النصارى في نبيهم قولهم بأنه إله لأنهم يقولون بأن الله إله عيسى إله ومريم إله وبعض فرقهم يقول بأنه ابن الله كما قال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله والنصارى هم قوم عيسى وصموا بذلك لأنهم نصره والإضافة في نبيهم لرد عليهم في دعواهم الألوهية له مع أنهم يسلون أنه نبيهم والنبي ليس إلها فلاتنافي الإضافة أن سيدنا محمدا نبيهم أيضا خلافا لما قد يتوهم من ظاهر الإضافة من أنه صلى الله عليه وسلم ليس نبيا لهم وقوله واحكم بما شئت مدحا فيه أي احكم بما شئت بما يدل على شرفه وعلوّ شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه صلى الله عليه وسلم ذاتا وصفات أخذا من قوله وانسب الخ وقوله واحكم أي راع الحسنة في مدحك له صلى الله عليه وسلم بأن تأتي بالمدح اللائق بحجابه الشريف وقدره الشريف دون غير اللائق بذلك الجنب فليس قوله واحكم حشوا كما قيل لأنه أفاد أنه وإن جاز لك مدحه صلى الله عليه وسلم بما شئت غير مادعته النصارى في نبيهم يتعين عليك مراعاة الحسنة في مدحه عليه الصلاة والسلام ومن هذا يعلم أن ما يقع من التقرّز بآيات مشتملة على صفات الأحداث لا يجوز حملها على النبي صلى الله عليه وسلم لأن ذلك إساءة أدب لكونه لا يليق بالجنب الشريف ولذلك لم يقع مثل هذا من أحد من مداحه صلى الله عليه وسلم كحسان والمصنف وابن روضة

وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وَأَنْسَبَ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمٍ

دع أى اترك والنصارى جمع نصران كسكاري جمع سكران وقيل نصران اسم قرية والنسب اليها نصراني وقيل نصراني منسوب الى ناصرة قرية للمسيح وقيل الياء في نصراني للبالغة سموا نصارى لأنهم نصرؤوا للمسيح واحكم أى اقض والمدح الثناء الحسن والاحتكام الاختصاص وانسب اعز والشرف (٣٣) الرفعة والذات الحقيقة وقدر الشيء ومقداره مبلغه والعظم التعظيم والحد الغاية فيعرب أى يبين .

[الإعراب] دع فعل أمر وفاعل ما موصول اسمي في محل نصب على المفعولية لسع ادعته فصل ومفعول النصارى فاعل والجملة صلة ما والعائد ضمير المفعول في نبيهم متعلق بادعته واحكم فعل أمر وفاعل ما متعلق باحكم وما موصول اسمي شئت بفتح التاء فعل وفاعل صلة ما وعائدها محذوف أى شئته مدحا منصوب بنزع الخافض أى من مدح على وزان ما يأتى بعده فيه متعلق بمدحا واحكم وانسب بضم المهملة فعلا أمر معطوفان على دع ذاته بالذال المعجمة متعلق بانسب ما اسم موصول في موضع نصب على المفعولية بانسب شئت بفتح التاء فعل وفاعل صلة ما والعائد محذوف تقديره شئته من شرف بيان لما متعلق بانسب وانسب إلى قدره ما شئت من عظم بكسر العين وفتح الظاء المعجمة المشالة واعرابه على وزان اعراب صدره حرفا بحرف فإن حرف توكيد ونصب فضل اسمها رسول مضاف إليه ومضاف أيضا الله مضاف إليه ليس فعل ماض ناقص له

(قوله وانسب الى ذاته الخ) هذا البيت تفصيل لما أجمله في قوله واحكم بما شئت مدحا الخ ويؤيد ذلك ما في بعض النسخ من التعبير بالقاء بدل الواو وبعض الشارحين حمل قوله واحكم بما شئت الخ على أن المراد أنك تحكم بصحة ما شئت مما سمعته من جهة المدح الكائن من غيرك وحمل قوله وانسب الى ذاته الخ على أن المراد أنك تبائر المدح وتنشئه والأول أقرب كما لا يخفى وقوله ما شئت من شرف أى الذى شئته من صفات الشرف كتناسب الأعضاء من البياض المشرب بحمرة ونظافة الجسم وطيب العرق وفصاحة اللسان وبلاغة القول ووفور العقل وذكاء اللب وغير ذلك وقوله وانسب الى قدره ما شئت من عظم أى وانسب الى كماله الذى شئته من صفات العظم كالكرم والفضو والصفح والحلم والعلم وأمثال ذلك ومن في الموضعين لبيان الجنس وخص الذات بالشرف لمناسبتها لها في العلو وخص القدر بالعظم لمناسبتها له في عدم النهاية (قوله فإن فضل رسول الله الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال لأن فضل رسول الله الخ وقوله ليس له حد أى ليس له غاية ومنتهى لأنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يترقى في السكال كل لحظة قال سيدى على وفى وبشير لهذا قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى لأن مضاء الاشارى وللحظة التأخرة خير لك من اللحظة للتقدمة لأنه صلى الله عليه وسلم يترقى في التأخرة الى كالات زائدة عما ترقى إليه في التقدمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله أى انه لتراكم الأنوار على قلبي فأستغفر الله مما قبل ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن الشاذلى لما رآه في النوم وسأله عن معنى هذا الحديث إنه غين أنوار لا غين أغيار بامبارك وقوله فيعرب عنه ناطق بقم أى يفصح عن فضله صلى الله عليه وسلم متكلم بلسان فغنى يعرب يفصح وهو بالنصب في جواب النفي والضمير راجع لفضل رسول الله ومعنى ناطق متكلم والمراد من الفم اللسان وعبر عنه بالقلم لأنه محله فهو مجاز مرسل من باب اطلاق اسم المحل على الحال فيه وقوله بقم بعد ناطق للتأكيد على حد قولك سمعت بأذن ونظرت بعينى أوللاشارة الى

التصميم

خبره مقدم حد بفتح الحاء المهملة اسمه مؤخر والجملة الفعلية خبر إن فيعرب فعل مضارع منصوب

بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية في جواب النفي عنه متعلق بيعرب ناطق فاعل يعرب بقم متعلق بناطق على تقدير مضاف أى بلسان قم [ومعنى الآيات الثلاثة] اترك ما قالته النصارى في نبيهم عيسى ابن مريم عليهما السلام إنه ابن الله كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم فإن نبينا صلى الله عليه وسلم نهى عن مثل ذلك حيث قال لانظرونى كما أطرت النصارى عيسى أى لا تصفونى بذلك واحكم بعد ذلك له صلى الله عليه وسلم بما شئت من أوصاف السكال اللاتمة بجلال قدره وخاصم في إثبات فضائله من شئت من الخصماء واعزالى ذاته الشريفة ما شئت من شرف والى علو قدره العظم ما أردت من التعظيم والرفعة فقد وجدت للقول بابا واسعا فإن فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له غاية يوقف عندها فيبينها ناطق بلسان فله فأوصافه لا تحصى وفضائله لا تستقصى .

التعميم في الناطق فيشمل العرب والعجم كما قيل به في قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فان كلامه في قوله في الأرض بعد دابة وقوله يطير بجناحيه بعد طائر للتعميم فيهما (قوله لو ناسبت الخ) كأن المصنف ادعى أن آياته لم تناسب قدره في العظم وذكر هذا البيت استدلالا على ذلك فإنه أشار إلى قياس استثنائي نظمه هكذا : لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحيي اسمه دارس الرم حين يدعى به لكن لم يكن من آياته أن يحيي اسمه دارس الرم حين يدعى به فلم تناسب آياته قدره في العظم وهو المطلوب لأن الواقع أن قدره صلى الله عليه وسلم أعظم من آياته حتى من القرآن للتلو بخلاف القرآن غير التلو وهو المعنى القائم بذاته تعالى فإنه أعظم منه لأن القديم أفضل من الحادث وما شاع على الألسنة من أن كل حرف من القرآن أفضل من محمد وآل محمد فكلام باطل ولا يصح حمله على القرآن القديم لأنه ليس بحرف ولا صوت خلافا لمن زعم ذلك وقد ذكر المصنف الشرطية وحذف الاستثنائية والنتيجة ووجه الملازمة في الشرطية أن الإحياء المذكور أعظم آية وبه تكون الآيات مناسبة لقدرة صلى الله عليه وسلم أي يكون مجموعها بواسطة كون الإحياء المذكور منه مناسبا لقدرة الشريف لا كل فرد منها لأنه لا يلزم من جعل الإحياء المذكور منها أن يكون كل فرد منها مناسبا لقدرة صلى الله عليه وسلم. لا يقال كيف لم يجعل الإحياء من آياته صلى الله عليه وسلم مع جملة من آيات عيسى عليه السلام . لأننا نقول الكلام في إحياء اسمه دارس الرم حين يدعى به وهذا كما لم يجعل من آياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من آيات عيسى عليه السلام وإنما الذي جعل من آيات عيسى إحياءه الموتى بإذن الله ولا يخفى أن قدره مفعول مقدم وآياته فاعل مؤخر والمراد من قدره كمال قربه من الله تعالى والمراد بآياته أعلام نبوته كالمعجزات وقوله عظما منصوب على نزع الخافض كما أشرنا إليه ويصح أن يكون تمييزا بل هو الأولى لأن النصب على نزع الخافض سماعي لكن كثر في كلام المؤلفين حتى جرى مجرى القياسي وقوله أحيا اسمه حين يدعى دارس الرم أي أحيا الله بسبب اسمه دارس الرم حين يدعى به كأن يقال يا الله بمحمد أحى هذا الميت فاسناد الإحياء إلى اسمه مجاز عظمى وصلة يدعى محذوفة أي به والظرف متعلق بقوله أحيا ودارس الرم مفعول أحيا فهو منصوب وجوز بعضهم أن يكون مرفوعا على أنه نائب فاعل يدعى ودعاؤه باسمه كأن يقال يا ميت احى باسم محمد صلى الله عليه وسلم ودارس بمعنى مدروس وإضافته لما بعده من إضافة الصفة للموصوف أي الرم المدروسة والرم جمع رمة وهي الشيء البالي والمدروسة التي زيد في بلاؤها [وخاصة هذه الأبيات] التي أولها محمد سيد الكونين إلى آخر هذا البيت شدة قلب الغازی في سبيل الله فإنه يكتبها ويمحوها بالماء الموجود في شهر برمودة وشربها فإنه بعد ذلك لا يخاف من الحرب ولا يزول وكذلك من كتبها بماء ورد وزعفران وشربها فإن الله يثبتته عند سؤال منكر ونكير

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا

أَحْيَا اسْمَهُ حِينَ يَدْعَى دَارِسَ الرَّمِّ

ناسبت أي مائلت قدره أي مبلغه من الرفعة وآياته علاماته الدالة على عظم قدره واسمه أي تسميته ويدعى يتنادى والدارس الداهب والرم جمع رمة بكسر الراء العظم البالي .

[الاعراب] لو حرف شرط لامتناع الثاني لامتناع الأول ناسبت فعل ماض وتاء تأنيث قدره بالنصب مفعول مقدم آياته بالرفع فاعل مؤخر عظما بكسر العين المهملة وفتح الظاء المشالة تمييز أحيا فعل ماض جواب لو اسمه فاعل أحيا حين ظرف زمان منصوب بأحيا يدعى فاعل مضارع مبنى للمفعول ونائب الفاعل مستتر فيه عائد على اسمه والأصل يدعى به لحذف الباء واتصل الضمير بالفعل واستتر فيه دارس مفعول أحيا الرم بكسر الراء وفتح الميم مضاف إليه والأصل أحيا اسمه دارس الرم حين يدعى به .

[ومعنى البيت] لو كانت علاماته الدالة على رفعة مماثلة لعظم قدره كان منها إحياء الموتى إذا دعا الله تعالى أحد باسمه أن يحيى الموتى بأن يقال يا الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أحى هذا الميت فيحيا ولم يقع ذلك إذ لو وقع لنقل إلينا ولم ينقل فلم يكن إحياء الموتى بالتوسل باسمه من آياته فليست آياته مماثلة لقدرة في تعداد التعظيم بل قدره أكثر من آياته

لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ حَرَصًا عَلَيْنَا فَلَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ تَنْهَمْ

يمتحننا أى يختبرنا ويبتلينا بما تعيا أى بما تهتد العقول لوجهه حرصا أى شدة طلب وترتب نشك ونهم من هام الرجل فى أمره إذا لم يدبر له مخرجا [الاعراب] لم حرف (٣٤) نقي وجزم يمتحننا بالحاء المهملة فعل وفاعل مستتر ومفعول به

(قوله لم يمتحننا الخ) أى لم يختبرنا بشئ تعجز عنه عقولنا ولا تهتدى لوجهه لشدة رغبته فى هدايتنا بل أتى بالحنيفية الواضحة فلم تتردد فيما أتانا به ولم تحير فيه فالامتحان الاختبار وما واقعة على شئ والعى بالأمر العجز عنه وعدم الاهتمام لوجهه والعقول جمع عقل وهو قوة يميز بها بين الصالح والمفاسد والحرص على الشئ شدة الرغبة فيه والارتباب الشك والهبام التحير ولا يخفى أن قوله حرصا علينا على تقدير مضاف أى حرصا على هدايتنا وهو مفعول لأجله وقد كان صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثال بالمحسوسات ليتضح ما يخفى إدراكه على بعض العقول ، فان قيل كيف يصح قول المصنف لم يمتحننا بما تعيا العقول به مع أن فى القرآن التشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله . أجيب بأن المراد لم يمتحننا فيما كلفنا به بما تعيا العقول به وحيلشد فلا يرد التشابه لأنه لا يتعلق به تكليف لا يكلف الله نفسا الا وسعها على أن التحقيق أن الوقف على قوله تعالى والراسخون فى العلم فهم يعلمون تأويله ويعلمونه لغيرهم (قوله أعيا الورى الخ) لما أخبر المصنف فيما تقدم بعجز اللسان عن التعبير بفضائله صلى الله عليه وسلم بقوله فان فضل رسول الله ليس له حد الخ أخبرنا بعجز العقول عن إدراك كمالاته بقوله أعيا الورى الخ والاعياء الاعجاز والورى الخلق وقوله فهم معناه أى إدراك حقيقته صلى الله عليه وسلم مع ما خصه الله به من المعارف الإلهية والأسرار الربانية واسناد الإعياء الى الفهم مجاز عقلى لأن الذى أعياهم إمعان هو الله تعالى وقوله فليس يرى الخ تترجم على قوله أعيا الورى الخ وفى ليس ضمير الشأن وهو مفسر بما بعده كما هو القاعدة ويرى بالبناء للمفعول وهى بصرية وفى القرب والبعد متعلق يرى وفيه متعلق بمنفهم وفى بمعنى عن والضمير المتصل بها راجع لفهم معناه وقوله غير منفهم نائب فاعل يرى والمنفهم العاجز . وحاصل المعنى أنه أعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه فى القرب والبعد منه صلى الله عليه وسلم والتبادر أن المراد القرب والبعد بحسب المكان أى فليس يرى فى المكان القريب والمكان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن إدراكه ويحتمل أن المراد القرب والبعد بحسب الزمان أى فليس يرى فى الزمان القريب والزمان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن إدراكه ويحتمل أيضا أن المراد القرب والبعد فى المعنى فأهل الباطن الناظرون له صلى الله عليه وسلم فى عالم الشهود تضعف بصائرهم عن إدراكه صلى الله عليه وسلم لقوة إشرافه عليه الصلاة والسلام مع قربهم منه صلى الله عليه وسلم وأهل الظاهر والناظرون له صلى الله عليه وسلم فى عالم الحس لا يدركون الا شخصا مصورا وجسا مقدرا بعدهم منه صلى الله عليه وسلم (قوله كالشمس الخ)

بما متعلق يمتحننا وما موصول اسمي تعيا يسكون العين المهملة وفتح الشاء التحتية فعل مضارع العقول فاعل تعيا به متعلق بتعيا والجملة صلة ما وفائدتها الهاء المجرورة بالباء حرصا مفعول لأجله علينا متعلق بحرصا فلم حرف جزم ترتب بفتح النون وسكون الراء وفتح الشاء القوية وبالموحدة فعل مضارع مجزوم بلم ولم نهم بفتح النون وكسر الهاء جازم ومجزوم معطوف على ما قبله والأصل ترتب ونهم حذف الألف والياء لالتقاء الساكنين وكسر حرف الروى للقافية .

[ومعنى البيت] لم يبتلنا بخطاب لانهتدى عقولنا الى المراد منه حرصا علينا أن لا نضل فلا نشك فيما أتانا به ولا نهم فيه .

أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَعِمٍ كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْمَعْمُومِينَ مِنْ بُعْدِ صَعْوَةٍ وَتُكَلِّلُ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ أَعْيَاءُ الْأَمْرِ إِذَا أَعْجَزَهُ وَالْوَرَى الْخَلْقُ وَالفهم المعرفة ومعناه حاله ويرى يبصر ومنفهم من انفهم الرجل إذا سكت عن المجادلة ولم يجب والبعد ضد القرب وتكمل الطرف أى توقف البصر عند رؤيتها والأم القرب .

[الاعراب] أعيا يسكون العين المهملة فصل ماض الورى بفتح الواو والراء

مفعول به فهم يسكون الهاء فاعل أعيا معناه مضاف إليه فليس فصل ماض ناقص واسمه ضمير الشأن مستتر فيه يرى بالبناء للمفعول خبره للقرب متعلق يرى واللام بمعنى فى أو بمعنى مع والبعد معطوف على القرب فيه متعلق يرى والهاء لمعناه غير بالرفع نائب فاعل يرى منفهم بكسر الحاء المهملة مضاف إليه كالشمس يحتمل أن يكون فى موضع نصب على الحال من فاعل أعيا ولأن يكون نعتا لمصدر محذوف أى إعياء كإعياء الشمس أو خبر مبتدأ محذوف أى هو كالشمس تظهر

بالتاء الفوقية فعل وفاعل للعينين متعلق بتظهر من بعد بضم العين على لغة لاتبعنا لضم الياء متعلق بتظهر أيضا صغيرة بالنصب
حال من فاعل تظهر للمستتر فيه العائد الى الشمس وتكمل بضم التاء الثناة الفوقية وكسر الكاف فصل مضارع وفاعل ضمير
مستتر يعود الى الشمس الطرف بالطاء المهملة مفعول به من أم بفتح الهمزة والياء الأولى متعلق بشكل. [ومعنى البيتين]
أعجز الخلق معنى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل أحد منهم (٣٥) إليه ولا يصبره أحد في حالي القرب والبعد

إلا انقم وبالعجز اسم فهو كالشمس
تظهر في العينين صغيرة قدر المرأة
أو الترس وتوقف البصر عند رؤيتها
من قرب لو فرض ذلك لأنها كبيرة
جدا ولعجزها تكاد تخطف البصر
وتعجز فلا تدرك بكاملها وإن شوهدت
من بعد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم
لا يدرك معناه وإن شوهدت صورته

وَكَيْفَ يَدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ

قَوْمٌ نِيَامٌ تَسْلَوْنَ عَنْهُ بِالْحُلُمِ
كيف استفهام معناه الإنكار والإدراك
حصول صورة الشيء في العقل والدنيا
ضد الآخرة والحقيقة الماهية وتسألوا
قنعوا والحلم ما يراه الإنسان في المنام .

[الاعراب] وكيف متعلقة بيدرک
يدرک بضم الياء التحتية وكسر الراء
فعل مضارع في الدنيا متعلق بيدرک
حقيقته بالنصب مفعول بيدرک والضمير
المضاف إليه لعناه قوم فاعل بيدرک
نيام نعت قوم تسألوا بفتح التاء الفوقية
والسين واللام المشددة فصل ماض
وفاعل عنه بالحلم بضم الحاء واللام
متعلقان بتسألوا .

[ومعنى البيت] كيف يدرک حقيقة
معناه صلى الله عليه وسلم قوم قنعوا
برؤيته في المنام ان حصلت لهم في
الدنيا .

أى هو كالشمس الخ فهو خير مبتدا محذوف والمقصود تشبيهه صلى الله عليه وسلم
بالشمس في أنه لا يحاط بكنهه وحقيقته في حالي القرب والبعد كما وضع ذلك المصنف
بقوله تظهر للعينين الخ لأنه قصد بذلك بيان وجه الشبه وقوله من بعد أى في حالة البعد
فمن بمعنى في وبعد بضمين كما هو لغة في بعد بضم الياء وسكون العين وقوله صغيرة
أى حال كونها صغيرة بقدر المرأة مثلا فهو حال من فاعل تظهر وقوله وتكمل
الطرف بضم التاء وكسر الكاف من تكل وسكون الراء من الطرف أى وتعجز
البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها وهذا هو الأقرب وقيل لعظم جرمها فإنه قيل إنها
قدر كرة الأرض مائة مرة ونيفا وستين مرة فلا يمكن الطرف أن يحيط بها وقوله
من أم أى في حالة القرب فمن بمعنى في والأم بفتح الهمزة القرب والمراد القرب
منها فرضا فهو فرضي فقط وأما بعدها فهو واقع مطلقا وقيل إن البعد يكون في حال
طلوعها وغروبها والقرب يكون في غير ذلك والأول أقرب ولذلك اقتصر عليه
بعض الشارحين (قوله وكيف يدرک الخ) هذا البيت في قوة التعليل لقوله أعيا الورى
فهم معناه الخ وكيف الاستفهام الإنكارى وهو بمعنى النفي أى لا يدرك الخ واحترز
بقوله في الدنيا عن الآخرة فانهم يدركون فيها حقيقته صلى الله عليه وسلم لأنه يحصل
لهم إذ ذاك الانتباه ويكمل نور أبصارهم وبصائرهم فيدركون الحقائق والدقائق
والأسرار فيظهر لهم حينئذ قدره صلى الله عليه وسلم ومنزله ولذلك قدروا حينئذ
على رؤية الحق سبحانه وتعالى فعدم رؤيتهم له تعالى في الدنيا الضعف قواهم وكونها
عرضة للفناء فإذا رزقوا قوى قوية مثبتة رأوا الباقي بالباقي والمراد بحقيقته صلى الله
عليه وسلم قدره ومنزله وقوله قوم نيام أى قوم غافلون عن النظر في حقيقته وهذا
وصف لازم لا يخص كما يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فإذا ماتوا
انتبهوا والمراد بالقوم جميع الورى وقوله تسألوا عنه بالحلم بضم اللام كما هو لغة في الحلم
بسكونها أى اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلا بما يشبه الحلم بما أدركوه بالخبر
جملة كذا يؤخذ من كلام بعض الشارحين ويحتمل أنه على ظاهره من أنهم اكتفوا
عن النظر في حقيقته بما يرونه في منامهم إن صحت لهم رؤيته في النوم وقد اقتصر على
هذا بعض الشارحين والأصح أن رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم حق وإن روى
على غير هيئته التي كان عليها في الدنيا لحديث من رأى فقد رأى حقا وقيل لا تكون
حقا إلا إن روى على هيئته الشريفة (قوله فبلغ العلم فيه الخ) هذا البيت مفرع على

فَبَلَغَ الْعِلْمُ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

مبلغ العلم غايته والبشر الإنس يقع على الواحد والجمع والخلق المخلوق. [الاعراب] فبلغ مبتدأ العلم مضاف إليه فيه متعلق بمبلغ
أنه أن المفتوحة واسمها بشر بفتحتين خبرها وأن ومعمولاها في تأويل مصدر خبر المبتدأ وأنه خير بفتح أن جملة معطوفة على خبر
المبتدأ خلق مضاف إليه ومضاف أيضا الله مضاف إليه كلهم توكيد يفيد الإحاطة والشمول. [ومعنى البيت] وغاية ما يصل إليه علم
الخلق فيه صلى الله عليه وسلم أنه بشر وأنه خير خلق الله تعالى أجمعين .

وَكُلَّ آيٍ أَنَّى الرُّسُلُ الْكَرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٌ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلُمِ
آي جمع آية بمعنى علامة وأتى أى جاء
والرسل جمع رسول وهو إنسان أوحى
إليه بالعمل والتبليغ والكرام جمع
كريم والاتصال ضد الاقطاع والنور
ضد الظلام .

[الاعراب] وكل مبتدأ آي بمد
الهمزة مضاف إليه أى فعل ماض الرسل
فاعل الكرام نعت الرسل بها متعلق
بأى فإِنَّمَا حرف حصر انصابت فعل
ماض وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على
آي من نوره بهم متعلقان باتصلت فانه
شمس إن واسمها وخبرها فضل مضاف
إليه هم كواكبها مبتدأ وخبر والضمير
المضاف إليه للشمس يظهرن بضم الياء
التحتية وكسر الهاء فعل مضارع وفاعل
والنون ضمير الكواكب أنوارها
مفعول يظهرن والضمير المضاف إليه
للشمس للناس في الظلم متعلقان ب يظهرن .

[ومعنى البيتين] أن جميع الآيات التي
جاءت بها المرسلون إنما اتصلت بهم من
نور النبي صلى الله عليه وسلم لأن خلق
نوره سابق عليهم وهو صلى الله عليه
وسلم بالنسبة الى الفضل والشرف
كالشمس والمرسلون كالنواكب
ونور النواكب مستفاد من نور
الشمس فإن النواكب تظهر أنوار
الشمس للناس في الظلام فإذا ظهرت
الشمس لا يبق للنواكب نور يرى
بل تستتر عن العيون .

قوله أعيان الرسل فهم معناه الخ فيرتب على ذلك أن ما يبلغه علم الناس في حقه صلى
الله عليه وسلم أنه بشر لا إله ولا ملك وأنه خير مخلوقات الله كلهم إنسا وجنا وملكا
وغيرهم وقوله فيه أى في حقه من حيث الذات ومن حيث الصفات وقوله أنه بشر
راجع للذات وقوله وأنه خير خلق الله كلهم راجع للصفات فعلم من ذلك القصور عن
إدراك الكنه في الجانبين والبشر اسم لنبى آدم سموا بذلك لبدؤ بشرتهم وهى ظاهر
الجلد وخير أصله أخير حذفته منه الهمزة لكثرة الاستعمال ثم نقلت حركة الياء
للحاء فصار خير فهو أفضل تفضيل ولذلك لا يثنى ولا يجمع وأما قوله تعالى - وإناهم عندنا
لن المصطفين الأخيار - فالجموع فيه خير يخفف خير بالتشديد والخلق بمعنى
المخلوقات على سبيل المجاز المرسل بحسب الأصل لكن صار حقيقة عرفية (قوله
وكل آي أنى الرسل الخ) أى وكل المعجزات التي أنى بها الرسل الكرام لأنهم فلم
تصل بهم الا من معجزاته صلى الله عليه وسلم أو من نوره الذى هو أصل الأشياء كلها
فالسماوات والأرض من نوره والجنة والنار من نوره ومعجزات الأنبياء من نوره
وهكذا فالآي بمعنى المعجزات جمع آية بمعنى المعجزة والرسل يسكون السين ويقال
في غير النظم رسل بضمها جمع رسول والكرام جمع كريم وقوله بها متعلق بأى
والضمير راجع للآي وإنما للحصر والمراد بنوره معجزاته وسميت نورا لأنه يهتدى
بها ويصح حمله على النور الحمدي الذى هو أصل المخلوقات كلها كما حمله عليه بعض
الشارحين ومن للابتداء والباء للالتصاق . لا يقال كيف تكون المعجزات التي أنى بها
الرسل الكرام لأنهم من نوره صلى الله عليه وسلم مع أنهم متقدمون عليه في الوجود .
لأننا نقول هو صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الأنبياء من حيث النور الحمدي
(قوله فانه شمس فضل الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله والمعنى على التشبيه أى فانه
كالشمس في الفضل وقوله هم كواكبها أى الرسل كواكب الشمس والمعنى على التشبيه
أيضا أى مثل كواكبها ووجه التشبيه فيهما أن الشمس جرم مضيء بذاته والنواكب
أجرام غير مضيئة بذاتها لكنها صقيلة تقبل الضوء فإذا كانت الشمس تحت الأرض
فاض نورها من جوانبها فيطلب الصعود لأن النور يطلب مركز العلو فيصادف
أجرام النواكب الصقيلة القابلة له فيرتسم فيها فتضىء في الظلمات وتظهر أنوار
الشمس فيها للناس من غير أن ينقص من نور الشمس شيء فنوره صلى الله عليه وسلم
لدائه ونور سائر الأنبياء ممتد من نوره من غير أن ينقص من نوره شيء فيظهرون
ذلك النور في الكفر الشبيه بالظلم فلذلك قال الصنف يظهرن أنوارها للناس في الظلم
وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للنواكب فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم
لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع كما يشير لذلك قوله في بعض النسخ :

حين إذا طلعت في الأفق عم هذا ها للعالمين وأحييت سائر الأمم

وظاهر هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم مرسل للأمم السابقة لكن بواسطة الرسل
فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا قال الشيخ السبكي ومن تبعه أخذنا من قوله
تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق

لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والذى عليه الجهور أنه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الأمة دون الأمم السابقة فالمسئلة خلافة والحق الأول (قوله أكرم بخلق نبي الخ) أى ما أكرم خلق نبي الخ فأكرم فعل تعجب لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر وفاعله ظاهر وهو الخلق بفتح الحاء وسكون اللام لكن دخلت عليه الباء الزائدة لتحسين اللفظ وقوله زانه خلق أى حسنه خلق بضم الحاء واللام بمعنى زاده حسنا قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقال أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وقوله بالحسن مشتمل بالبشر متم أى متصف بالحسن فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة متصف بالبشر وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة بشاشة الوجه وطلاقة والاتسام والاتصاف ولا يخفى أن قوله بالحسن متعلق بمشتمل وهو بالجر على أنه صفة لنبي فهو من باب الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وكذا يقال في قوله بالبشر متم وحاصل المعنى ما أحسن صورة نبي حسنه خلق متصف بالحسن متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه (قوله كالزهر في ترف الخ) صفة رابعة لنبي وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالزهر في الترف وبالبدر في الشرف راجع الى صورته الشريفة وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالبحر في السكرم وبالدهر في الهمم راجع الى خلقه الكريم والزهر نور النبات بفتح النون والترف بفتح التاء المثناة الفوقية والراء المهملة النعومة قال أنس مامست حريرا ولديبا جا آيين من كف النبي صلى الله عليه وسلم والبدر هو اسمر ليلة كاله وهى ليلة أربعة عشر وإنما سمي في تلك الليلة بدرا لأنه يبدد الشمس بالطولع والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهملة العلو وشرف البدر على سائر الكواكب الليلية وشرف النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق وكرم البحر مذكور في قوله تعالى وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وكرم النبي صلى الله عليه وسلم مذكور في الأحاديث الكثيرة منها حديث أنس قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام أى لأجل الإسلام شيئا إلا أعطاه إياه قال فسأله رجل غنا بين جبلين فأعطاه إياها فأتى قومه فقال يا قوم أسلدوا فوالله إن محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر والدهر الزمن والهمم جمع هممة وهى العزم على الشيء والارادة له ونسبة الهمم الى الدهر على عادة العرب فانهم يجعلون للدهر عزومات وإرادات ويشبهون الممدوح به في تلك العزومات والارادات وسبب ذلك أن الحوادث الدقيقة إنما تقع في الدهر فينسبونها إليه على سبيل المجاز العقلي كقولهم نهارة صائم وليله قائم ولقد غلا أى تجاوز الحد من قال :

له هم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار عشرها على البركان البرأندى من البحر

ووجه الغلو أى مجاوزة الحد أنه أثبت لممدوحه همما صغرى وكبرى وجعل همته الكبرى لا منتهى لها وجعل همته الصغرى أجل من الدهر أى من هم الدهر والمصنف جعل هم النبي مثل هم الدهر فيأثم من ذلك أن هم الممدوح أجل من هممه صلى الله عليه وسلم وهو باطل وبعضهم نسب هذين البيتين لحسان يمدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم

أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقُ
بِالْحَسَنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبَشَرِ مُتَسِمٍ
كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرْفٍ
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هَمِّ

كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ

أكرم فعل تعجب والخلق الإيجاد وزانه أى زاده حسنا والخلق بضمين السجية والحسن البهاء ومشتمل أى مرئى والبشر بكسر الموحدة طلاقة الوجه ومتسم أى متصف والزهر النور بفتح النون وسكون الواو والترف اللطافة والنضارة والبدر القمر عند تمامه والشرف الرفعة وعلو المنزلة والبحر (٣٨) الواسع العطاء والكرم الجود والدهر الزمان والهمم جمع همة

والعسكر الجيش الكثير والحشم الخدم [الاعراب] أكرم بكسر الراء فصل تعجب لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر بخلق الباء زائدة لاتعلق بشيء وخلق بفتح الخاء وسكون اللام فاعله نبى مضاف إليه زانه بالزاي فعل ماض ومفعول خلق بضمين فاعل زانه والجملة نعت أول لنبي بالحسن متعلق بمشتمل مشتمل بالجر نعت ثان لنبي بالبشر بكسر الواحدة وسكون المعجمة متعلق بمشتمل بضم الميم وفتح اللشاة الفوقية المشددة وكسر السين المهملة نعت ثالث لنبي كالزهر نعت رابع لنبي في ظرف بفتح اللشاة الفوقية والراء المهملة وبالفاء متعلق بالكاف لما فيها من معنى التشبيه والبدر فى شرف والبحر فى كرم والدهر فى هم معطوفات بالجر على ما قبلها كأنه كأن واسمها وهو فرد مبتدأ وخبر والجملة حال من مفعول تلقاه لامن اسم كأن من جلالته مفعول من أجله فى عسكر خبر كأن حين منصوب بكأن لما فيه من معنى التشبيه تلقاه فعل وفاعل ومفعول وفى حشم بفتح الحاء المهملة والمعجمة معطوف على فى عسكر [ومعنى الأبيات الثلاثة] ما أكرم خلق نبى مزين بالخلق مشتمل بالحسن متسم بالبشر مثل الزهر فى اللطافة

وعليه فلا غلو لأنه صلى الله عليه وسلم كان كذلك وهذا أبلغ فى مدحه صلى الله عليه وسلم من كلام الناظم لكن لم يوجد ذلك فيما جمع من شعر حسان (قوله كأنه وهو فرد الخ) صفة خامسة لنبي وكأن للتشبيه والضمير اسمها وجملة وهو فرد حال من المفعول فى تلقاه قالوا وللحال ومن جلالته أى من أجل جلالته فهو تعليل للتشبيه المستفاد من كأن وحين تلقاه ظرف لما هو معنى كأن من التشبيه وقوله فى عسكر وفى حشم خبر كأن وتقدير البيت كأنه حين تلقاه وهو فرد فى عسكر وفى حشم من أجل جلالته وقصد المصنف تشبيهه صلى الله عليه وسلم وهو منفرد بنفسه إذا كان فى عسكر وفى حشم وهو صلى الله عليه وسلم إذا كان فى عسكر وفى حشم له هبة ووقار فكذلك وهو منفرد فيكون له أيضا هبة ووقار ومن أجل جلالته والجلالة العظمة والعسكر الجيش والحشم بفتح الحاء والشين المعجمة الخدم والخطاب فى تلقاه لكل من صلح للخطاب وحكى أن بعضهم رأى فى المنام أن الصديق رضى الله عنه يزف النبى صلى الله عليه وسلم بهذا البيت والذى بعده (قوله كأنما اللؤلؤ المكنون الخ) صفة سادسة لنبي وقد جرى المصنف فى البيت السابق وهو قوله كالزهر فى ترف الخ على ما جرت به العادة فى التشبيه وجرى فى هذا البيت على عكسه لأنه شبه اللؤلؤ المكنون فى صدفه بكلامه وثره صلى الله عليه وسلم اللذين يبرزان من معدنى منطقته ومبتسمه والأصل أن يشبه كلامه وثره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدنى منطقته ومبتسمه باللؤلؤ المكنون فى صدفه بجامع الحسن فى كل فالمصنف عكس التشبيه كما فى قول الشاعر :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يتمدح

وفى ذلك إشارة الى أن الفرع لقوة وجه الشبه فيه صار أصلا والأصل لضعف وجه الشبه فيه صار فرعاً ويسمى التشبيه المقلوب وهو أبلغ فى المدح واللؤلؤ هو الدر المسمى بالجواهر والمكنون المصون وفى صدف متعلق بالمكنون والصدف الحار الذى يتولد فيه وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه كما أن القلب وعاء للكلام النفسى حتى يبرزه اللسان وكما أن الشفتين اللزمتين على الثغر كالوعاء له وإعما قيد اللؤلؤ بالمكنون فى صدف لأنه يكون فى الصدف أحسن منظراً منه خارج الصدف والإضافة فى معدنى منطق منه ومبتسم للبيان أى من معدنين هما منطق منه ومبتسم ويصح أن تكون من إضافة المشبه به للمشبه أى من منطق ومبتسم شبيهين بالمعدنين

ومثل البدر فى الشرف ومثل البحر فى الكرم ومثل الدهر فى الهمم والنطق

كأنه لجلالته فى عسكر وفى حشم حين تلقاه فردا وفى البيت الثانى من البديع التشطير وهو أن يقسم البيت شطرين ثم يصريح كل شطر ويخالف بينهما فى قافية التصريح كقول الصنى :

بكل منتصر للفتح منتظر وكل معترم بالحق ملتزم

كأنما اللؤلؤ المكنون فى صدف من معدنى منطق منه ومبتسم

والنطق محل النطق وهو راجع لكلامه صلى الله عليه وسلم والمبتسم بفتح السين محل الابتسام لا بكسرهما خلافا لبعض الشارحين وهو راجع لثغره صلى الله عليه وسلم ومعنى البيت كأنما اللؤلؤ للوصون في صدقه كلامه ونفقه صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدنى منطق منه ومبتسم وفي كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ومبتسم منه (قوله لا طيب يعدل الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقتها لله تعالى مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدها فقال لا طيب الخ والطيب ما يتطيب به من مسك ونحوه والتراب يسكون الرائحة في التراب والضم الجمع والأعظم جمع عظم وطوبى إما مصدر بمعنى التطيب أو اسم لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها وعلى الأول فهو بدل من اللفظ بفعله وهو طاب والأصل طاب المنتشق والمثلث حذف الفعل وأتى بالمصدر بدلا من التلفظ به وزيدت اللام لتبيين الفاعل وعلى الثانى فهو مبتدأ خبره مابعد وعلى كل فيحتمل أنه اخبار وأنه دعاء ، وحاصل المعنى لا طيب يساوى التراب الذى جمع الجسد الشريف وهو تراب قبره صلى الله عليه وسلم تطيب أو الشجرة التى فى الجنة لمنتشق منه وملتم على التفسيرين السابقين فى طوبى ولما كان الطيب يستعمل على وجهين تارة يستعمل بالشم وتارة يستعمل بالتضمد أشار للأول بقوله منتشق وللثانى بقوله وملتم والمراد بالمثلث هنا المعنى موضع اللثام وهو الوجه وليس المراد المقبل أخذا له من الالتئام وهو التثقيب لأن تثقيب القبر الشريف وكذا ما فيه من التراب مكروه ومعلوم أن طيب التراب المذكور إنما سرى له من طيبه صلى الله عليه وسلم الذى هو أعلى أنواع الطيب ولذلك قال أنس ما شمت عبدا ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن أطيبة ذلك التراب يحتمل أنها باعتبار ما عند الله تعالى ويحتمل أنها باعتبار ما عند غيره أيضا لكن لا يدرك ذلك إلا من كشف له الغطاء من الأولياء المقربين لأن أحوال القبر من الأمور التى لا يدركها إلا من ذكر فاندفع ما يقال لو كان التراب المذكور من الطيب لزم أن يدرك طيبه بكل أحد كالمسك فانه يدرك طيبه كل أحد على أنه لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراك كل أحد له لجواز انتفاء شرط أو وجود مانع وعدم الإدراك لا يدل على انتفاء المدرك ألا ترى أن للزكوم لا يدرك رائحة المسك مع أنها قائمة به وقد قال عليه الصلاة والسلام القبر أول منزل من منازل الآخرة فاما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ولا شك أن قبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة بل أفضلها وقد قال أيضا عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وكل من القبر والمنبر داخل فى حكم ما بينهما أما القبر فللخبر العام الذى ذكر وأما المنبر فلقوله صلى الله عليه وسلم فى آخر الحديث ومنبري على حوضي والحوض من الجنة وإذا تفرق كون هذا السكان من الجنة لم يبق عند العاقل الصدق بالشريعة امتراء فى أنه لا طيب يعدله

واللؤلؤ جمع لؤلؤة وهى الهرة والمكثون المصون والصدف المدن ومعدن الشيء موضع إقامته والنطق الكلام والابتسام أول الضحك والطيب اسم لما يتطيب به به يعدل يساوى والتراب التراب وضم حوى والأعظم جمع عظم والمراد جميع بدنه من تسمية الكل باسم الجزء لأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء وطوبى مصدر كبرى والانتشق الشم والالتئام التثقيب .

[الاعراب] كأنما حرف تشبيه ومازائدة اللؤلؤ مبتدأ المكثون نعت فى صدف بفتحين متعلق بالمكثون من معدنى بفتح النون خبر المبتدأ منطق بكسر الطاء مضاف إليه منه نعت منطق والضمير له صلى الله عليه وسلم ومبتسم بكسر السين معطوف على منطق لاناقية طيب بكسر الطاء وسكون الياء التحتية اسم لامنى معها على الفتح يعدل بكسر الدال فعل مضارع وفاعل خبر لا ترابا بضم المثناة الفوقية وسكون الراء مفعول يعدل ضم بفتح المعجمة فعل وفاعل نعت ترابا أعظمه مفعول ضم طوبى بضم الطاء مبتدأ وفيه معنى الدعاء لمنتشق بكسر الشين المعجمة خبر طوبى منه متعلق بمنتشق والضمير لترابا وملتم بكسر المثناة معطوف على منتشق .

[ومعنى البيتين] كأن اللؤلؤ للمكثون المصون فى صدقه كأن من معدن كلامه ومعدن ابتسامه وهو حاصل ما قال البحرى :

لأشء من أنواع الطيب بمثل طيب التراب

فمن لؤلؤ يديه عند ابتسامه ومن لؤلؤ عند الكلام يساقطه

الذى ضم جسده صلى الله عليه وسلم وهذا التراب أشرف تراب الأرض طوبى لمن شمه وقبله

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طَبِيبٍ عُنْصُرِهِ يَاطِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَمَرٍ

أَبَانَ أى كشف والمولد زمن الولادة والعنصر الأصل والمراد بطيب العنصر طهارته وخلوصه عن الرذائل ومبتدأ الشيء أوله ومختمه انتهاءه [الإعراب] أَبَانَ مولده فعل ماض وفاعل عن طيب متعلق بأَبَانَ عنصره بضم العين والصاد المهملتين مضاف إليه يا حرف نداء والنادى محذوف طيب (٤٠) بكسر الطاء مفعول بفعل محذوف والتقدير يا علقلاء انظروا طيب

مبتدأ مضاف إليه منه نعت مبتدأ ومختم بفتحين معطوف على مبتدأ ونعته محذوف تقديره منه والمهاء للنبي صلى الله عليه وسلم .

[ومعنى البيت] أظهر الله تعالى عند ولادته طهارته حقيقة الخاصة به بخوارق العادات الدالة على كمال العناية في أولي البصائر انظروا غرائب مبادئه واعتبروا وتدبروا عجائب نهاياته وتفكروا فيه وفيه من البديع نوعان الأول التذكير في قوله عن طيب وباطيب والثاني مراعاة النظر في قوله مبتدأ ومختم .

يَوْمٌ تَفْرَسُ فِيهِ فَرَسٌ أَنَّهُمْ

قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ

اليوم قطعة من الزمان وتفرس نفطن من الفراسة وهي قوة يدرك بها الإنسان بالخبايا، الظاهرة المعاني الباطنة والفرس أمة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق سموا بذلك لأنهم من ولد فارس من نسل سام بن نوح والانداز الاعلام بالشيء المخوف والبؤس الشدة والنقم جمع نعمة وهي العقوبة .

[الإعراب] يوم خبر مبتدأ محذوف أى يوم ولادته يوم تفرس بفتح التاء الفوقية والفاء والراء المشددة فاعل ماض فيه متعلق بتفرس وفي معنى

من الفرس بضم الفاء وسكون الراء فاعل تفرس والجملة صفة يوم

والنقم

أنهم بفتح الهمزة والميم اسمها قد حرف تحقيق أنذروا بضم الهمزة وكسر الذال المعجمة فعل ماض والواو نائب الفاعل والجملة خبر أن وأن ومعمولاها في تأويل مصدر منصوب على المفعول لتفرس بحلول متعلق بأنذروا البؤس بضم اللوحدة وسكون الواو مضاف إليه والنقم بكسر النون وفتح القاف معطوف على البؤس . [ومعنى البيت] يوم ولادته صلى الله عليه وسلم نفطن فيه الفرس أنهم قد نزل بهم الشدة والعقوبة .

وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أى وملتئم منه كما تقدم في البيت السابق (قوله أَبَانَ مولده الخ) الإبانة الكشف والاظهار والمولد مصدر ميمي يصلح لأن يراد به الولادة أوزمانها أو مكانها وعلى كل من الاحتمالات الثلاثة لا بد من تقدير مضاف والأصل أَبَانَ آيات مولده وعن التعدية والطيب الخلوص عما لا ينبغي في النسب والعنصر بضم العين المهمل وسكون النون وضم الصاد هو الأصل والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم وقوله ياطيب الخ نداء للطيب على سبيل التعجب لأن العرب إذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب أى ياطيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك والمراد بالمفتتح بفتح التاءين الثنايين من فوق آدم عليه السلام وبالمختم كذلك سيدنا عبد الله خلافا لما قاله بعض الشارحين من أن المراد بالمفتتح هاشم وبالمختم النبي صلى الله عليه وسلم لأن افتتاح عنصره ليس بهاشم بل بآدم واختتامه ليس بالنبي صلى الله عليه وسلم بل بسيدنا عبد الله وإذا تعجب من طيب المفتتح والمختم لزم أن يتعجب من طيب ما بينهما وفي بعض النسخ بدل المفتتح المبتدأ والضمير في قوله منه راجع للعنصر وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أى ومختم منه كما في البيتين قبله . وحاصل معنى البيت أظهرت وكشفت آيات مولده عن خلوص آباؤه صلى الله عليه وسلم عما لا ينبغي في النسب ياطيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك ومن آيات مولده صلى الله عليه وسلم ما ذكره عن أمه أنها قالت لقد أخذني الطلق وأنى لوحدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه يوم الاثنين فسمعت وجبة أى سقطة هالتي ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادى فذهب رعبى وكل وجع أجده وكنت عطشى فإذا بشربة يضاء فشربتها فأصابني نور عال إلى آخر الحديث وقد ذكره بطوله القسطلاني (قوله يوم الخ) أى هو يوم الخ خبر مبتدأ محذوف والضمير راجع لمولده بمعنى زمان الولادة فقط وإن كان محتملا فيما تقدم للحدث وللزمان والسكان وقوله تفرس فيه الفرس أى ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر الفاء وهي قوة يدرك بها الإنسان المعاني اللطيفة بسبب الخبايا الظاهرة بخلاف الفراسة بفتح الفاء فإنها الحدق في ركوب الخيل والفرس بضم الفاء وسكون الراء أهل فمملكة فارس وكانوا مجوسا يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدلوهم وإنما سموا فرسا لأنه ولد لأنبيهم بضعة عشر رجلا كل منهم شجاع فارس فسموا الفرس لذلك وقوله أنهم بالاشباع وقوله قد أنذروا أى أعلموا بالبناء للمجهول وقوله بحلول البؤس والنقم أى بنزول البؤس

وَبَاتِ إِيوَانَ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ كَسْمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَمِ

بات أسمى والإيوان لفظ معرب اسم لسقف لا يكون لبعض جوانبه جدر وكسرى لقب لكل ملك من ملوك الفرس والصدع الشق وشمل القوم جمع عديم وملثم مجتمع [الاعراب] وبات فعل ماض تام يكفى بمرفوعه إيوان بهمزة مكسورة وياء مشاة تحتية ساكنة فاعل بات كسرى بفتح الكاف وكسرها وسكون السين المهملة مضاف إليه وهو منصع مبتدأ وخبر في موضع الحال من إيوان كشملة بفتح الشين المعجمة في موضع (٤١) نصب على التعتية لمصدر محذوف والتقدير

انصداعا مثل انصداع شمل أصحاب
مضاف إليه ومضاف أيضا كسرى
مضاف إليه وتقل من الإضمار الى
الإظهار لإهانة الاسم غير بالنصب على
الحال من شمل ملثم بضم الميم وفتح
لثناة الفوقية وكسر الهمزة مضاف إليه
[ومعنى البيت] أنه شبه وقوع
الانصداع في منزل كسرى بوقوع التفرقة
بين أصحابه وما انهدم جميعه على التمام
ليكون عبرة للأنام وإنما سقط منه
أربع عشرة شرافة وقوصرته التي
يقال لها القنطرة باقية الأمار الى الآن
على ما قال من شاهدها .

وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفِ

عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهَى الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ
خمدت النار سكن لحيها ولم يطفأ جمرها
فان طوى قيل همدت والأنفاس جمع
نفس بفتح الفاء وهو ما يخرج من داخل
الرئة إلى خارجها والأسف الحزن
والنهر هنا الفرات فإنه كان ضل الطريق
ووقع في وادي سماوة وهي بادية بين
دمشق والعراق وذلك أن دجلة انقطعت
وانتشرت في بلاد فارس وطفح الفرات
حتى ملأ سماوة وساهى ساكن عن
الجريان والسدم الحزن وفي البيت

استعارتان بالكناية حيث ذكر المشبهين وهما النار والنهر واستعارتان

(۶ - باجوری - برده)

تخييلتان حيث أثبت الأنفاس للنار والعين للنهر [الاعراب] والنار خامدة بالحاء المعجمة مبتدأ وخبر الأنفاس بفتح الحمزة مضاف إليه من أسف بفتحين متعلق بخامدة على أنه علة لها عليه متعلق بأسف والضمير للإيوان أول الكفر الدال عليه المقام والنهر بفتح النون وسكون الهاء مبتدأ ساهى خبره العين بفتح المهملة مضاف إليه من سدم بفتح السين والدال المهملتين متعلق بساهى على أنه علة له [ومعنى البيت] أن النار التي كانت فارس تبعتها خمدت بعد التوقد ولم تكن خمدت قبل ذلك بأنفس عام أسفا على ضعف الكفر وسكن النهر الجارى حزنا عليه .

وَسَاءَ سَاوَةٍ أَنْ غَاضَتْ بِحَيْرَتِهَا
وَرَدُّ وَارِدُهَا بِالْفَيْظِ حِينَ ظَمَى
سَاءَ أَحْزَنَ وَسَاوَةٍ مَدِينَةٍ فِي طَرِيقِ
هَمْدَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرِّىِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ
فَرَسَخًا تَقْرِبًا وَغَاضَتْ ذَهَبَ مَأْوَاهَا
وَنَضَبَ وَبَحِيرَةَ سَاوَةٍ مَاءٍ مَجْتَمَعٍ وَاسِعٍ
الطُّولِ وَالْعَرْضِ بِقَرَبِ سَاوَةٍ كَبْجِيرَةٍ
طَبْرِيَةٍ وَرَدَّ آى رَجَعَ وَالْوَارِدُ هُنَا الَّذِى
يَأْتِى الْمَاءَ لِلْسَّقَى وَالْفَيْظُ بِالمُشَالَةِ الْغَضَبُ
وَضَمَى آى عَطَشَ .

[الاعراب] وساء بالند فعل ماض
ساوة بفتح الواو مفعول به على حذف
مضاف أى أهل ساوة على حد واسأل
القرية أى أهلها أن بفتح الهمزة
وسكون النون موصول حرفي مؤول
مع صلته بمصدر مرفوع على الفاعلية
بساء غاضت بالعين والصاد المعجمتين
فعل ماض وتاء تأنيث بحيرتها بضم
الموحدة وفتح الحاء المهملة فاعل غاضت
والهاء لساوة ورد بضم الراء المهملة
فعل ماض مبنى للمفعول واردةا نائب
الفاعل به بالعيط بالعين والطاء المعجمتين
متعلق برد حين ظرف زمان منصوب
برد ظمى بفتح المعجمة وكسر اليم
وسكون الياء المبدلة من الهمزة فاعل
ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى واردةا
[ومعنى البيت] وأحزن أهل ساوة
غيض ماء البحيرة ورجوع وارد البحيرة
بالغضب حين جاء البحيرة ولم يجد بهاء
وود عطش وقد كان حوالها يبيع
وكائنات معتبرة وغيضها كان سببا
لحرابها ولم تعمّر بعد ذلك .

على ايوان ونصب الثانى على أنه معطوف على غير ملتئم وهكذا يقال فى قوله والنهر
ساهى العين الخ على لغة من أعرب المنقوص نصبا كإعرابه رفعا وجرا والعطف
حينئذ من عطف المقرّذات والمراد من النار نار الفرس التى كانوا يعبدونها وكان لها
خدمة يوقدونها ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام وفى عبارة بعضهم بألفى عام ومعنى
كونها خامدة الأنفاس كونها منطفئة اللهب مع بقاء الجمر نغمود النار انطفاء لها
مع بقاء جمرها وأما الحمود فانطفاء لها مع جمرها والأنفاس جمع نفس بفتح الفاء
والمراد به هنا لهب النار على طريق الاستعارة التصريحية وقوله من أسف أى من
أجل أسف فمن للتعليل والأسف بفتح الهمزة والسين شدة الحزن وقوله عليه متعلق
بأسف والأظهر أن الضمير المجرور على راجع للإيوان وجوز بعض الشارحين
أن يكون راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه ذلك بأن ولادته صلى الله عليه
وسلم سبب فى ترك عبادتها وهذا من حسن التعليل تقريرا بهم وهو أن يدعى لحكم
علة مناسبة لكنها غير مواضة للواقع كما فى قوله :

وما نزل الفيث الا لى يقبل بين يديك الثرى

وقوله والنهر ساهى العين قد عرفت إعرابه والمراد بالنهر نهر الفرات الذى كان به
قوامهم وكان قد ضل الطريق ووقع فى مآوة وهى بادية بين دمشق والعراق والمراد
بكونه ساهى العين أنه ساكن العين التى هى مادته عن الجرى على سبيل الاستعارة
ويحتمل أن فى الكلام استعارة بالكناية فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهى العين
تشبيها مضمر فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو
ساهى العين وقوله من سدم أى من أجل سدم فمن للتعليل والسدم بفتح السين
والدال الحزن وهذا من حسن التعليل أيضا وبعضهم جعل إثبات الأسف للنار والسدم
للنهر مجازا عقليا لتزليل كل منهما منزلة العاقل وقد عرفت أنه من حسن التعليل
فلا حاجة لذلك وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى من سدم عليه كما تقدم
فى نظائره (قوله وساء ساوة الخ) أى وساء أهل ساوة الخ فهو على تقدير مضاف على
حد قوله تعالى واسئل القرية أى أهلها وساء اسم لمدينة من مدن الفرس وهى بين
همدان والرى وقوله أن غاضت بحيرتها فاعل بساء ومعنى غاضت بضاد معجمة قيل
وبضاد مهملة غار ماؤها وذهب بالمرّة حتى إن لهب النار ينبع من قعرها كأنما طبخت
أرضها وكانت هذه البحيرة بركة عظيمة تسير فيها السفن للبلاد التى على ساحلها وكان
طولها ستة أميال فى مثلها عرضا وقيل ستة فراسخ فى مثلها عرضا وقال البكرى
كان طولها عشرة أميال وعرضها ستة وكان حولها يبيع وكائنات فخرت ومن
ذلك يعلم أن التصغير فيها ليس للتحقير وقوله ورد واردةا الخ أى وأن رد واردةا الخ
فهو معطوف على مدخول أن فى قوله أن غاضت بحيرتها والباء فى قوله بالعيط لللباسة
أو الصاحبة أى ملابسا للعيط أو مصاحبا له والجار والمجرور متعلق برد وقوله حين
ظمى ظرف لو واردةا أى الذى يردها ويأتى اليها ليستقى من مأثها حين عطش .
وحاصل المعنى وأحزن أهل المدينة المساء بساوة أحران أحدهما غيض مأثها والثانى

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْنًا وَبِالمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ

الحزن ضد السرور والضرم الانتهاب . [الاعراب] كأن حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر بالنار خبرها مقدم مالم موصول اسم كأن مؤخر بالماء صلة مامتعلق بفعل محذوف من بلل (٤٣)

محذوفة من عائد الصلة حزنا يسكون الزاى مفعول لأجله وبالماء خبر كأن محذوفة مدلول عليها بكان المذكورة مالمها بالنار صلتها من ضرم بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة بيان لما الموصولة الثانية والمفعول لأجله محذوف لدلالة ما قبله عليه والألف واللام في النار والماء للمعبد الذكرى أى النار المعبودة وماء البحيرة .

[ومعنى البيت] كأن بالنار التى طبعها الحرارة والاحراق مالمها من البلى الباعث على التبريد والإغراق لأجل الحزن عليه وكأن بالماء الذى طبعه البرودة والتبريد مالمها من الانتهاب الباعث على الاحراق لأجل الحزن عليه :

وَالْجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ

وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ
الجن خلاف الإنس سموا بذلك لاجتماعهم أى استتارهم عن العيون وتهتف تصيح والأنوار جمع نور والمراد بها التى ظهرت يوم ولادته حتى أضاء لها قصور الشام ساطعة مرتفعة والحق أى صدق النبوة ويظهر أى ينكشف من معنى مفرد والمراد به الجمع أى المعانى للعقولة والكلام الكلام أى الألفاظ المخصوصة .

[الاعراب] والجن تهتف بفتح الفوقية وكسر الثانية مبتدأ وخبر

رد الله يردّها ليستقي منها بالعِظ حين عطش (قوله كأن بالنار الخ) لا يخفى أن بالنار خبر كأن مقدّم وما بالماء اسمها مؤخر والأصل كأن مالمها بالنار ومالم موصول بمعنى الذى وقوله من بلل بيان لها وقوله حزنا أى للحزن فهو علة لقوله كأن بالنار ما بالماء من بلل وقوله وبالماء مالمها بالنار من ضرم فيه ما تقدم فيما قبله أى وكأن بالماء مالمها بالنار من ضرم والضرم الانتهاب وفيه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى حزنا . وحاصل المعنى أن النار التى خمدت تلك الليلة صارت كأن بها مالمها من البلى فصارت مبتلة لحزنها وأن الماء الذى غاض تلك الليلة صار كأن به مالمها من الضرم لحزنه أيضا فكان ما بكل من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل للآخر من الحزن وخص الناظم من أوصاف الماء البلى دون البرودة مثلا ومن أوصاف النار الاضطرام دون الحرارة مثلا لأن البلى هو الذى يخرج النار عن حقيقتها بخلاف البرودة فانها لاتخرجها عن حقيقتها قال الله تعالى يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم والاضطرام هو الذى يخرج الماء عن حقيقته بخلاف الحرارة فانها لاتخرجه عن حقيقته فإنه يقال ماء حار ولا يقال ماء مضطرم لأن الاضطرام يستلزم غاية اليس . فإن قيل الجحادات كلها لاتوصف بالكفر بل منقادة خاضعة لله قال تعالى وإن من شئ الا يسبح بحمده فكيف يقول الناظم حزنا واللائق أن يكون ذلك فرحا . أجيب بأن النار تحزن على نفسها من أجل أنها لاتوقد والماء يحزن على نفسه من حيث إنه لايجرى فكل منهما شبيه بالحزين لأجل ذلك هذا إن كان المراد حزن ذاتهما كما هو المتبادر وإن كان المراد حزن أهلهما فلا اشكال لأن أهلهما يحزنون على تغير ملكهم وتشتيت أمرهم (قوله والجن تهتف الخ) أى وصارت الجن تهتف فى الجبال والأودية فمن ذلك ما جاء أنه حين ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على الحجون وهو ينشد ويقول :

فَأَقْسَمَ مَا أَتَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبَتْ وَلَوْلَدَتْ أَتَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَهُ

كما ولدت زهرية ذات مفخر بحبيسة لؤم القبائل ماجده

ومنها أن هاتف سواد بن قارب أنشده أبياتا ثلاثا ليال فيها الحث على الحمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان به وعظيم مدحه والجن هم أولاد إبليس كما أن البشر أولاد آدم وقيل الجن أولاد الجان فإبليس أبو الشياطين والجان أبوالجن والقول الأوّل أقوى والتهتف قيل الصوت مطلقا وقيل الصوت الحثى وقوله والأنوار ساطعة أى والأنوار التى خرجت معه صلى الله عليه وسلم عند ولادته لامعة ظاهرة فى

والأنوار ساطعة مبتدأ وخبر والحق يظهر مبتدأ وخبر من معنى ومن كلم بكسر اللام متعلقان ب يظهر . [ومعنى البيت] والجن تصيح وترجف فما حصل لهم من الخوف والرعب ويتكلمون مع أوليائهم فيما دهمهم من ذلك والأنوار التى ظهرت يوم مولده صلى الله عليه وسلم مرتفعة فى الآفاق والبرهان الحق يظهر من المعانى التى أتت بها الكتب النزلة ومن الكلام الذى نطقت به ألسنة الأحبار والرهبان .

عَمُوا وَتَشْمُوا فَأَعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ تَسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْإِنذَارِ لَمْ تَشْمُ
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمَعُوجُ لَمْ يَقُمْ

العمى عدم البصر والصمم عدم السمع والاعلان الإظهار والبشائر جمع بشارة أو بشرى وهو الخبر السار وبارقة من برق إذا لمع والتاء للبالغة والإنذار الاعلام وتشم من قوم يطلق على الذكور والاناث وقيل يختص بالذكور والكاهن الذي يخبر عن الغيبات الماضية قاله الراغب ودينهم طريقهم التي تدينوا بها واعوج الشيء فهو معوج أى صار ذاعوج يقال فى الدين عوج بكسر العين وفتح الواو وفى العود عوج بفتحهما ولم يتم أى لم يتم من قام الأمر دام وأقامه الله تعالى أدامه [الإعراب] عموما بفتح العين فعل وفاعل والضمير للفرس وضموا بفتح العاد فعل وفاعل جملة معطوفة على ما قبلها فأعلان بكسر الهجمة مبتدأ البشائر مضاف إليها لم تسمع بالمشاة الفوقية والبناء للمفعول خبر مبتدأ واكتسب التأنيث من المضاف إليه وبارقة بالوحدة مبتدأ الإنذار بكسر الهجمة مضاف إليه لم تسمع بضم المشاة الفوقية وفتح المعجمة خبر مبتدأ من بعد متعلق بضموا لقربه وهو مطلوب أيضا لعموا من جهة المعنى على سبيل التنازع ما موصول حرفي يسببك مع صلته بمصدر مجرور باضافة بعد إليه أخبر فعل ماضى الأقوام مفعول مقدم كاهنهم فاعل مؤخر وجوبا بأن بفتح الهجمة متعلق بأخبر دينهم اسم أن للمعوج بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح الواو والهمزة المشددة نعت دينهم لم يتم بفتح الياء وضم القاف أو بضم الياء وكسر القاف من أقام والجملة خبر أن

الحديث عن آمنة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لما ولدته خرج من فرجى نور أضاءه قصور الشام فولدته نظيفا مابه قدر وإلى ذلك يشير عمه العباس بقوله : وأنت لما ولدت أشرفت الأرض وضأت بنورك الأفق فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبيل الرشاد نخترق وقوله والحق يظهر من معنى ومن كلم أى والحق الذى هو أمره صلى الله عليه وسلم من نبوته ورسالته يظهر من معنى كالأنوار ومن كلم كتهف الجن فى ذلك مع قوله والجن تهتف والأنوار ساطعة لف ونشر مشوش (قوله عموما وضموا الخ) هذا البيت واقع فى جواب سؤال مقدر فكأن شخصا قال له إذا كان الحق يظهر من معنى ومن كلم فما بال الكفار جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم فأجابه المصنف بأنهم عموما وضموا الخ فالضمير راجع للكفار فلكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى ولا بما سمعوه من الكلام حيث جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم مع كون الحق يظهر من معنى ومن كلم كأنهم عموما عن مشاهدة المعنى كالأنوار وضموا عن سماع الكلام كتهف الجن فى ذلك مع قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم لف ونشر مرتب وقوله فأعلان البشائر لم تسمع أى فإظهار البشائر به صلى الله عليه وسلم كتهف الجن لم تسمع لهم سماع قبول وهذا مرتب على قوله وضموا وإنما قال لم تسمع بالتاء الفوقية لأن المضاف إليه أكسب المضاف التأنيث وقوله وبارقة الإنذار لم تسمع أى ولا معة الإنذار به صلى الله عليه وسلم أى تخويفهم به كالأنوار لم تنتظر لهم نظر قبول فالمراد بالبارقة اللامعة وهى فى الأصل اسم للسيف اللامع يقال بيده بارقة أى سيف لامع والمراد بقوله لم تسمع لم تنتظر يقال شام البرق نظر إليه وهذا مرتب على قوله عموما فى ذلك مع قوله عموما وضموا لف ونشر معكوس (قوله من بعد ما أخبر الخ) متعلق بقوله عموما وضموا وفى ذلك غاية التقبيح بهم حيث جحدوا من بعد ما علموا حقيقة الحال من كاهنهم الذى كانوا يصدقونه ويتبعونه فيما يقوله وما مصدرية فيؤول الفعل بعدها بمصدر والأقوام مفعول مقدم وكاهنهم فاعل مؤخر والكاهن من كان له تابع من الجن يخبره بخبر السماء لاستراقه السمع فيحدثهم بذلك لكن يزيد على الكلمة الحققة مائة كذبة وقوله بأن دينهم المعوج لم يتم أى بأن ما هم عليه من الدين المعوج لاشتماله على عبادة الأصنام لقيام له مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمراد أنه أخبرهم بما يفيد ذلك لأنه أخبرهم بأنه يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب دينهم المعوج (قوله و بعد ما عاينوا الخ) أى ومن بعد ما عاينوا الخ فهو معطوف على

الحدث عن آمنة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لما ولدته خرج من فرجى نور أضاءه قصور الشام فولدته نظيفا مابه قدر وإلى ذلك يشير عمه العباس بقوله : وأنت لما ولدت أشرفت الأرض وضأت بنورك الأفق فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبيل الرشاد نخترق وقوله والحق يظهر من معنى ومن كلم أى والحق الذى هو أمره صلى الله عليه وسلم من نبوته ورسالته يظهر من معنى كالأنوار ومن كلم كتهف الجن فى ذلك مع قوله والجن تهتف والأنوار ساطعة لف ونشر مشوش (قوله عموما وضموا الخ) هذا البيت واقع فى جواب سؤال مقدر فكأن شخصا قال له إذا كان الحق يظهر من معنى ومن كلم فما بال الكفار جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم فأجابه المصنف بأنهم عموما وضموا الخ فالضمير راجع للكفار فلكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى ولا بما سمعوه من الكلام حيث جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم مع كون الحق يظهر من معنى ومن كلم كأنهم عموما عن مشاهدة المعنى كالأنوار وضموا عن سماع الكلام كتهف الجن فى ذلك مع قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم لف ونشر مرتب وقوله فأعلان البشائر لم تسمع أى فإظهار البشائر به صلى الله عليه وسلم كتهف الجن لم تسمع لهم سماع قبول وهذا مرتب على قوله وضموا وإنما قال لم تسمع بالتاء الفوقية لأن المضاف إليه أكسب المضاف التأنيث وقوله وبارقة الإنذار لم تسمع أى ولا معة الإنذار به صلى الله عليه وسلم أى تخويفهم به كالأنوار لم تنتظر لهم نظر قبول فالمراد بالبارقة اللامعة وهى فى الأصل اسم للسيف اللامع يقال بيده بارقة أى سيف لامع والمراد بقوله لم تسمع لم تنتظر يقال شام البرق نظر إليه وهذا مرتب على قوله عموما فى ذلك مع قوله عموما وضموا لف ونشر معكوس (قوله من بعد ما أخبر الخ) متعلق بقوله عموما وضموا وفى ذلك غاية التقبيح بهم حيث جحدوا من بعد ما علموا حقيقة الحال من كاهنهم الذى كانوا يصدقونه ويتبعونه فيما يقوله وما مصدرية فيؤول الفعل بعدها بمصدر والأقوام مفعول مقدم وكاهنهم فاعل مؤخر والكاهن من كان له تابع من الجن يخبره بخبر السماء لاستراقه السمع فيحدثهم بذلك لكن يزيد على الكلمة الحققة مائة كذبة وقوله بأن دينهم المعوج لم يتم أى بأن ما هم عليه من الدين المعوج لاشتماله على عبادة الأصنام لقيام له مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمراد أنه أخبرهم بما يفيد ذلك لأنه أخبرهم بأنه يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب دينهم المعوج (قوله و بعد ما عاينوا الخ) أى ومن بعد ما عاينوا الخ فهو معطوف على

[ومعنى البيتين] عموما فلم يبصروا بارقة الإنذار بعد وضموا فلم يسمعوا إعلان البشائر من بعد إخبار الكهان لهم بأن دينهم للمائل عن الحق لا يدوم ولا يقيم وفى البيت الأول من البديع اللف والنشر المشوش وفى البيت الثانى من البديع الجنس الشبيه بالمشق بين الأقوام ولم يقيم .

عَمَدًا مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شَيْءٍ مُنْقَضَةً وَفَقَى مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَئِمٍّ

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمٍ

عابنوا شاهدوا والأفق نواحي السماء والشهب جمع شهاب وهي النجوم التي ترمى بها الشياطين عند استراق السمع من اللاتمة منقضة من انقض السهم سقط والوقف الواقعة والصم المصور من حجر (٤٥) وغيره والقدو الذهاب والوحي الكلام

الحق وطريقه أبواب السماء والمنهزم الهارب والشياطين جمع شيطان بمعنى البعد إن كان من شطن أو المحرق إن كان من شاط والقفو الاتباع والانهزام الحرب .

[الاعراب] وبعد يجوز فيه نصب بالعطف على محل بعد المجرورة بمن ويجوز فيه الجر بالعطف على لفظه كقوله :

فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العواذل

يروى بنصب دون الثاني وخفضه على التوجيهين ماموصولة عابنوا صلتها وعائدها محذوف أي عابنوه في الأفق بضم الهمزة وسكون الفاء متعلق بما عابنوا من شهب بضم الشين المعجمة والهاء بيان لما منقضة بضم الميم وسكون النون وتشديد الضاد المعجمة نعت شهب وفق بفتح الواو وسكون الفاء منصوب بنزع الخافض أي على وفق ماموصول اسمي في الأرض صلتها من ضم بفتح الصاد المهملة والنون بيان لما حثي حرف غاية غدا بمعجمة فمهملة فعل ماض عن طريق متعلق بغدا الوحي مضاف إليه منهزم بضم الميم وكسر الراء فاعل غدا من الشياطين نعت منهزم يقفو بالقاف والفاء فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى منهزم والجملة نعت ثان له إثر بكسر الهمزة وسكون اللثة متعلق بيقفو منهزم بضم الميم وسكون النون وفتح الهاء وكسر الراء مضاف إليه .

بعد في قوله من بعد ما أخبر الخ فيقرأ لفظ بعد بالجر نظرا لذلك ويصح قراءته بالنصب نظرا لمحل الجار والمجرور وماموصولة بمعنى الذي والعائد محذوف والتقدير عابنوه أي شاهدوه وأبصروه وقوله في الأفق بسكون الفاء كاهولفة في الأفق بضمها وللرأد به هنا السماء لاحقيقته التي هي أطراف السماء المماسية للأرض لعدم وجود الشهب في ذلك وقوله من شهب بيان لما عابنوه والشهب جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة وليس هو النجم كما قد يتوهم لأنه لا ينقض ولا يسقط وقوله منقضة أي ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من اللاتمة ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم يكن للكفار عهد بمثل ذلك وإن كان لهم به عهد في الجملة وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات بسقوط الشهب عليهم ولما ولد صلى الله عليه وسلم زيد في حراسة السماء فلمعوا من سائرها بسقوط الشهب عليهم بكثرة لكن كانوا يقعدون في مقاعد قريبة من السماء بحيث يسمعون صريف الأقلام أي صوت أقلام اللاتمة التي تكتب ما يقع في العالم ولما بحث صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك بالشهب أيضا كما قال الله تعالى حكاية عنهم وأنا كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وقوله وفق مافي الأرض أي مثل مافي الأرض في الانقضاض والسقوط لأن أصنام الدنيا أصبحت منكوسة تلك الليلة وماموصولة بمعنى الذي وقوله من ضم بيان لها أي من جنس الصنم الصادق بالكثير والصنم والوثن بمعنى واحد وقيل الصنم ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور وقيل الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من غيره كنهاس (قوله حتى غدا الخ) أي ولم تزل الشهب تنقض الى أن غدا الخ فهو غاية لمحذوف وحتى بمعنى الى وغدا بمعنى سار وقوله عن طريق الوحي متعلق بمنهزم الواقع اسما لغدا وطريق الوحي هو السماء والوحي للكلام الحق والكتاب والإشارة والرسالة والإلهام الى غير ذلك والمنهزم الهارب وقوله من الشياطين بيان لمنهزم مشوب بتبويض وقوله يقفو إثر منهزم أي يتبع إثر هارب آخر . وحاصل المعنى ولم تزل الشهب تنقض الى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التي هي طريق الوحي يتبع إثر هارب آخر وهم جرا (قوله كأنهم هربا الخ) الضمير للشياطين وهربا حال أي في حال كونهم هاربين والأبطال جمع بطل وهو الشجاع القوي جدا وسمى بطلا لبطلانهم الشجاعة عند ملاقاته أولأن الدماء تبطل عنده فلا يؤخذ بثأرها وأبرهة بالصرف للضرورة والافهه ممنوع من الصرف للعالية والعجبة ومعناه بلسان الحبشة أبيض الوجه وللرأد به هنا ملك اليمن والعسكر الجيش كما تقدم والحصى حجارة صغيرة صلبة والراحتان بطنا الكف وقوله رمى بالبنا للجهول صفة لعسكرو يتعلق به كل من قوله

[ومعنى البتين] ومن بعد الذي عابنوه من شعل النار النازلة من السماء على الشياطين السارقين للسمع على وفق تنكيس الأصنام التي في الأرض الى أن ذهب كل شيطان هارب عن أبواب السماء وصار يتبع إثر شيطان هارب مثله .

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَرْقَمَ أَوْ عَسْكَرُ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِيَ

نَبَذَا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ يَبْطَنِهِمَا نَبَذَ الْمَسْبُوحُ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ

المهرب الفرار السريع والأبطال جمع بطل وهو الشجاع وأبرهة بالحشية أيض الوجه والمراد به اسم رئيس أصحاب الفيل ويقال له الأثرم والعسكر الجيش العظيم والحصى جمع حصاة وهي حجارة صغار صلبة والراحة الكف والنبد الطرح والتسبيح التزييه من كل نقص والبطن ضد الظهر والمراد بالتسبيح هنا يونس عليه السلام من قوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين والاحشاء جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع والمراد (٤٦)

بالحصى وقوله من راحتيه والقصود تشبيه الشياطين في حال هربهم من الشهب بأبطال أبرهة أو بالعسكر الذي رمى بالحصى من راحتيه صلى الله عليه وسلم والمصرع الأول إشارة الى قصة أصحاب الفيل والمصرع الثاني إشارة الى غزوة بدر على ما رواه البخاري من أن رمى الحصى كان في غزوة بدر أو إلى غزوة حنين على ما رواه مسلم من أن رمى الحصى كان في غزوة حنين ولا مانع من تعدد الرمي وأشار بقوله رمى بالبناء للمجهول إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن باشر الرمي ظاهرا لكن الراي حقيقة هو الله قال تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ولما رماه صلى الله عليه وسلم في وجوه الأعداء لم يبق منهم أحد إلا دخل التراب في عينيه وانهمزوا جميعا فتبعهم المسلمون يأسروهم ويقتلونهم . وحاصل قصة أصحاب الفيل أن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قيل من الحجارة فقال والسيح لأبنين لكم بيتا خيرا منه فبنى لهم كنيسة من الرخام الأسود والأحمر والأصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأراد صرف الحج إليها ومنع الناس من الذهاب الى مكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضبا وتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة ولحق بأرضه فأغضب ذلك أبرهة وحلف ليتقطن الكعبة حجرا حجرا وكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه فيله فلما قدم إليه الفيل خرج في ستين ألفا فلما بلغ الغميس بضم الميم الأولى وفتح الغين للمعجزة وتشديد الميم الثانية مفتوحة أو مكسورة أمر أبرهة رجلا بالغارة الى مكة فضى إليها واستاق ابل قریش وغنمهم فهموا بقتاله ثم عرفوا أنهم لا يطيقون قتاله فتركوه ثم لما نهيا أبرهة لدخول مكة برك الفيل فضر به في رأسه ليقوم فأبى فوجهوه الى غير مكة فقام يهرول ثم وجهوه الى مكة فبرك ثم أرسل الله عليهم الطيور الأبايل مع كل طائر ثلاثة أحجار حجر في منقاره والآخران في رجله فذهبوا هارين يتساقطون بكل طريق وكان الحجر يصيب رأس الرجل فيخرج من دبره ومن أسفل مركوبه والى هذه القصة أشار سبحانه وتعالى بقوله ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة (قوله نبذا الخ) أي نبذه النبي صلى الله عليه وسلم نبذا الخ فنبذا مصدر منصوب بفعل محذوف من لفظه أو منصوب بقوله

[الإعراب] كأنهم كأن حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر والضمير اسمها هربا حال والعامل فيها ما في كأن من معنى التشبيه وذو الحال اسم كأن أبطال خبرها أبرهة بفتح الهمزة وسكون الواو وحده وفتح الراء الهمزة والصرف للضرورة أو عسكر بالرفع عطفا على أبطال وبالجر عطفا على أبرهة بالحصى متعلق برى من راحتيه حال من الحصى والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم رمى بالبناء للفعل معطوف في المعنى على خبر كأن وتقدير البيت كأن الشياطين في حال كونهم هارين أبطال أبرهة أو كأنهم عسكر رمى بالحصى من راحتي النبي صلى الله عليه وسلم نبذا بالمعجمة مفعول مطلق والناصب له رمى لأنه يلاقيه في المعنى لأن الرمي هو النبذ على حد قدمت جلوسا به بعد متعلقان برى ولا يجوز تعلقهما بنبذا لأن المصدر المؤكد لا يعمل تسبيح مضاف إليه يبطنهما نعت تسبيح نبذا بالمعجمة مفعول مطلق نوعي تشبيهي أي مثل نبذا المسبح بضم الميم وكسر الواو وحده الشدة مضاف إليه من أحشاء حال من المسبح ملتقم بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف مضاف إليه .

رمى

[ومعنى البيتين] كأن الشياطين في هربهم أبطال أبرهة في هربهم لما رموا

بالحجارة من سجيل وولوا هارين أو كأن الشياطين عسكر رمى بالحصى من بطن كفيه صلى الله عليه وسلم فهرب من رمية كما وقع في غزوة بدر وحنين إلا أنه لم يسمع للحصى فيهما تسبيح وإنما روى عن أنس رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسجن في يده الشريفة حتى ممعنا التسبيح الحديث وظاهر كلام الناظم أن الرمي والتسبيح في موطن واحد وفيه نظر الا أن يحمل على أن التسبيح وقع سرا فيستقيم قوله نبذا بالحصى المسبح في بطن راحتيه مثل نبذ يونس المسبح في بطن الحوت للتلتم له والقصد تشبيه نبذه صلى الله عليه وسلم بالحصى المسبح العسكر فهرب منكسرا بنبذ الله تعالى يونس المسبح

رمى في البيت قبله فيكون العامل فيه موافقا له في المعنى كما في قولك جلست قعودا وقوله به أى بالخصى وهو متعلق ببندا وقوله بعد تسبيح يبطنهما أى بعد تسبيح الخصى في بطن الراحين الشريفتين بمعنى الكفين وظاهر كلام المصنف أن الخصى المرمى به سبىح في كفيه صلى الله عليه وسلم وكان الناظم وقف على ذلك أو أنه قصد التسبيح الثابت في غير ذلك كما رواه أنس حيث قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من خصى فسبىح في كفه حتى سمعنا التسبيح ثم وضعه في يد أبى بكر فسبىح أيضا ثم في يد عمر فسبىح أيضا ثم في أيدينا فاسبىح وبذلك اندفع ما عترض به بعضهم على المصنف من أنه لم يثبت أن الخصى الذى رمى به في يوم بدر أو حنين سبىح في كفه قيل أن رمى به وقوله نبذ المسبىح من أحشاء ملتقم أى كنبذ المسبىح الذى هو يونس عليه السلام من أحشاء الملتقم له والأحشاء ما انضمت عليه الأضلاع وقيل الأمعاء والملتقم له هو الحوت قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم أى فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه فلولا أنه كان من اللدائكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت لإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة فألقيناه من بطن الحوت بوجه الأرض بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما وهو عليل كالفرخ المعط وقال تعالى فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أى فنادى في الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت بأن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين في ذهابي من بين قومي من غير إذن وحراد المصنف التشبيه به في أن كلا أمر خارق للعادة وفي كلامه من الحسنات البديعية الاستتباع لأنه بعد أن تكلم على انقضاء الشهب على الشياطين وتشبيههم في حال هربهم بأبطال أبرهة أو بالعسكر الذى رمى بالخصى من راحته الشريفتين استتبع الكلام على تسبيح الخصى بكفيه صلى الله عليه وسلم وحقيقة الاستتباع أن يضمن كلام سيق معنى آخر كما في قول ابن نباتة :

ولا بدلى من جهلة في وصاله فمن لى بخل أودع الحلم عنده

فإنه سيق للاخبار بكونه حليما وضمنه الشكاية بأنه ليس في الاخوان من يصلح لإيداع الحلم عنده (قوله جاءت لدعوته الأشجار إلخ) أى أتت لطلبه الأشجار إلخ فالهوى الاتيان والدعوة الطلب والأشجار جمع شجرة وقوله ساجدة حال من الأشجار والمراد بالسجود هنا معناه اللغوى وهو الخضوع وجملة قوله تمتشى إلخ إما حال من الأشجار فتكون حالا مترادفة أو من الضمير في ساجدة فتكون حالا متداخلة وقوله على ساق متعلق بتمشى والساق ماتحت الفروع من الشجرة وقوله بلا قدم مفة للساق أو متعلق بتمشى وأشار بذلك لما روى من أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل تلك الشجرة رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها حتى قطعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها في الأرض فوقفت بين يديه وقالت

في بطن الحوت حيا في أن كلا منهما خارق للعادة وهو تشبيه لطيف فان بين انطباق الضالوع على ما يحصل فيها من الشخص السبع وبين انضمام الأصابع على ما يحصل في الراحة من الخصى المسبىح مقابلة لطيفة .

جاءت لدعوتيه الأشجار ساجدة

تمشى إليه على ساق بلا قدم

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لَمَّا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِالْقَمِّ
مِثْلَ الْقَصَائِمَةِ أَيْ سَارَ سَائِرَةً تَقِيهِ حَرٌّ وَطَيْسٍ لِلْمُجِيرِ حَمَى

جاءت أنت لدعوته أى لندائه الأشجار جمع شجرة وهى ماله ساق وساجدة أى خاضعة والقدم طرف الرجل والسطر الخط وفروع الشجرة أعلاها والبديع الغريب والعجيب والقم بالفتح وسط الطريق والقمامة واحدة القمام وهى السحاب وتقيه أى تحفظه والوطيس التنور والمجير نصف النهار إذا كان حارا وحى الوطيس إذا اشتد الحر [الاعراب] جاءت فعل ماض وعلامة تأنيث لدعوته متعلق بجاءت الأشجار فاعل (٤٨) جاءت ساجدة حال من الأشجار تمشى حال ثانية من الأشجار أو من

فاعل ساجدة المستتر فيه فهمى على الأول من الأحوال المترادفة وعلى الثانى من الأحوال الداخلة إليه على ساق متعلقان يتمشى بلا قسم بكسر الواو وفتح القاف والهمزة فى موضع النعت لساق كأنما حرف تشبيه مهملة سطرت بفتح السين والطاء المهملتين فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على الأشجار سطرًا بفتح السين المهملة مفعول به لما بكسر اللام وتخفيف الهمزة متعلق بسطرت ومما موصول اسمى كتبت فعل ماض وتاء تأنيث فروعها فاعل لكنت والهمزة صلة ما والعايد محذوف أى كتبت من بديع بيان لما متعلق بكتبت الخط بفتح الحاء المعجمة وبالطاء المهملة مضاف إليه بالقم بفتح اللام والقاف متعلق بكتبت والباء بمعنى فى مثل بالنصب على الحال من فاعل تمشى وبالرفع خبر مبتدا محذوف أى أمرها مثل القمامة مضاف إليها أى بفتح الهمزة والنون الشددة ظرف زمان وفيه معنى الشرط سار فعل الشرط سائرة بالنصب حال من القمامة وصح

السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابى مرها فلترجع الى منبتها فأمرها فرجعت ودلت عروقها فى منبتها فاستوت فيه وفى بعض الروايات فقال الأعرابى أئذنى أن أسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت للمرأة أن تسجد لزوجها قال فأئذنى أن أقبل يديك ورجليك فأذن له وإنما لم يأذن له صلى الله عليه وسلم بالسجود ايذانًا بأن السجود لا يكون إلا لله لأن مكانه من الدين عظيم لما فيه من غاية الخضوع ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يقضى حاجة الإنسان فنظر فلم يجد شيئا يستتر به وإذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق الى إحداهما فأخذ ببعض أغصانها فقال انقادى معى بأذن الله فانقادت معه حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ ببعض أغصانها فقال انقادى معى بأذن الله فانقادت معه حتى إذا كان بالنصف مما بينهما لم يبق بينهما وقال لهما التبا على بأذن الله فالتأتأتا ثم بعد انقضاء حاجته افرقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق (قوله كأنما سطر الح) هذا البيت لبيان اعتدالها فى مشيا القويم وسلوكها السنن المستقيم والمعنى كأنما سطر تلك الأشجار فى حال مشيا سطرًا للذى كتبت فروعها وهو الخط البديع أى الذى لم يعهد مثله الرسوم فى القم بفتح اللام والقاف أى وسط الطريق لكونها مشى تمشى استقامة فلما لم يكن فى مشيا ميل ولا عوج شبه مشيا على ذلك الوجه بتسطير الكاتب سطرًا مستقيما ليكتب عليه وعلم من ذلك أى ما فى قوله لما كتبت موصولة والعايد محذوف ومن للبيان والإضافة فى قوله بديع الخط من إضافة الصفة للموصوف وقد شبه أثر فروعها فى الأرض المفيد للمعبر كالأعرابى السابق بالخط الدال على اللفظ المفيد للتدبر للعانى على طريق التصريح (قوله مثل القمامة الح) أى هى مثل القمامة الح فهو بالرفع خبر مبتدا محذوف ويصح قراءته بالنصب على أنه حال من الأشجار أى حال كونها مثل القمامة الح والمراد أنها مثلها فى الانقياد له صلى الله عليه وسلم

معى الحال من المضاف إليه لأن المضاف مثل بمعنى مماثل فهو عامل فى الحال وجواب الشرط محذوف أى معجزة

فهمى سائرة معه تقية بفتح التاء الفوقية وكسر القاف فعل مضارع متعد لاتنين أولهما الهاء وثانيهما حر بفتح المهملتين والهمزة إما صفة لسائرة بناء على أن الوصف بوصف وهو الصحيح وإما حال من القمامة أو من الضير المستتر فى سائرة وطيس بفتح الواو وكسر الطاء للهمزة وفى آخره سين مهملة مضاف إليه بالمجير بفتح الهاء وكسر الهمزة وكسر الميم فعل ماض وفاعله ضمير وطيس المستتر فيه والهمزة نعت وطيس [ومعنى الآيات الثلاثة] أن النبي صلى الله عليه وسلم نادى شجرة فأقبلت خاضعة ماشية على ساقها وهى تشق الأرض شقا ولم يكن فى مشيا عوج ولا ميل بل تمشى مشى استقامة كالإنسان الذى يأتى وهو متأدب من غير خلل فى مشيه كسطر سطره الكاتب ليكتب عليه فكانها مطرت فى مجيئها سطرًا مستقيما تمشى عليه وسط الطريق ومثل مجىء الأشجار به بأمره وإشارته مثل القمامة فى تظليلها إياه من حر الشمس فى وسط النهار فى أنهما معجزتان خارقتان للعادة فى الأسفل والأعلى.

معجزة وآية لرد المعارض فقد اتقاده عليه الصلاة والسلام الأعلى والأسفل فالأشجار من الأسفل والقمامة من الأعلى لأنها السحابة وقوله أنى سار سائرة أى فى أى موضع سار هى سائرة أو كيف سار هى سائرة فأتى بمعنى فى أى موضع أو بمعنى كيف وعلى كل فسائرة بالرفع خبر لمبتدأ محذوف ويصح نصبه على أنه حال من القمامة وجملة قوله تقيه الخ خبر ثان على الأول وحال ثانية على الثانى وقوله حروطيس أى حر الشمس الشبية بالوطيس فى الحرارة فالوطيس فى كلام المصنف مستعار للشمس على طريق الاستعارة التصريحية وإن كان فى الأصل هو التنور وقوله للهجير أى عند الهجير فاللام بمعنى عند وهو ظرف لحر وطيس أو لقوله تقيه والهجير والهجرة بمعنى واحد وهو وسط النهار إذا كان حاراً وقوله حى يصح جعله فعلاً ماضياً فتكون الجملة صفة لوطيس أو فى موضع الحال من الهجير أى حال كونه قد حى وتكون حالاً مؤكدة لما علمت من معنى الهجير ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حامى فيكون نقلاً للوطيس أو للهجير ويكون وصفاً كاشفاً وهذا البيت إشارة إلى ما روى من أن أباطالب خرج إلى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش إلى أن أشرفوا على بحيرا الراهب وكان فى صومعته فنزلوا عنده وحطوا رحلهم وكانوا يعبرون به قبل ذلك فلا يخرج إليهم وفى هذه المرة خرج إليهم وجعل يتخللهم حتى جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذى يبعثه رحمة للعالمين فقال له أشياخ قريش وما أعلمك بهذا ؟ فقال انكم حين أشرفتم من مكة والقمامة تظله فوق رأسه ولم يبق حجر ولا شجر الاخر له ساجداً ولا يسجدان إلا لى وانى لأعرفه بخاتم النبوة ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعاية الإبل فأرسلوا له فأقبل وعليه غمامة تظله فلما جالس وكانوا قد سبقوه إلى فى الشجرة مالت عليه فقال انظروا إلى فى الشجرة مال إليه (قوله أقسمت بالقمر الخ) أى أقسمت برب القمر الخ لأن أهل الشرع يمنعون الحلف بغير الله تعالى وإن جرت عليه عادة الأدباء لكن محل النع فى حقنا وأما فى حقه تعالى فله أن يحلف بما شاء من مخلوقاته لأنها من آثاره قال تعالى والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها الآية وإنما عبر بالماضى دون المضارع إشارة إلى أن اعتقاده مطوى عليه منذ عقل وقوله المنشق أى الذى انشق آية له صلى الله عليه وسلم لأن أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقين فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا فقال كفار قريش قد سحرنا محمد فابشوا إلى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فنزل قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وجملة قوله إن له الخ جواب القسم والضمير الأول للقمر المنشق والضمير الثانى للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله من قلبه متعلق بنسبة وقدمه عليها للاهتمام ومن معنى الباء والراد بالنسبة المناسبة والمشابهة فى الانشقاق . أما انشقاق القمر فقد علمته ؛ وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات ، وقد جمعا بعضهم فى قوله :

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةً الْقَسَمِ
القسم العين والنسبة الشبه ومبرورة
من بر فى يمينه أمضاها على الصدق .
[الاعراب] أقسمت بضم التاء فعل
وفاعل بالقمر متعلق بأقسمت على تقدير
مضاف بين الجار والمجرور أى برب القمر
المنشق نعت القمر إن بكسر الهمزة
حرف تأكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر
له خبر إن مقدم والضمير للقمر من قلبه
متعلق بنسبة والضمير للنبي صلى الله عليه
وسلم نسبة بكسر النون وسكون السين
المهملة وفتح الباء الموحدة اسم إن مؤخر
وجملة إن ومعمولها جواب أقسمت لأجل
لها من الاعراب مبرورة بموحدة
ومهملتين نعت لمحذوف القسم بفتحيتين
مضاف إليه .

[ومعنى البيت] أقسمت برب القمر
بمينا مبرورة إن للقمر المنشق شبهاً بقلبه
صلى الله عليه وسلم فى انشقاق كل منهما
مرتين ووجه الشبه بين الانشقاقين
جرهما على خلاف العادة فى الانشقاق
والالتئام من غير تأخير ولا اختلال

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

(٥٠) اخْتَنِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ

حوى أى جمع والغار هو المكان الذى تقب فى جبل يسمى ثورا بالثلثة فى أسفل مكة والخير بفتح الحاء المعجمة كثير الخير وبكسر الحاء الكرم والشرف والأصل والهيبة كذا فى القاموس ويحتمل عندي أنه أراد بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالكرم صاحبه أبا بكر رضى الله عنه والطرف البصر والعنى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا .

[الاعراب] ما موصول اسمى فى موضع رفع خبر مبتدأ محذوف حوى الغار فعل وفاعل صلة ما والعائد محذوف أى حواء من خير ومن كرم متعلقان بحوى ومن فيهما للبيان لما على تقدير مضاف أى من صاحب خير ومن صاحب كرم وكل طرف بفتح الطاء المهملة وسكون الراء مبتدأ ومضاف إليه من الكفار نعت طرف عنه متعلق بمعنى والضمير للمحوى السبقاد من حوى الشامل له صلى الله عليه وسلم ولصاحبه أبى بكر رضى الله عنه عمى فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على كل طرف والجملة خبر المبتدأ .

[ومعنى البيت] ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه دخل هو وأبو بكر الغار هربا من الكفار فطلبوهما حتى وقبوا على قم الغار فأعماهم الله تعالى عنهما ببركة النبي صلى الله عليه وسلم .

فَالصَّدِّيقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِّيقُ لَمْ يَرِ مَا وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ فالصدق أى ذو الصديق وهو النبي صلى الله عليه وسلم والصديق أبو بكر رضى الله عنه ليرما أى ليربحا وأرم معنى أحد اللازم للنبي .

وشق صدر المصطفى وهو فى دار بنى سعد بلامرية كشفه وهو ابن عشرين فى ليلة معراج وعند البعثة

وزيد خامسة عند عشرين سنة لكنها لم تثبت وقوله مبرورة القسم أى إن القسم عليها مبرور فيه يقال بر فى يمينه إذا صدق فيها والتبادر أنه صفة للنسبة لكن جعلوه صفة لموصوف محذوف دل عليه السياق والتقدير يمين مبرورة القسم وفيه شيء لأن اليمين بمعنى القسم فيصير التقدير قسما مبرور القسم ولا يخلو عن ركة إلا أن يقال إنه من باب الاظهار فى مقام الاضمار وقد علمت ما فيه الغنية عن ذلك (قوله وما حوى الغار الخ) أى واذكر ما حوى الغار الخ أو أقسمت بما حوى الغار الخ وعلى الثانى لجواب القسم معلوم بمقابلته والغار تقب فى الجبل وكان فى جبل ثور بأسفل مكة وقوله من خير ومن كرم بيان لما حوى الغار وظاهره أن المراد نفس الصفتين من غير تقدير مضاف وعليه فما باقية على معناها كما ذكره بعضهم والأظهر جعله على حذف مضاف أى من ذى خير ومن ذى كرم وعلى هذا فما معنى من لأن ما لغير العاقل ومن للعاقل والمراد بالخير الأخلاق الحميدة وبالكرم الجود فهما متغايران تباين الأعم والأخص وكل منهما لكل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أبى بكر ويحتمل أن الأول للنبي صلى الله عليه وسلم والثانى لأبى بكر وعلى هذا فإعماخه بالكرم لأنه آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله ولذلك لما أتيا إلى الغار تقدم أبو بكر فى الدخول لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذى فيتلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد شيئا فدخا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر وكان هناك حجر فيه حيات وأفاعى خشى أبو بكر أن يخرج منه شيء يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه فجعلت الحيات والأفاعى يضربنه ويلسعنه ولم يتحرك مخافة أن يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر ما يبكيك قال لدغت فضل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذهب ما يجده لكنه كان يعاوده ذلك حتى كان سبب موته على المشهور وفى بعض التواريخ أنه مات بسم آخر لأنه أكل مرة مع أعرابى فقال له الأعرابى ارفع يدك يا خليفة رسول الله فان هذا الطعام فيه سم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد وكان كذلك وقوله وكل طرف الخ أى والحال أن كل طرف الخ فالواو للحال والطرف بسكون الراء هو البصر وقوله عنه أى عما حوى الغار وقوله عمى يحتمل جعله فعلا وجعله اسما وقد لبث النبي وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال وجاء الكفار نحو إلى الغار ينظرون فأعماهم الله تعالى قال أبو بكر نظرت إلى أقدامهم فوق رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال ما ظنك باتنين الله ثالثهما وفى التنزيل ثانى اتنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا (قوله فالصدق الخ) أى فذو الصديق الخ فهو على حذف

مضاف

وفى البيت من البديع الجاس المشتق فى قوله الصدق

والصدق وفيه رد العجز على الصدر فى قوله لم يرما وأرم . [الاعراب] فالصدق مبتدأ على تقدير مضاف أى ذو الصديق فى الغار متعلق يرما والصدق معطوف على الصدق وجملة لم يرما بفتح الياء التحية وكسر الراء المهملة والميم خبر المبتدأ وما عطف عليه

وأصل يرما يريمان حذف النون للجازم والياء للضرورة وهم مبتدأ والضمير للكفار يقولون خبره ما حرف نفى بالغار خبر مقدم مبتدأ مؤخر من حرف جر زائد أرم بفتح الهمزة وكسر الراء الهمزة مبتدأ مؤخر والجملة مقول يقولون . [ومعنى البيت] فالتبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه لم ييرحا في الغار والكفار لا ينظرونهما ويقولون ليس أحد في الغار لما رأوا نسج العنكبوت على قم الغار وحوم الحمام عليه .

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسَجْ وَلَمْ تَحْمَمْ

ظنوا أى حسبوا والحمام اسم جنس جمعى واحده حمامة تقع على الذكر والأنثى وهى دوات الأطواق والعنكبوت واحد العناكب والبرية الخليفة والنسج الحياكة والحوم الطواف . [الاعراب] ظنوا (٥١) فعل وفاعل والضمير للكفار الحمام مفعول

أول وظنوا العنكبوت فعل وفاعل ومفعول أول على خير متعلق بتنسج البرية بياء موحدة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وياء تحتية مشددة مضاف إليه لم تنسج بفتح المثناة الفوقية وكسر السين المهملة وضدها والجم فعل مضارع وفاعله ضمير العنكبوت جملة فى موضع المفعول الثانى لظنوا الثانية ولم تحم بفتح التاء الفوقية وضم الحاء المهملة فعل مضارع وفاعله ضمير الحمام متعلقه محذوف والجملة فى موضع المفعول الثانى لظنوا الأول والتقدير ظنوا الحمام لم تحم على خير البرية وظنوا العنكبوت لم تنسج على خير البرية وفى البيت من البديع اللف والنشر على خلاف الترتيب وفيه التكرير فى قوله ظنوا وظنوا وفيه رد العجز على الصدر فى قوله الحمام وتحم .

[ومعنى البيت] أن الكفار لما رأوا الحمام حامت على الغار والعنكبوت نسجت عليه فى ساعة واحدة ظنوا أن خير البرية وصاحبه ليسا فى الغار لظنهم استبعاد حوم الحمام حول الغار

مضاف أو يؤول الصدق بالصادق أو يجعل من باب المبالغة وقوله والصديق أى فى الغار ففيه الحذف من الثانى لدلالة الأول وقوله لم يرما بكسر الراء أى لم ييرحا وأصله لم يرما حذف منه الياء تبعاً لحذفها فى اسناده إلى المفرد كما فى قولك زيد لم يرم فإن أصله يرم حذف منه الياء مع الجازم لالتقاء الساكنين وقوله وهم يقولون الخ أى والحال أنهم يقولون الخ والضمير راجع للكفار المعلومين من السياق وجملة قوله ما بالغار من أرم مقول القول وأرم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى أحد وهو مبتدأ خبره الجار والجرور قبله ومن زائدة وإنما قالوا ذلك لكونهم رأوا الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على قمه فظنوا أنهما ليسا فيه كما أشار إليه الناظم بالبيت بعد هذا وذلك أنه تقدم رجل منهم فنظر حمامتين على قم الغار فقال ليس فى الغار شئ رأيت حمامتين على قم الغار فعرفت أنه ليس فيه أحد فقال رجل آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أثر بكم بالغار أى وما حاجتكم به إن فيه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد (قوله ظنوا الحمام الخ) هذا البيت كالتعليل لما قبله كما علت وقوله على خير البرية متعلق بقوله لم تنسج أو بقوله لم تحم وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أو بالعكس وقوله لم تنسج بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت وقوله ولم تحم بضم الحاء راجع للحمام ففيه لف ونشر مشوش وسبب ظنهم ذلك أن هذين الحيوانين متى أحسا بالإنسان فرا منه ولم يعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه (قوله وقاية الله الخ) أى حفظ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفة من الدروع بأن يلبس الشخص درعا فوق درع للحفظ من العدو أو أن تنسج الدرع حلقين وتلبس للحفظ من العدو فالمراد بالمضاعفة من الدروع أن يلبس الشخص درعا فوق درع وقبل أن تنسج الدرع حلقين وقوله عن عال من الأطم أى وأغنت عن عال من الحصون التى يتحصن فيها من العدو فالأطم بضم الهمزة والطاء بمعنى الحصون جمع

ونسج العنكبوت عليه فى وقت لا يسع ذلك .

وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنِ الْمُضَاعَفَةِ مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطْمِ

الوقاية الحفظ وأغنت أجزاء والدروع المضاعفة المنسوجة حلقين حلقين تلبس للحفظ من العدو والأطم الحصون والواحدة أطمه ويجمع أبطام . [الاعراب] وقاية الله بكسر الواو مبتدأ ومضاف إليه وجملة أغنت بالمعجمة خبره عن مضاعفة متعلق بأغنت من الدروع بمهمات متعلق بمحذوف نعت مضاعفة وعن عال معطوف على مضاعفة من الأطم بضم الهمزة والطاء الهمزة متعلق بمحذوف نعت عال . [ومعنى البيت] حفظ الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولصاحبه رضى الله عنه من العدو بهذا الغار أجزاء عن الدروع المضاعفة وعن الحصون العالية كل ذلك يركته صلى الله عليه وسلم .

مَا سَأَمَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ إِلَّا وَنِلْتُ جِسْرًا مِنْهُ لَمْ يُضْمَرْ
وَلَا التَّمَسُّتُ غَنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمٍ

سامني أي كلفني وأولاني والدهر الزمان والضميم الظلم وفي نسخة ماضاني الدهر يوما واستجرت أي طلبت أن يحيرني ونلت أي
حصلت والجوار بضم الجيم والأفصح كسرهما (٥٢) القرب والمراد هنا الرعاية ولم يضم ولم يحضر والالتماس الطلب والنق

اليسار ضد الفقر والدارين الدنيا والآخرة
من يده أي نعمته وإحسانه واستمت
الندى أي أخذت العطاء وفي البيت الأول
من البديع الجنس المشتق في قوله
استجرت وجوارا، وفي البيت الثاني
جناس القلب في قوله التمسست واستلمت
وفيه رد العجز على الصدر في قوله
التمست ومستلم وفيه التورية المرشحة
في قوله يده فإن معناها القريب العضو
والبيد النعمة والرشح القريب قوله مستلم
[الاعراب] ما حرف نفي سامني بالمهمل
فعل ماض متعدي لاثنين أولهما ياء التكلم
المتصلة به الدهر فاعل سامني ضيما بالمعجمة
المفتوحة مفعول سامني الثاني واستجرت
فعل وفاعل معطوف على سامني الدهر
به متعلق باستجرت والضمير للنبي صلى
الله عليه وسلم إلا حرف إيجاب ونلت
بكسر النون وضم التاء فعل وفاعل
في موضع الحال من ضمير التكلم
ومنع ابن مالك اقتران الماضي الواقع
حالا بالواو وأجازه غيره جوارا بكسر
الجيم أفصح من ضمها مفعول نلت منه
نعت جوارا والضمير للنبي صلى الله عليه
وسلم لم يضم بضم الياء التحتية وفتح الصاد
المعجمة نعت جوارا أيضا ولا نافية التمسست
بضم التاء فعل وفاعل غنى بكسر الغين
المعجمة والفصر مع التنوين مفعول

أطمة وهي الحصن وفي هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى إلا تتصروه فقد نصره الله
إذ أخرجه الدين كفروا الآية (قوله ماضاني الدهر يوما الخ) هكذا في بعض النسخ
وفي بعضها ماضاني الدهر ضيما الخ والغنى على الأول ماضاني الدهر في يوم الخ وعلى
الثاني ما أردت وتصدني الدهر بظلم الخ وعلى كل فلا بد من تقدير مضاف أي أهل
الدهر وإلا فالدهر لا يظلم ولا يريد الظلم وإن جرت عادة العرب بنسبة الظلم إليه لوقوعه
فيه وقوله واستجرت به أي طلبت منه أن يحيرني من ذلك فالسين والتاء للطلب
وقوله إلا ونلت جوارا منه أي إلا وأعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها أي حمي وحفظا
من الرسول وقوله لم يضم بالبناء للجهول أي لم يحتقر بل يحترم [قوله ماضاني الخ هو
والندى بعده] فأندتهما أن من كان مسجوناً أو خائفاً من سلطان وداوم على قراءتهما
سبع عشرة مرة بعد كل صلاة فإن الله يفرج عنه همه ويجعل له من أمره مخرجا
(قوله ولا التمسست الخ) معطوف على قوله ماضاني الدهر الخ والالتماس عند بعضهم
اسم للطلب من المساوي والراد منه هنا الطلب بخضوع وذلك وقوله غنى الدارين أي
داري الدنيا والآخرة والغنى في الأولى بالكفاية وفي الثانية بالسلامة من العذاب
وقوله من يده أي من نعمته فالمراد من اليد هنا النعمة وقيل المراد منها اللات الكريمة
وقوله الاستلمت أي إلا أخذت المراد بالاستلام هنا الأخذ كما في قولهم استلمت معروفة
على سبيل التجوز لأنه في الأصل اللس باليد أو الفم كما في قولهم استلمت الحجر
وقوله الندى بفتح النون مع القصر وهو العطاء والكرم وقوله من خير مستلم بفتح
اللام أي من خير مستلم منه فصلته محذوفة والمستلم منه هو المأخوذ منه وإنما كان
صلى الله عليه وسلم خير مستلم منه لأنه لا يرد سائله ويبيده خير الدنيا والآخرة فإن
قيل إخباره عن نيل غنى الدنيا منه صلى الله عليه وسلم صحيح لأنه مشاهد في الحسن
بخلاف إخباره عن نيل غنى الآخرة منه صلى الله عليه وسلم فإنه غير مشاهد في الحسن
فكيف يصح إخباره عنه ؟ . أجيب بأنه مشاهد بقوة يقين الإيمان . وفي هذا البيت
والندى قبله براعة الطلب وهي كما قاله الزنجاني في كتاب المعيار أن يلوح بالطلب
بالفاظ عذبة خالية عن الإجحاف مقترنة بتعظيم المدح تشعير بما في النفس دون كشفه
وقيود هذا الحد كلها موجودة في هذين البيتين (قوله لا تنسكروا الوحي الخ) هذا شروع
في مبدأ الوحي وقوله من رؤياه حال من الوحي ومن للإبتداء أي لا تنسكروا الوحي

التمست وهو مضاف والدارين بالتثنية مضاف إليهما من يده متعلق بالتمست والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم حال

الاحرف إيجاب استلمت بضم التاء فعل وفاعل في موضع الحال من ضمير التكلم الندى بفتح النون والقصر مفعول استلمت من خير
متعلق باستلمت مستلم بفتح التاء واللام مضاف إليه [ومعنى البيتين] ما أتاني ضم واستجرت بالنبي صلى الله عليه وسلم الا كنت نائلا جوارا
عثرما ولا طلبت من فضله غنى في الدنيا بالكفاية وفي الآخرة بالسلامة الا كنت آخذ العطاء من خير مطلوب منه فإنه لا يرد سائله.

لَا تُنْسَكِرُوا الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْمَ

وَذَٰكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَلَيْسَ يَنْسَكِرُ فِيهِ حَالٌ مُحْتَمِلٌ

الانكار الجحد والوحى ما يلقى اليه من الأحكام ورؤياه ما يراه في نومه ونوم العين فترة طبيعية تعتري الحيوان تتعطل بها حواسه ونوم القلب تعطيل القوى المدركة وذلك إشارة الى الوحى من رؤياه والبُلُوغ الوصول والمَحْتَمِلُ البالغ العاقل . [الاعراب] لانهية تنكر بكسر الكاف فعل مضارع وفاعله مستتر الوحى مفعول (٥٣) به من رؤياه متعلق بنسكرك ومن بمعنى فى

وانصير للنبي صلى الله عليه وسلم إن بكسر الهمزة وتشديد النون حرف نو كيد له خبر هام مقدم قلبا اسمها مؤخر إذا ظرف للمستقبل وفيه معنى الشرط منصوب بين نامت العينان جملة فعلية من فعل وفاعل مجرورة المحل بإضافة إذا اليها لم يتم جملة فعلية من فعل مضارع وفاعل مستتر يعود إلى قلبا لا محل لها لأنها جواب إذا وهو شرط غير جازم وذا اسم إشارة مبتدأ والكاف حرف خطاب حين منصوب باستمرار محذوف خبر المبتدأ بلوغ بالتنوين مضاف اليه من نبوته متعلق بلوغ فليس فعل ماض ناقص ينكر بالبناء للمفعول ونائب الفاعل مستتر فيه يعود الى حال فيه متعلق ينكر والضمير يرجع الى حين بلوغ والجملة خبر ليس مقدم على اسمها حال اسمها مؤخر محتمل بكسر اللام مضاف اليه [ومعنى البيتين] لا تنكر أيها الملائكة وقوع الوحى اليه صلى الله عليه وسلم فى مقامه فإنه إذا نامت عيناه لا ينام قلبه كما صحح فى حديث الصحيحين عنه أنه قال «إن عني تمامان ولا ينام قلبى» ورؤياه الوحى وقت وصوله الى النبوة وذلك على رأس أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم وهذا الزمان لا تنسكرك فيه رؤيا محتمل الوحى فى نومه .

حال كونه مبتدأ من رؤياه فى النوم فان بدء الوحى كان بالرؤيا الصالحة فى النوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وقوله إن له قلبا الخ تعليل لما قبله أى إن له صلى الله عليه وسلم قلبا له اليقظة الدائمة حتى إذا نامت عيناه الشريفتان لم ينام قلبه لأنه مهبط الوحى وقد شق وطهر من التعلق بغير الله وملى حكمة وإيمانا فصارت اليقظة الدائمة من صفاته فحسن أن يخاطب ويتعلق به الوحى وقد ورد فى الصحيحين إن عني تمامان ولا ينام قلبى لا يقال بشكل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نام مع أصحابه فى الوادى فلم يوقظهم الاخر الشمس لأننا نأهول نظر القلب إغماها فيما غاب عن الشاهد ومشاهدة طلوع الشمس من وظيفة العين وقد كانت أخذت حظها من النوم [وهذا البيت والذى بعده] فائدتها الحفة من المرض من كتبهما فى صحيفة خمار ومحامها بنسراب العرقسوس وشربهما على الريق فإنه يخف بإذن الله تعالى (قوله وذاك الخ) لما كان البيت المتقدم يوهم أن الوحى من رؤياه فى النوم دائم دفع ذلك بقوله وذاك الخ واسم الإشارة راجع للوحى من رؤياه فى النوم وقوله حين بلوغ من نبوته أى حين وصول الى نبوته فالبلوغ بمعنى الوصول ومن بمعنى الى والمعنى والوحى من رؤياه فى النوم كائن وحاصل حين الوصول الى نبوته وحكمة ذلك الاستئناس بملازمة الملك فى النوم ليطبق ذلك فى اليقظة بعد إذ لوجه فى اليقظة ابتداء لأن لا يمكن أن لا يطبق ملاقاته فلما استأنس بذلك أنه فى اليقظة وقوله فليس الخ تفريع على قوله وذاك حين بلوغ الخ وينكر بالبناء للمفعول وحال محتمل نائب فاعل والضمير من قوله فيه للحين للذكور وفى بعض النسخ منه بدل فيه والضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بحال المحتمل الوحى من رؤياه فى النوم لأن المحتمل هو التام وحاله ما يراه فى نومه . والحاصل أن ذلك إنما كان فى ابتداء النبوة وقد نبى على رأس أربعين سنة وذلك حد مبدأ النبوة وإذا كان كذلك فلا ينسكرك الوحى من رؤياه حينئذ وإن كانت مرتبته صلى الله عليه وسلم أعلى المراتب ومن مقتضى ذلك أن لا يكون الوحى إليه فى النوم لأن الوحى فى النوم أدنى من الوحى فى اليقظة (قوله تبارك الله الخ) هذا البيت استدلال على ما قبله ومعنى تبارك الله تزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علوا كبيرا وقوله ما وحى مكتسب أى ليس وحى وإن قل بمكتسب لأحد بسعيه فيه بأن يحصله بأسباب لأن اكتساب الشيء تحصيله بأسبابه التى جرت العادة

تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحَى بِمُكْتَسَبٍ وَلَا نَبِيٌّ عَلَىٰ غَيْبٍ يُنْهَنِمُ

تبارك أى تعالى وتعظم والاكتساب طلب الشيء مباشرة أسبابه التى جرت العادة الغالبة بحصوله عقبا والغيب ما لا يستبد العقل بادراكه ولا الحس ولا كلاهما والتهمة الزينة . [الاعراب] تبارك فعل ماض جامد فاعله ما حرف نبي وحى اسمها بمكتسب بفتح السين المهملة خبرها ولا حرف نبي اسمها على غيب بفتح العين المعجمة متعلق بهم بفتح التاء خبره والباء زائدة فى الموضعين [ومعنى البيت] ليس الوحى مكتسبا لنبي من الأنبياء وليس نبي بهم فيما يخبر به عن غيب فإن جميع الأنبياء معصومون من الرذائل

الغالية بحصوله عقبها وإذا لم يكن مكتسبا بل بتخصيص الله به من يشاء من عباده فلا ينكر وقوعه في الرؤيا كما لا ينكر وقوعه في اليقظة فإن فعل الفاعل المختار لا يختص بحالة دون الأخرى فاللهي عليه أهل الحق أن الوحي ليس مكتسبا خلافا لثراعمي ذلك وهم الفلاسفة فانهم زعموا أنه مكتسب بالخلوة والرياضة وهو كفر صراح فيجب الإيعان بأن ذلك بمحض فضل الله قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومثل الوحي الولاية فليست مكتسبة أيضا بل بفضل الله يؤتيه من يشاء وقوله ولانبي على غيب بمتهم أي ولانبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على إخبار غيب أي على الإخبار بأمر غائب فهو على تقدير مضاف والغيب بمعنى الغائب وهو صفة لموصوف محذوف وإنما لم يكن النبي متهما على الإخبار بالغيب لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب كسائر المعاصي ولا يرد قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك ونحو ذلك لأن ما يقع منهم من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن المقرب أعلى درجة من البار فإذا فعل البار حسنة يراها المقرب سيئة ومثلا ذلك بما إذا تصدق البار برغيف وأبقى عنده رغيفا آخر فإن هذا حسنة عنده لكن يراها المقرب سيئة لكون الأولى عنده أن يتصدق بالرغيفين معا وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم وإلى قوله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . والحاصل أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغار الحسنة باجماع ومن صغار غير الحسنة على ما عليه المحققون والراجح أنهم معصومون منها قبل النبوة وبعدها خلافا لمن جوزها عليهم قبل النبوة ولما وقع منهم محامل فأما قصة آدم وهي أنه أكل من الشجرة وقذنها الله عنها فمحمولة على أنه تأول النهي مع أنه وإن كان منها ظاهرا هو مأمور باطنا بالحكمة إلهيها الله تعالى فهي معصية لا كالمعاصي وأما قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم هذا ربي فقد ذكره مجازاة لهم أي هذا ربي بزعمكم وغرضه بذلك التوصل لبطلانه بلزوم المحال ولذلك قال فلما أفل قال لا أحب الآفلين فكأنه قال لو كان ربا لما أفل لكنه أفل فليس برب وأما ما صدر من إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يرد لأنه قد اختلف في نبوتهم فعلى القول بعدم نبوتهم لا إشكال وعلى القول بنبوتهم فيؤول ما صدر منهم بما أولت به قصة آدم وأما هم يوسف بزيخا فهو أمر جلي لا اختياري حتى يكون مذموما والرغبة في النساء محمودة إذ عدمها يدل على العنة وهي تقيصة ولما هم يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربه وذلك معنى قوله تعالى وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وأما قصة داود عليه الصلاة والسلام وهي أنه خطر بباله أنه إن مات وزيره في الحرب تزوج بزوجه لما علم من حسناتها فأرسل الله إليه ملكين في صورة رجلين اختصا إليه إلى آخر القصة المذكورة في سورة ص فلا ترد أيضا لأن ما وقع منه ليس معصية لكنه غير لائق بمقامه ولذلك عوقب عليه وبكى حتى نبت العشب من دموعه وذكر بعض الصبرين أن جماعة من الناس حقيقة تسوروا قصره ليقتلوه فلما رأهم خاف كما قال الله تعالى ففرع منهم وإنما

أبرأت أى شفت وصبا بكسر الصاد أى مريضا ويفتحها الرض والمس المس باليد والراحة بطن الكف وأطلقت أى خلصت أربا بكسر الراء أى محتاجا ومنه أرب الرجل إذا تساقطت أعضاؤه والأرب بالفتح الحاجة والربق بالكسر حبلى له عدة عرا يشد به الواحدة من العرا ربقة والجمع رباق والمم صغار الذنوب والمراد به الجنون .

[الاعراب] كم خبرية موضعها نصب على أنها مفعول فيسه أو مطلق أى كم وقتا أو مرة أبرأت فعل ماض وتاء تأنيث وصبا بكسر الصاد المهملة مفعول به ويفتحها على حذف مضاف أى ذاوصب بالمس متعلق بأبرأت راحته فاعل أبرأت وأطلقت معطوف على أبرأت وفاعله مستتر فيسه يعود الى راحته أربا بفتح الهمزة وكسر الراء مفعول أطلقت ويفتح الراء على تقدير مضاف أى ذا أرب من ربقة بكسر الراء وفتح التاني بينهما باء موحدة ساكنة متعلق بأطلقت اللم بفتححتين مضاف اليه . [ومعنى البيت] أنه صلى الله عليه وسلم مامسح براحته الشريفة على مريض الاعوفى ولاعلى من علق به داء الاخلاص الله تعالى منه فمن الأول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم مسح على عين قتادة بعد ما عميت فردها الله تعالى عليه فكانت أحسن عينه ومن الثانى ما روى أن امرأة أتت بصبي لها به عاهة فمسح على رأسه فشفاه الله تعالى وما روى أن رجلا سقط من علو فانكسرت رجله فشفاها صلى الله

خاف لما تقرر في العرف من أنه لا يتسور دور الملوك من غير اذنهم الاذورية فلما رآوه مستيقظا خافوا من فعلهم واخترعوا خصومة لأصل لها زعما منهم أن ما قصدوه لأجلها دون ما توهمه ثم ادعى واحد منهم على الآخر كما أخبر الله تعالى فقال داود في الجواب لقد ظلمك بسؤال نعجتك الخ وحمل الآية على هذه القصة أولى لأن الملائكة لا يظلم بعضهم على بعض فيكون كلامهم كذبا ويستحيل صدور الكذب من الملائكة اه من القسطلاني ببعض تغيير واختصار [وهذا البيت والذي بعده] فأمدهما الكتابة للمصروع بين عينيه والكتابة في خرة زرقاء وتجعل فتيلة ويحرق طرفها بالنار وتجعل تحت أنف المصروع فتى حصل الدخان في أنف المصروع صاح فيخرج صارخا ويمحى الذى بين عينيه فيذهب الصارع ولا يعود أبدا وإذا خرج العارض فاكتب البيتين حرزا مع شيء من القرآن وعلقهما على الصاب فانك ترى العجب (قوله كم أبرأت الخ) أى كثيرا من المرات أبرأت الخ فكم خبرية بمعنى كثيرا ويميزها محذوف وقوله وصبا بكسر الصاد أى مريضا ويجوز فتح الصاد أى مرضا لكن على تقدير مضاف أى ذا مرض والأول أولى وهو مفعول لأبرأت وجعله بعضهم تميزا لكم وجعل مفعول أبرأت محذوفا وقوله بالمس أى بسبب المس وقوله راحته فاعل بأبرأت وأشار بذلك الى ما روى من أن عين قتادة أصيبت يوم أحد ووقعت على وجته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له إنلى امرأة أحبها وأخشى أنها إن رأيتنى على هذه الحالة قدرتنى وارفع حى من قلبها فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم عينه بيده وردھا الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينه ومن أن محمد بن حاطب احترقت يده بالنار فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم فمسح عليها فبرأت من ساعتها ومن أن شرجيل الجعفى كانت بكفيه ساعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يبطحها بكفه حتى لم يبق لها أثر وغير ذلك من وقائع كثيرة وقوله وأطلقت أى وحلت راحته وقوله أربا بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرحا أى ذا أرب وحاجة وهى أعم من أن تكون عطاء أو شفاء أو خلوصا من إثم وبعضهم ضبطه بضم الهمزة وفتح الراء وفسره بالمقد وقوله من ربقة اللم أى من عقدة الجنون فالربقة بكسر الراء وسكون الموحدة العقدة واللم بفتح اللام الجنون وبصح تفسيره بالذنوب والمعاصى وفى الكلام استعارة تصریحية حيث شبه تعلق الجنون أو الذنوب والمعاصى بالإنسان بالجبل الذى فيه عرا تربط فيها أعناق الغنم لئلا تذهب واستعير لفظ المشبه به وهو الربقة للشبه وأشار بذلك الى ما روى من أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح بيده المباركة صدره فتح ثمة بالثنية والعين الهملة أى قام قيئة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود وبرى لوقته (قوله وأحييت السنة الشهباء الخ) أى وأخصبت السنة الشهباء الخ ففيه استعارة تصریحية تبعية لأنه شبه الاخصاب بالاحياء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الإحياء بمعنى الإخصاب

عليه وسلم فكانته لم يشكها قط وذلك كثير.

وَأَحْيَيْتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعَوْنَهُ حَتَّى حَكَتْ عُرَّةً فِي الْأَفْصَرِ الدَّهْمِ

بِعَارِضٍ جَادًا وَخَلَّتْ الْبُطَاحُ بِهَا سَبَبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْقَرَمِ

أحييت من الحياة ضد العات والسنة واحدة السنين والشهء أى القليلة المطر سميت بذلك لقلية بياض الأرض فيها بعدم النبات على سوادها بالنبات فهى بالنسبة الى البياض مئة وحكت أى شابهت والغرة البياض فى الجهة والأعصر جمع عصر وهو الزمان والدهم جمع أدهم وهو الأسود الشديد الزرقة والعارض السحاب وجاد أى كثر مطره وخلت أى ظننت والبطاح جمع

(٥٦)

أبطح وهو الوادى المتسع المشتمل على الحصباء والسبب الجرى واليم البحر والعزم الوادى .

[الاعراب] وأحييت معطوف على أبرأت السنة بفتح السين المهملة والنون الخفيفة مفعول أحييت الشهء بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة نعت السنة دعوته فاعل أحييت حتى حرف ابتداء حكمت بفتح المهملة والكاف فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى السنة غرة بضم الغين المعجمة وفتح الراء المهملة مفعول حكمت فى الأعصر بفتح الهمزة وسكون العين وضم الصاد المهملتين متعلق بحكمت الدهم بضمهم نعت الأعصر وصف الزمان بالسواد لبيان سوء الحال بعارض متعلق بحكمت والباء للسببية جاد بالجم والبدال المهملة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى عارض وجملة جاد نعت عارض أو حرف عطف وغاية خلَّتْ بضم الخاء المعجمة وضم التاء فعل وفاعل البطاح مفعول أول بها خبر مقدم سبب بالسين المهملة وبالثناة التحتية والباء الموحدة مبتدأ مؤخر والجملة فى موضع المفعول الثانى خلَّتْ والسيب بكسر السين مجرى الماء كما قال ابن السكيت وبالفتح العطاء والمعنى هنا على الأول من اليم بفتح الياء التحتية وتشديد اليم نعت سيب أو سيل بفتح السين المهملة

أحييت بمعنى أخصبت أو استعارة بالكناية وتخيل لأنه شبه السنة الشهء بإنسان ميت تشبها مضمر فى النفس وحذف لفظ التشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الإحياء ولا يخفى أن السنة مفعول مقدم ودعوته فاعل مؤخر والشهء صفة للسنة وهى قليلة المطر سميت بذلك لأنها تشبه الفرس الشهء وهى التى يغلب بياضها على سوادها وإنما أشبهتها لقلية بياض الأرض فيها لعدم النبات على سوادها بالنبات وقوله دعوته أى بالسقيا وقوله حتى حكمت غرة فى الأعصر الدهم غاية لقوله وأحييت الخ وغرة بالنصب على أنه مفعول لحكمت وغرة كل شئ أحسنه والأعصر جمع عصر وهو الزمن والدهم بضم الدال والهاء أدهم وهو الأسود لسواد الأرض فيه بالزرع شديد الخضرة حتى يرى أنه أسود فتلک السنة كثر خصبها جدا حتى كأنها غرة فى تلك الأعصر وأشار بذلك إلى مارواه الشيخان عن أنس أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله فيشتا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم أغثنا ثلثا وما ترى فى السماء من سحاب ولا قرعة بفتح القاف والراى أى قطعة سحاب فطلعت سحابة ثم أمطرت والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل فى الجمعة الأخرى ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله بمسكها عنا فرفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا الخ فأقلعت أى انكشفت وخرجنا نحشى فى الشمس وسئل أنس أهو الرجل الأول قال لا أدري (قوله بعارض الخ) أى أحييت السنة الشهء دعوته بعارض الخ فالجار والمجرور متعلق بأحييت ويصح تعلقه بحكمت والمراد بالعارض السحاب الذى أرسله الله تعالى بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وقوله جاد أى جاد هذا العارض وهو السحاب بالمطر الكثير وفى قوله جاد نوع احتباس لأن العارض قد يكون مهلكا وقد يكون الاحتباس فى قوله وأحييت وقوله أوخلت أى أوظننت وأوبعنى الواو وإنما عبر بأو ليستقيم الوزن وبعضهم جعلها بمعنى الى فالمعنى الى أن ظننت كما فى قول الشاعر :
لأستسهن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال الا لصابر

فأوفيه بمعنى الى والمعنى الى أن أدرك المنى وقوله البطاح بالنصب على أنه مفعول أول لقوله خلَّتْ وجملة قوله بها سيب من اليم أو سيل من العزم سدت سد المفعول الثانى والبطاح جمع أبطح وهو الوادى المتسع الذى فيه دقاق الحصى والضمير فى قوله بها راجع

للبطاح

وسكون المنة التحتية معطوف على سيب من العزم بفتح العين وكسر الراء المهملتين

فى موضع النعت لسيل . [ومعنى البيتين] وكم أحييت دعوته السنة المجيدة حتى شابهت تلك السنة بياضا فى الأزمنة السود لشدة خضرة الزرع فيها حتى يرى أنه أسود بسبب سحاب عارض جاد بالمطر الكثير الى أن ظننت الوادى المتسع ماء جاريا من البحر أو سائلا من الوادى وفى البيت الأول المجاز فى استعمال الحياة للنبات وفى البيت الثانى الجنس الناقص فى قوله سيب وسيل والتضمين وهو متعلق بعارض بحكمت فى البيت قبله .

دَعْنِي وَوَصْنِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُورُ نَارِ الْقَرَى تَبْلًا عَلَى عِلْمٍ
فَالْدُرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ ٥٧

دعني أتركني والوصف التعت والآيات
العلامات والمعجزات وظهرت تبينت
والقرى بالكسر كرام الضيف والعلم
الجل العالي على عادة العرب أنهم
يوقدون النار على رؤوس الجبال ليهتدي
بها الضيف والدر الأولو المنتظم المجتمع
في سلك ونظم الكلام ترتيبه .

[الاعراب] دعني فعل أمر وفاعل
ومفعول وصفي مفعول معه وهو مصدر
مضاف الى فاعله وهو ياء التكميم
آيات بمد الهمزة وكسر التاء مفعول به
لوصفي له نعت آيات ظهرت فعل ماض
وتاء تأنيث ظهور مفعول مطلق مبين
لنوع ناز مضاف اليها وهي أيضا مضافة
القرى بكسر القاف وفتح الراء مضاف
إليه ليلا مفعول فيه على علم بفتحين
متعلق بظهور فالدر بضم الدال والراء
المهلئين مبتدأ يزداد فعل مضارع
وفاعله مستتر فيه حسنا بضم الحاء المهملة
مفعول به يزداد لأنه مطاوع زاد التعدى
لاثنين فيعتمد هو لواحد والجملة خبر
البتدأ و رابطها الضمير المستتر في يزداد
وهو منتظم مبتدأ وخبر في موضع نصب
على الحال من فاعل يزداد مرتبطة
بالواو والضمير وليس فعل ماض ناقص
واسمه مستتر فيه يعود الى الدر ينقص
فعل مضارع وفاعله مستتر قدرا مفعول
به والجملة في موضع نصب خبر ليس غير
حال من فاعل ينقص منتظم بضم الميم
الأولى وكسر الظاء المعجمة مضاف اليه .

[ومعنى البيتين] أتركني مع ذكرى
علامات ظهرت للنبي صلى الله عليه وسلم
كظهور نار الضيافة في الليل على
جبل عال فيزداد ظهورها بذكرها ويزداد حسناتها بنظمها

للبطاح والسيب الجرى واليم البحر ومن الدخلة عليه ابتدائية والعزم بفتح العين
وكسر الراء في الأصل اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره وهو أيضا اسم لواد ومن
الداخلة عليه للابتداء وهذا مأخوذ من قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم أى سيل
الوادى المسوك بالسد الذى بنته بلقيس وهو بناء عظيم محكم على ما ذكره أهل التفسير
والتاريخ وإنما خص اليم بالسيب والعزم بالسيل لأن ماء اليم لكثرة مجرى فى الأرض
النبطحة الى أسفل وإلى فوق وماء العزم غالبا إنما يقع فى أعلى الأرض فلا يجرى
الاساالا وأوالثانية لتأخير فاعلى أنت بالخيار فاما أن تشبه الماء الكائن على سطح
الأرض بسبب البحر وإنما أن تشبهه بسيل السد أولالتشكيك فالناظر يتشكك
فى الماء الكثير الكائن على سطح الأرض هل هو سبب من البحر أو سيل
من السد (قوله دعني الخ) لما ذكر الناظم جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم قدر
أن العدو المعاند والكافر الجاحد قال له كف عن ذكر هذه الآيات التى لانسلها
فأجابه بقوله دعني الخ كأنه يقول له كيف تنكرها ولانسلها وقد ظهرت ظهورا
تاما وقوله ووصني آيات أى ذكرى لها بالنظم أخذ بما يأتى وهو معطوف على الياء
من دعني أو مفعول معه أى أتركني وذكرى آيات أومع ذكرى آيات والمراد بالآيات
المعجزات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وهو مفعول لوصني وقوله له متعلق
بمحذوف صفة لآيات أى آيات كاثنة له صلى الله عليه وسلم أو متعلق بقوله ظهرت
الواقع صفة للآيات ووصفها بذلك كاشف لأن الظهور لازم لكل آية من آياته صلى الله
عليه وسلم ويصح أن يكون احترازا عما ثبت بالأحاد فكأنه يقول للسكر أنا لأصف
الامالا يمكن إنكاره لثبوت بالتواتر وأما ما ثبت بالأحاد فلا لأنه يمكن إنكاره وقوله
ظهرت ظهور نار القرى أى ظهرت ظهورا مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذى
هو الضيافة وقوله ليلا ظرف لظهور نار القرى وقوله على علم أى على جبل وقد جرت
عادة الكرام من العرب بايقاد تلك النار على الجبل ليهتدى الضيفان الى منازلهم
والتنكير فى الليل والعلم للنوعية أى ليلا حالكا أى شديد السواد على علم شامخ أى
مرتفع أوللعتظيم (قوله فالدر الخ) لما كان قد يقال إذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم
ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم فما فائدة وصفك لها بهذا النظم أجاب بأنها
وإن كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة ظهورا تاما يزداد ظهورها بذكرها ويزداد
حسنها بنظمها ولا ينقص قدرها مشورة لأنه ذاتى لها فلا يفارقها سواء كانت ثرا
أو نظما نعم ما يحصل من زيادة الالتذاذ بملعها منظومة ينقص مع الاخبار بها مشورة
لأن ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف واستدل على ذلك بأمر محسوس يدرك
فيه ما ذكره بقوله فالدر الخ أى فالدر المعلوم حسنه وهو الأولو يزداد حسنا والحال أنه
منتظم فى السلك لثبته وتنزله فى النازل التناسبة وليس ينقص قدرا حال كونه غير
منتظم لأن حسنه ذاتى له فلا يفارقه سواء كان منظوما أو غير منظوم نعم الحسن

(٨ - باجورى - برده)

ولا ينقص قدرها وإنما ينظم كالمرقاة إذا نظم يزداد حسنا وإذا لم ينظم لا ينقص قدره .

تطاول الى كذا طلب الوصول اليه ومد عنقه ينظر الى الشيء البعيد والآمال جمع أمل وهو الرجاء والمدح الثناء الحسن والأخلاق جمع خلق ضمتين وهو ما جبل عليه الشخص والشيم جمع شيمة وهي الثريزة والطبيعة . [الاعراب] فما استفهام استبعادي في موضع رفع بالابتداء تطاول بضم الواو واللام خبره آمال بعد الهمة مضاف اليه من إضافة المصدر الى فاعله المدح بالجبر مضاف اليه آمال وفي نسخة آمالي بالإضافة الى ياء التكلم ونصب المدح إما بآمال وإما بنزع الحافض وكل منهما غير مقبس أما الأول فلان المصدر لا يعمل مكسرا وأما الثاني فلان النصب بنزع الحافض موقوف على السماع مع غير أن وأن وكى الى ما متعلق بتطاول وما موصول اسمي فيه صلة والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم من كرم بيان لما متعلق بما تعلق به المجرور قبله الأخلاق بفتح الهمة مضاف اليه والشيم بكسر الشين العجمة وفتح الياء التحية معطوف على الأخلاق عطف مؤكدا على مؤكدا .

[ومعنى البيت] إذا كانت آياتي صلى الله عليه وسلم لا يدرك لها غاية فكيف تصل آمال المادحين الى ما فيه صلى الله عليه وسلم من استقصاء مكارم الأخلاق والشيم التي جبل عليها : آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةُ صِفَةِ الْمَوْصُوفِ بِالْأَدَمِ آيات جمع آية من القرآن محدثة أي إنزالها أخذاً من قوله تعالى وما يأتينهم

الحاصل عند نظمه لما يحصل له من الترتيب والتناسب ينقص عند عدم نظمه لما علت من أن ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف وكل من قوله حسنا وقوله قدرا تميز محمول عن الفاعل والتقدير في الأول يزداد حسنه وفي الثاني وليس ينقص قدره وقد علم مما تقرر أن الواو في قوله وهو منتظم واوالحال وأن قوله غير منتظم حال من فاعل ينقص وفائدة قوله وليس ينقص قدرا غير منتظم الاحتباس الراجع لما يتوهم من أن ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقص القدر عند عدم النظم (قوله فما تطاول الخ) لما كان قوله دعنى ووصفى الخ قد يوهم أن آماله تطاولت بالمدح الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من الصفات دفع ذلك بقوله فما تطاول الخ والفاء عاطفة ويحتمل أن ما نافية وتطاول فعل ماض وآمالى فاعل والمدح منصوب بنزع الحافض والمغنى على هذا فلم تتطاول آمالي بالمدح الصادر منى الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق والشيم لعلى باليأس من ذلك والعجز عما هنالك ويحتمل أن ما استفهامية فنكون للاستفهام الإنكاري وهي مبتدأ وتطاول مصدر مرفوع على أنه خبر ما الاستفهامية فإنها مبتدأ كما علت وآمالى مضاف إليه والمدح منصوب بنزع الحافض مثل مامر على الوجه الأول والمغنى على هذا فما فائدة تطاول آمالي بالمدح الى تمام ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق والشيم مع أنها لا تنهاى وماذا كرتاء من أن المدح منصوب بنزع الحافض على النسخ التي فيها آمالي بالإضافة لياء التكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين وفي بعض النسخ آمال بلا ياء وعليه شرح القسطلاني وجعل المدح مجرورا لأنه مضاف اليه لكن على تقدير مضاف أى آمال صاحب المدح والتطاول في الأصل مد العنق والآمال جمع أمل وهو الرجاء وقد شبه الآمال بذى عنق يتطاول أى يمد عنقه الى ما يريد ادراكه تشبيها مضمر في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو التطاول ففي كلامه استعارة بالكناية وتخيل والمدح هو الثناء الحسن وقوله الى ما فيه أى الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بتطاول وقوله من كرم الأخلاق والشيم بيان لما فيه والإضافة في ذلك من إضافة الصفة للموصوف أى من الأخلاق والشيم الكريمة والأخلاق جمع خلق بضمين وهو الطبيعة والشيم بكسر الشين المشددة وفتح الياء جمع شيمة وهي الخلق بضمين فعطف الشيم على الأخلاق من قبيل عطف المرادف وهو في مقام المدح سائغ وأيضا قد يكون كرم الأخلاق عن استعمال وتكلف فرفع ذلك بقوله والشيم فهو احتباس فكأنه قال كرم أخلاقه صلى الله عليه وسلم من كرم طبعه لا بالاستعمال والتكلف لذلك من غير أن يكون طبيعة [وهذا البيت الى آخر قد تنكر العين خاصيته] لمن كان لا يحسن العبادة ومن كان أسكن لا يستقيم له حجة فليكتب هذه الآيات في صحيفة غفار بماء ورد وزعفران ويحجها ويشرها عند إرادة النوم وقيامه من النوم فإنه يصير فصيح اللسان وتقوى حجه ويزقه الله القوة على العبادة بإذن الله تعالى (قوله آيات حق الخ) أى من معجزاته صلى الله عليه وسلم آيات حق الخ وآيات مبتدأ خبره مقدر قبله وهو الجار

والمجرور

من ذكر من الرحمن محدث أى أزاله قديمة أى قائمة بذاته تعالى والقدم .

ضد الحدوث والموصوف بالقدم هو الله تعالى لأنه الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية [الاعراب] آيات حق مبتدأ ومضاف اليه

من الرحمن خبر أول محدثة قديمة خبر ثان وثالث وتميزهما محذوف أي محدثة انزالا وقديمة معنى صفة الموصوف خبر رابع ومضاف اليه ومن منع تعداد الخبر قدر لكل خبر ماعدا الأول مبتدأ محذوف (٥٩) بالقدم بكسر القاف وفتح الدال متعلق بالموصوف .

[ومعنى البيت] آيات حق كائنة من الرحمن محدثة النزول قديمة المعاني لأنها صفة الموصوف القديم والقديم لا يوصف بمحدث وفيه رد العجز على الصدر في قوله قديمة صفة الموصوف بالقدم .

لَمْ تَقْتَرِنْ بَرَمَانَ وَهَى تَحْبِيرُنَا
عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ
الافتراق المصاحبة والمعاد عود الخلق
بعد إعدامه وعاد قبيلة سميت باسم أبيها
وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح
عاش ألف سنة ومائتي سنة ورزق من
صليه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف
امرأة ومات كافرا . وارم مدينة بناها
شداد بن عاد وسبب بنائها أنه سمع
بوصف الجنة وما فيها فقال لا بد لي أن
أبني مثلها فبناها في ثلثمائة سنة وجعل
قصورها من الذهب والفضة وأساطينها
من الزبرجد والياقوت وجعل فيها
أنهارا جارية وأصنافا من الشجر وعند
كاملها رحل إليها بأهل مملكته فلما
كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله
تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا
قبل وصولهم إليها .

[الاعراب] لم تقترن بالناء الفوقية
فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود
إلى آيات حق على تقدير حال محدثة
برمان متعلق بتقترن والتقدير لم تقترن
الآيات حال كونها قديمة برمان وهي
تخبرنا مبتدأ وخبر عن المعاد وعن عاد

والجور وإضافة آيات لحق من إضافة الموصوف للصفة أي آيات موصوفة بأنها حق
وجميع ماسأني إلى قوله في البيت الثاني عشر وكالميزان معدلة صفات للآيات وما يقع
بين الصفات من متعلقاتها ومقصود المصنف بالذات مدح النبي صلى الله عليه وسلم
لكن لما ذكر أن من معجزاته صلى الله عليه وسلم الآيات الحق التي هي القرآن
استطرد بذكر صفاتها وقوله من الرحمن أي من عند الرحمن لامن عند محمد كما زعمه
كفار قريش وقوله محدثة أي أحدثها الله تعالى كما جاء في التنزيل قال تعالى وما يأتيهم
من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين وقال تعالى ما يأتيهم من ذكر من
ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وفي بعض النسخ محكة بدل محدثة وقد جاء بها
التنزيل أيضا قال تعالى كتاب أحكمت آياته وقوله قديمة استشكل بأنه يناقض قوله
محدث على النسخة الأولى لأن الشيء لا يكون محدثا وقديما معا والا أدى إلى اجتماع
التقيضين وهو محال . وأجيب بأنها محدثة باعتبار الألفاظ قديمة . باعتبار المعاني فهي
محدث قديمة باعتبارين لا باعتبار واحد حتى يؤدي إلى اجتماع التقيضين وهذا الجواب
مبنى على أن الألفاظ التي تقرأها تدل على الكلام القديم الذي هو صفة قائمة بذاته
تعالى كما قال السنوسي وغيره من المتقدمين لكن ناقش في ذلك العلامة ابن قاسم
واختار أنها تدل على معنى مساو للمعنى الذي تدل عليه الصفة القديمة مثلا أقيموا الصلاة
يدل على طلب إقامة للصلاة وبحيث لو كشف عنا الحجاب لفهمنا من الكلام القديم
مثل هذا المعنى ويمكن أن يكون المراد أن هذه الألفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق
اللزوم العرفي لا العقلي لأنه يلزم عرفا من أن يكون له تعالى كلام لفظي بمعنى أنه
حلقة في اللوح المحفوظ أن يكون له كلام نفسي فإن كل من أسند له كلام لفظي لزم
عرفا أن يسند له كلام نفسي إذ هو يدل عليه كما قال الاخطل :

إن الكلام لفي القواد وإعما جعل اللسان على القواد دليلا

وبهذا كله ظهر قوله صفة الموصوف بالقدم فليس المراد أن الألفاظ التي تقرأها صفة
للموصوف بالقدم الذي هو الله تعالى لأنها حادثة بل المراد أن معناها صفة له تعالى وهو
مبنى على مامر والافعال التي تقرأها منه ما هو قديم كدلول قوله تعالى الله
لا إله الا هو الحي القيوم ومنه ما هو حادث كدلول قوله تعالى إن فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجملة ففي هذه المسئلة نزاع طويل .
والحاصل أن الألفاظ التي تقرأها لها دلالتان دلالة بالوضع وهي التي اعتبرها العلامة
ابن قاسم فإن الدلول بهذه الدلالة مساو للدلول الذي تدل عليه الصفة القديمة ودلالة
بالالتزام العرفي لا العقلي وهي التي اعتبرها السنوسي وغيره من المتقدمين فإن الدلول
بهذه الدلالة هو الصفة القديمة فكل من السلكين صحيح كما في حواشي الكبرى
(قوله لم تقترن الخ) أي لأنها قديمة من حيث معناها على ما فيه فمدلولاتها قديمة على

وعن إرم بكسر الهمزة وفتح الراء متعلقات بتخبرنا [ومعنى البيت] أن هذه الآيات القديمة لم تقترن برمان وهي مشتبهة
على الاخبار عن المعاد قل الله تعالى - وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده - وعن عاد قال تعالى - وإلى عاد أخاهم هودا - الآيات
وعن إرم قال الله تعالى - ألم تركب فعل ربك بعد إرم - الآية ، وفيه الجناس الناقص بين قوله للمعاد وعاد .

ما علمت والزمان حادث والقديم لا يقترب بالحادث لأنه لو اقترن به لكان حادثا وقوله
وهي أي هذه الآيات وقوله نخبرنا عن المعاد أي عن عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد
يعني عود الخلق الى الله تعالى في الدار الآخرة بعد انعدامهم في دار الدنيا وذلك
كقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده
وقوله وعن عاد أي ونخبرنا عن قبيلة عاد التي بعث اليها هود عليه الصلاة والسلام
وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
الآية. وسميت هذه القبيلة باسم أيها وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وكان
عمره ألف سنة ومائتي سنة ورأى من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة
وكان كافرا يعبد القمر ثم إنه يقال للآولين منهم عاد الأولى ولمن بعدهم عاد الأخرى
ويقال لهم أيضا إرم تسمية لهم باسم جدتهم إرم وقيل إن إرم اسم أرضهم وبلدتهم
التي كانوا فيها وقيل إنها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة وأخرى من ذهب
في صحن عدن لما سمع بذكر الجنة وما فيها وجعل فيها قصورا من الذهب والفضة
وأساطينها أي أعمدها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها أنهارا مطردة وأصنافا من
الشجر وأتم بناءها في ثلثمائة سنة وعند كمالها ارتحل اليها بأهل مملكته فلما كان
منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكهم وقد أظنب
المؤرخون في صفاتها وهذا خلاصة خبرها وقوله وعن إرم بكسر الهمزة رفث الراء
المهملة أي ونخبرنا عن إرم وذلك كقوله تعالى ألم تركيف فعل ربك بعد إرم ذات
المعاد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد عرفت إن إرم تسمى عادا الأخرى وإرم في الآية
عطف بيان على عاد أي إدانا بأنهم غير عاد الأولى لكن قضية سياق الآية أن المراد بإرم
البلد وهو أحد الأقوال السابقة وإنما كرر المصنف عن في الثلاثة لأنها أنواع مختلفة
فلا يحسن جمعها في واحد ولأن لكل أخبارا تخصه وقيل كررها للوزن وحسنه
أن مقام المدح يحسن فيه الاطناب (قوله دامت لدينا الخ) أي استمرت عندنا
فتسبب عن ذلك أنها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وسلم
وقوله إذ جاءت ولم تدم تعليل لقوله ففاقت كل معجزة من النبيين أي إذ جاءت عنهم
ولم تستمر بل لم تظهر على أيديهم الامرة واحدة وذلك حين التحدى ثم لم تظهر بعد
ذلك وإليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من
الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا تلي وهو باق على الدوام
وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فشرعته باقية الى يوم الدين فناسب
أن تكون معجزته كذلك والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى وهو
دعوى النبوة أو الرسالة وهي مأخوذة من الاعجاز لأنها تعجز الخصوم عن أن يأتوا
بمثلها وقد نظم بعضهم أقسام الخارق للعادة فقال :

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة فمعجزة إن من نبي لنا صدر
وإن بان منه قبل وصف نبوة فالأرهاص معه تتبع القوم في الأثر
وإن جاء يوما من ولي فانه الشكرامة في التحقيق عند ذوي النظر

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمْ
دامت أي بقيت ولدينا عندنا وفاقت
أي غلبت والمعجزة أمر خارق للعادة
مقرون بالتحدى وجاءت أي أتت
ولم تدم أي لم تبق .

[الاعراب] دامت فعل ماض تام
وفاعله مستتر فيه يعود على آيات لدينا
متعلق بدامت ففاقت معطوفة على دامت
كل معجزة مفعول فافت ومضاف اليه
من النبيين نعت معجزة إذ بسكون
الدال المعجمة علة لفاقت وهل هي حرف
أو ظرف قولان جاءت فعل ماض وفاعله
مستتر فيه يعود إلى كل معجزة والتأنيث
باعتبار المضاف اليه ولم تدم جملة فعلية
حال من فاعل جاءت المستتر فيه ،

[ومعنى البيت] أن هذه الآيات من
معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي باقية
بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فهذه
المعجزة فاقت جميع معجزات الأنبياء
لأن معجزاتهم التي جاءوا بها لم تبق بعد
وفاتهم وهذه باقية الى يوم القيامة

قول العرب في الصحيفة بعد تبين
وتبين بالناء القوية فيهما هو المشهور
وصوابه بالتحية إذ لا يجمع بين الناء
والنون في القية لئلا يجمع علامتا تأنيث
انظر شرح المراح اه

محكمات فما تبين من شبه لدى شقاق وما تبين من حكم

محكمات يحتمل أن يكون من الحكم أى جلت حاكمة باعتبار أن الأحكام تؤخذ منها أو من الحكمة أى جلت حكيمة لاشباهها على الحكم أو من الإحكام أى جلت محكمة بحيث لا تحتمل النسخ (٦١) والتبديل والتناقض أو من الحكمة بفتحين

أى جلت محتتمات محفوظات من التحريف فما تبين أى لما تركن من شبه جمع شبهة وهى التلبس وذى بمعنى صاحب والشقاق الخلاف وتبين تطلبين والحكم بفتحين الحاكم .

[الاعراب] محكمات نعت آيات فما حرف نى تبين بضم التاء الفوقية وكسر القاف فسل وفاعل والضمير للآيات من زائدة لاتعلق بشيء شبه بضم العجمة وفتح الموحدة مفعول تبين لدى بكسر اللام والذال العجمة جار ومجرور متعلق بشبه شقاق مضاف اليه وما نافية تبين بفتح التاء الفوقية وسكون الموحدة وكسر القاف العجمة معطوف على تبين من زائدة لاتعلق بشيء حكم بفتحين مفعول تبين.

[ومعنى البيت] أن هذه الآيات محكمة حاكمة ناصرة أهل الحق منزلة شبه أهل الضلال فما يبق بها شبهة لصاحب خلاف وماتطابح كما يحكم على مخالف الحق لظهور براهينها عليه، وفي البيت جناس الاشتقاق ورد الجز على الصدر في قوله محكمات وحكم . وفي قوله تبين وتبين الجناس المحرف .

ما حوربت قط إلا عاد من حرب

أعدى الأعادى إليها ملقى السلم

ما حوربت أى عورضت قط ظرف

لاسترقاق الماضى وعاد أى رجع والحرب

بفتح الراء السلب من قولهم حرب الرجل حربا سلبته والمراد هنا الشدة أعدى الأعادى أى أشد حرصا على المعادة والأعدى

جمع أعداء وأعداء جمع عدو فهو جمع الجمع والسلب بفتحين الاستسلام والاقبياد . [الاعراب] مانافية حوربت بضم الحاء

المهمل وكسر الراء فعل ماض مبنى للفعول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه يعود الى آيات قط بفتح القاف وضم الطاء المشددة

متعلق بحوربت لإحرف بإيجاب عاد بالعين والبال المهملتين فعل ماض من حرب بفتح الحاء والراء المهملتين متعلق بعاد ومن

وان كان من بعض العوام صدوره فكنوه حقا بالمعونة واشتهر ومن فاسق إن كان وفق مراده يسمى بالاستدراج فيما قد استقر والافيدعى بالاهانة عندهم وقد نعت الأقسام عند الذى اختبر وزاد بعضهم السحر وقيل إنه غير خارق لأنه معتاد عند تعاطى أسبابه (قوله محكمات الخ) أى والآيات المذكورة محكمات الخ ومعنى محكمات محتتمات النظم فى البلاغة والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثله فدل ذلك على أنها من عند الله قال تعالى وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وكلهم قد عجزوا عن معارضته قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه أو أن معنى محكمات ذوات حكمة ويصح فيها فتح الكاف لأن الله أحكمها أى أتى بها ذات حكمة وكسرهما لأنها دالة على الحكمة قال تعالى يس والقرآن الحكيم قال الزمخشري أى ذى الحكمة لأنه ناطق بها وقد كان كثير من الكفار يسلم بمجرد سماع ما يتضمن المعاني الكثيرة من بعض آيات القرآن فى ألفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه لأن مثل ذلك لا يمكن أن يكون من كلام البشر وقوله فما تبين من شبه لدى شقاق بضم التاء من تبين لأنه من أبى أى لما تركت تلك الآيات المحكمات شبهها لصاحب شقاق وهو الكافر لأنه مشاق الدين إذ هو فى شق والإسلام فى شق بل تزيلها فن زائدة فى المفعول والشبه جمع شبهة وهى ما يظن دليلا وليست بدليل وإن شئت قلت كلام مزخرف الظاهر فاسد الباطن واشقاق المخالفة للحق . والحاصل أن الكافر إذا ادعى أمرا مخالفا للحق وأقام عليه شبهة كان القرآن هادما لتلك الشبه ومنزلة لها لما تضمنه من الحكم والفوائد وإنما قال من شبه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة المفرد وإن كان المقرر أن عموم المفرد أشمل فإنه إذا اتقى الواحد اتقى الجنس كله جمعه ومفرده بخلاف نى الجمع فإنه لا يستلزم نى الواحد تنبيها على أن طرق الباطل شق فكأنه يقول إن هذه الآيات لا تبين شيئا من أنواع الشبه الكثيرة المختلفة الأنواع فما من أحد تعرض له شبهة الا ويحمد شفاء منها فى القرآن فإنه الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الأدوية وقوله وما تبين من حكم بفتح التاء من تبين أى ولا تطلبين حكما بفتحين يعنى حاكما يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه فن زائدة فى المفعول كالتي قبلها ففى زائدة فى الموضعين كما أن مانافية فى الموضعين (قوله ما حوربت الخ) أى ما حوربت الآتى بها وهو النبي صلى الله عليه وسلم فى الزمن الماضى الا كان النبي صلى الله عليه وسلم

بفتح الراء السلب من قولهم حرب الرجل حربا سلبته والمراد هنا الشدة أعدى الأعادى أى أشد حرصا على المعادة والأعدى

جمع أعداء وأعداء جمع عدو فهو جمع الجمع والسلب بفتحين الاستسلام والاقبياد . [الاعراب] مانافية حوربت بضم الحاء

المهمل وكسر الراء فعل ماض مبنى للفعول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه يعود الى آيات قط بفتح القاف وضم الطاء المشددة

متعلق بحوربت لإحرف بإيجاب عاد بالعين والبال المهملتين فعل ماض من حرب بفتح الحاء والراء المهملتين متعلق بعاد ومن

مضاف إليه إليها متعلق بعاد والضمير للآيات ملقى بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف حال من فاعل عاد السلم بفتح السين المهملة واللام مضاف إليه [ومعنى البيت] أن هذه الآيات معارضها معارض إلا رجوع من الشدة مستسلما منقادا لمعجزه عن معارضتها وفي البيت جناس الاشتقاق في موضعين في حوربت وحرب وفي أعدى والأعدى .

رَدَّتْ بِالْأَعْتَمِ دَعْوَى مُعَارِضَهَا

رَدَّتْ أَي صَرَفَتْ وَابْتَلَاغَتْ فِي الْكَلَامِ مِطَابَقَتَهُ لِمَقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ وَالْمُعَارِضَةُ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِ وَالْعَبُورُ صِغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ الْغِيَرَةِ وَالْجَائِي مِنَ الْجَنَابَةِ يُقَالُ جَنَى عَلَيْهِ جُنَايَةٌ أَيْ فَعَلَ بِهِ مَكْرُوهًا وَالْحَرَمُ أَهْلُ الرَّجُلِ وَاحِدَهَا حَرَمَةٌ وَالْحَرَمَةُ مَا لَا يَحِلُّ اتِّهَاكُهُ .

[الاعراب] ردت بلاغتها فعل وفاعل دعوى مفعول معارضها مضاف إليه رد مفعول مطلق تشبيهى أى ردا مثل رد العبور بفتح العين المعجمة وضم الياء التحية مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله يد مفعول رد الجائى بالجيم والنون مضاف إليه عن الحرم بضم الحاء وفتح الراء المهملة متعلق برد . [ومعنى البيت] أن بلاغة هذه الآيات ردت من يعارضها عن معارضته ردا شديدا كرد الفعل العبور يد الجائى عن حرمه .

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

هو الغالب ورجع أشد الأعادى عداوة إليها ملقى السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم إما بدخوله في الإسلام وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها فاستناد المحاربة إليها مجاز لأن المحارب الآتى بها لاهى ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة فيكون المعنى ما عورضت في الزمن الماضى بأن أراد أحد أن يأتى بمثلها بحسب ظنه الأعجز وعاد إليها أشد الأعادى عداوة مستسلما منقادا من أجل شدة بلاغتها فقد شبه المعارضة بالمحاربة بجامع عدم الاتقياد في كل واستعار المحاربة للمعارضة واشتق منها حوربت بمعنى عورضت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقط ظرف بمعنى الزمن الماضى وعاد من أخوات كان فترفع الاسم وتنصب الخبر فأعدى الأعادى اسمها وملقى السلم خبرها وبها متعلق بعاد وكذا قوله من حرب ومن فيه للتعليل فهى بمعنى من أجل وذ كر بعضهم أنها للابتداء وحقيقة الحرب بفتحتين سلب المال لكن المراد به هنا الشدة أى شدة بلاغتها مجازا من باب اطلاق اسم للزوم وإرادة اللزوم لأنه يلزم من سلب ثلث الشدة ويحتمل أن المراد به سلب الحجية التى هى كمال لأن الشخص يخاف على حجته أن تدحض وتضمحل فيفضح كما يخاف على ماله ومعنى أعدى الأعادى أشد الأعادى عداوة والأعدى جمع أعداء وهو جمع عدو فالأعدى جمع الجمع ومعنى السلم بفتحتين السلاح أو الاستسلام والاتقياد وفى التنزيل وألقوا اليكم السلم أى الاستسلام والاتقياد (قوله ردت بلاغتها الخ) أى أبطلت بلاغتها دعوى معارضها الإتيان بمثلها ابطالا مبالغا فيه فإذا ادعى المعارض الإتيان بمثلها فى ظنه أبطلت بلاغتها دعواه كما وقع لمسيلة الكذاب حيث عارض القرآن لما ادعى النبوة وأراد أن يأتى بقرآن يشبه القرآن فقال فى معارضة سورة النازعات والطاحات طحنا والعاجنات عجنا والحازبات خبرا فافتضح لبارك الله فيه . والبلاغة هى المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة التى هى الخلو من الحشو والتعقيد والغراب وقوله رد العبور أى ردا مثل رد الشخص العبور الذى هو شديد الغيرة على النساء والإضافة فى ذلك من إضافة المصدر لفاعله وقوله يد الجائى مفعول للمصدر الذى هو الرد وقوله عن الحرم متعلق بالمصدر المذكور والحرم بضم الحاء المهملة وفتح الراء جمع حرمة فكونه عبورا يقتضى أن رد ويدفع يد الجائى عنهم وإن لم يكن من محارمه بمقتضى طبعه فكيف رده يد الجائى عن حرمه هو كامراته وأخته وغيرهما فرده عنها أشد من رده عن غيرها وظاهر كلام المصنف أن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله بسبب ما شتمل عليه من البلاغة التى لم يصلوا إليها وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم وهو قول الجمهور والقول الثانى أنه من جنس مقدورهم لكن الله تعالى صرفهم عن الإتيان بمثله ولذلك يسمى بقول الصرفة وهو أدخل فى الإعجاز لأن عجزهم عما هو من جنس مقدورهم أدخل فى قيام الحججة عليهم من عجزهم عما هو ليس من جنس مقدورهم لكن يلزم عليه أن إعجاز القرآن ليس بنفسه بل بالصرفة فيكون غير معجز بنفسه فالحق القول الأول (قوله لها معان الخ) أى لتلك الآيات معان كثيرة لانهاية لها بل يد بعضها بعضا كما أشار إليه بقوله كموج البحر فى مدد

قَمَّا تَعَدُّ وَلَا تُحْصِي عَجَائِبَهَا

وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

المعاني جمع معنى وهو ما يراد من اللفظ والموج الاضطراب والمسد الزيادة والقيم جمع قيمة وهو ما يرغب به من ثمن المثل والعجائب جمع عجيبة وهو الشيء العديم النظير ولا تسام أى لا توصف والإكثار الكثير الذى لا غاية له والسام الملافة .

[الاعراب] لها خبر مقدم والضمير للآيات معان مبتدأ مؤخر كموج نعت لمعان البحر مضاف اليه فى مدد بفتحتين متعلق بالكاف لما فيه من معنى التشبيه وفوق معطوف على نعت معان جوهره مضاف اليه فى الحسن بضم الحاء وسكون السين المهملتين متعلق بمحل الظرف والقيم بكسر القاف وفتح الياء التحتية معطوف على الحسن لما حرف نفي تعد بضم التاء الفوقية وفتح العين المهملة فعلى مضارع مبنى للفعول ولا تحصى بالبناء للفعول معطوف على تعد عجائبها نائب فاعل تحصى ونائب فاعل تعد مستتر فيه يعود على المتنازع فيه وهو عجائبها ولا تسام بضم الفوقانية وفتح المهملة من غير همزة معطوف على تعد ونائب فاعله مستتر فيه يعود على آيات على الإكثار بكسر الهمزة بالسام بفتح السين المهملة المشددة والهمزة المخففة متعلقان بتسام .

[ومعنى البيتين] أن هذه الآيات معانيها كثيرة كموج البحر مددا وفوق جوهره حسنا وقيمة ومسح كثرتها لا توصف بالملافة وعجائبها لا تعد ولا تحصى .

أى مثل موج البحر فى كونه بمد بعضه بعضا إذ ما من موج إلا وبجدها موجة وهكذا وأشار بذلك الى قول بعضهم أقل ما قيل فى العلوم التى فى القرآن من ظواهر المعانى المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم وما حكى عن بعضهم من أنه قال لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر وقول على كرم الله وجهه لوشئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة قال بعض العارفين ويظهر وجه ما قاله رضى الله عنه من خمسة كنوز الأول معنى الحمد لله رب العالمين فيحتاج فيه الى بيان معنى الحمد وما يتعلق به ومعنى لفظ الجلالة وما يليق به من التنزيه ومعنى الرب ومعنى العالم على جميع أنواعه وأعداده الثانى معنى الرحمن الرحيم فيحتاج فيه الى بيان معنى هذين الاسمين وما يليق بهما من الجلالة وحكمة اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين فيحتاج فى ضمن ذلك الى بيان جميع الأسماء الثالث معنى منك يوم الدين فيحتاج الى بيان هذا اليوم وما فيه من الواطن والأحوال الرابع معنى إياك نعبد وإياك نستعين فيحتاج فيه الى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها وصفاتها وأدائها على اختلاف أنواعها والعابد وصفته والاستعانة وكيفيتها الخمس معنى اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فيحتاج فيه الى بيان الهداية وأنواعها والصراط المستقيم وعقباته وصراط المذم عليهم والمفضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وقوله وفوق جوهره فى الحسن والقيم عطف على قوله كموج البحر فى مدد أى ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر فى حسنها البديع وفى قدرها وشرفها وفوق ملازم للنصب على الظرفية وإن كانت مجازية ونحوه فى التنزيل قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم والضمير فى جوهره للبحر والمراد بجوهره الدر المستخرج منه والحسن ضد القبح والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازا لأنها فى الأصل ما قطع به القومون وبذلك اندفع ما قد يقال إن معانيها قديمة على ما تقدم والقديم لا يوصف بأن له قيمة ووجه الاندفاع أن المراد بالقيمة القدر والشرف لا المعنى الأصل وفى هذا البيت الجمع ثم التفريق وهو أن يدخل شيئين فى معنى واحد ثم يفرق بينهما فقد أدخل هنا معانى القرآن والبحر فى العدد والكثرة ثم فرق بينهما بأن حسنهما وقدرهما يزيدان على حسن جوهره وقيمه (قوله فلا تعد ولا تحصى الخ) هذا البيت مفرع على البيت قبله فالشطر الأول مفرع على الشطر الأول والثانى على الثانى وقوله عجائبها أى معانيها العجيبة والعجائب جمع عجيبة وهو الشيء العديم النظير أو قليله وقوله ولا تسام بضم التاء وفتح السين المهملة بعدها ألف لينة وفى آخره ميم أى لا توصف وقوله على الإكثار أى مع الإكثار منها الذى لا غاية له فعلى بمعنى مع وقوله بالسام بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة أى المال والحار والمجرور متعلق بتسام . وحاصل المعنى أنه إذا كان لها معان كموج البحر فى الكثرة اتى لا غاية لها وفوق جوهره فى الحسن والقدر والشرف ترتب على ذلك أنها لا تعد ولا تحصى معانيها العجيبة لعدم تنهاها ولا توصف بالمال مع الإكثار منها لحسنها فقيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالمال مع الإكثار

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقَلَّتْ لَهُ لَقَدْ ظَفَرَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاَعْتَصِمَ
 ٦٤ إِنْ تَقَلَّهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى أَطْفَأَتْ حَرَّ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشِّمِّ

قوت أى بردت بالسرور وزاد نورها والظفر الفوز وبحل أى بسبب يوصلك الى دار كرامته فاعتصم أى استمسك به والتلاوة القراءة والخيفة الخوف ولظى جهنم وهو اسم من أسماء النار ووردها موردها والشيم البارد .

[الإعراب] قوت بفتح القاف وتشديد الراء المهملة فعل ماض وتاء تأنيث ساكنة بها متعلق بقسرت والضمير آيات عين فاعل قوت قاريها مضاف اليه ققلت بضم التاء فعل وفاعل له متعلق بقلت والضمير للقاريء تقد حرف تحقيق ظفرت بفتح التاء فعل وفاعل والجملة جواب قسم محذوف بحل بالحاء المهملة والباء اللوحدة متعلق بظفرت الله مضاف اليه فاعتصم فعل أمر وفاعل إن حرف شرط تتلها فعل الشرط وهو مجزوم بإن وعلامة جزمه حذف الواو خيفة بكسر الحاء المعجمة مفعول لأجله من حر بالحاء المهملة متعلق بخيفة نار مضاف إليها ومضافة لظى بالمعجمة مضاف إليها أطفأت بفتح التاء فعل ماض وفاعل جواب الشرط حر مفعول أطفأت لظى بالمعجمة مضاف إليها وهو من إقامة الظاهر مقام الضمر من وردها بكسر الواو وسكون الراء متعلق بأطفأت الشيم بفتح المعجمة وكسر الواو نعت وردها .

[ومعنى البيتين] أن هذه الآيات قوت عين تاليها بسببها ققلت له والله لقد قوت من الله تعالى بسبب يوصلك الى دار

منه فيمل مع التردد ويعادى إذا أعيد بخلاف آيات القرآن كما ورد في الحديث فقارها لا يعلمها وسامعها لا يسمعها بل الاكباب على تلاوتها يزيد لها حلاوة ويوجب لها حبة وطلاوة (قوله قوت بها الخ) أى سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين قاريها بأبدال الهمزة ياء ساكنة لحصول السرور لها فإن عين الحزين تكون مضطربة وعين السرور تكون ساكنة فقوت من القرار بمعنى السكون وقيل من القربض القاف وهو البرد والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين قاريها والضمير المضاف اليه عائد على الآيات التى هى الألفاظ إن فسر قاريها بتاليها فإن فسر بقاصدها من قرأت اليه أى قصدت اليه كان الضمير المذكور عائدا على المعنى وقوله ققلت له أى فلما قوت عينه بقراءة ألفاظها أوبة صد معانيها قلت لقارها بمعنى تاليها أو قاصدها وقوله لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم أى والله لقد فزت بما يوصلك الى الله فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدية الى عقاب الله تعالى فعوذ بالله من المخالفة فاللام موطة للقسم وقد للتحقيق والحبل استعارة تصرحية مرشحة لأنه شبه القرآن بالحبل يجمع أن كلا سبب يتوصل به الى الأشياء فالقرآن يتوصل به الى نوابه والحبل يتوصل به الى أمور محسوسة واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام ترشيح لأنه يناسب للمستعار منه وكذلك قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة تصرحية مرشحة لأنه شبه فيه الإيمان بالعروة واستعيرت العروة للإيمان والاستمسك ترشيح لأنه يناسب المستعار منه (قوله إن تتلها الخ) أى إن تقرأها الخ وقوله خيفة أى خوفا فيكون مفعولا لأجله أو خائفا فيكون حالا وقوله من حر نار لظى أى التى هى جهنم وقوله أطفأت الخ جواب الشرط وقوله نار لظى فيه إظهار فى مقام الإضمار لضرورة النظم وقوله من وردها بكسر الواو وسكون الراء أى من موردها فمن للتعليل والورد بمعنى المورد وهو المحل الذى يورد منه الماء وقوله الشيم بفتح الشين المعجمة المشددة وكسر الواو أى البارد وفى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الآيات بالماء تشبيها مضمر فى النفس يجمع الحياة بكل إذ الماء به حياة الأشباح والآيات بها حياة الأرواح أو يجمع إطفاء الحرارة بكل فالماء يطفى حرارة العطش والآيات تطفى حرارة نار جهنم أعادها الله منها بمنه وكرمه وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الورد والشيم ترشيح لأنه يناسب المشبه به . وحاصل المعنى إن تقرأها خوفا من حر نار لظى أو خائفا منه أطفأت عنك بتلاوتها نار لظى من أجل موردها البارد والشاهد لذلك ما فى مسلم اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيها لأصحابه (قوله كأنها الحوض الخ) أى كأن الآيات المذكورة ماء الحوض الخ ففيه مجاز بالحذف أو أنه عبر باسم المحل وأراد الحال

كرامته فاستمسك به وإنك إن قتلها خوفا من نار جهنم أطفأت أنت حرها من وردها البارد شبه الآيات بالماء لأنها سبب

حياة الأرواح كما أن الماء سبب حياة الأشباح فجعل موردها وهو النعم كافي في الإطفاء وفى البيت الجنس الشبيه المشتق في قوت وقاريها

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُ الْوُجُوهُ بِهِ مِنَ الْعَصَا وَقَدْ جَاءَهُ كَالْحَمَمِ

به فيكون فيه مجاز مرسل وجملة قوله تبيض الخ حال من الحوض على حذف المضاف السابق أو بمعنى الماء على ما علمت وقوله الوجوه أى ذو الوجوه فهو على تقدير مضاف وأنه عبر بالوجوه عن الدوات من باب التعبير باسم الجزء وإرادة الكل وقوله به أى بالحوض وقوله من العصاة أى حال كونهم بعض العصاة فمن التبعض ويحتمل أنها بيانية وقوله وقد جاءه الخ أى والحال أنهم قد جاءوه الخ فالواو للحال والضمير الفاعل راجع للعصاة والضمير للمفعول راجع للحوض وقوله كالحلم أى حال كونهم كالحلم بضم الحاء المهمة وفتح الهم الأولى أى مثل الفهم فالحلم جمع حممة بمعنى حمّة ووجه تشبيهها بالحوض للذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصي فيبيض وجهه بشفاعتها كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه مدحجهم من النار كالفهم في السواد الذي أصابهم من النار فيه فيعودون أيضا كالقراطين ثم يدخلون الجنة ومراده بالحوض نهر الحياة لأن تلك صفته لما في الخبر من اغتسال الجهنميين في نهر الحياة في خبر الصحيحين فيخرجون منها أى من النار فيلقون في ماء الحياة وفي رواية فيصب عليهم ماء الحياة وفي هذا البيت التلميح للخبر السابق (قوله وكالصراط الخ) أى وهذه الآيات كالصراط استقامة وإنما حذف ذلك أعنى استقامة لدلالة المعنى عليه والمراد بالصراط الدين الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الحق أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف أو واسع في حق ناس ضيق في حق آخرين على الخلاف في ذلك يسير الناس عليه إلى الجنة على قدر أعمالهم فإنه خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل بعض من أبعاض الثلاثة لا بالنسبة لجلته لأنه قد ورد أنه ألف سنة صعود وألف سنة استواء وألف سنة هبوط وقوله وكالميزان معدلة أى وكالميزان من جهة العدل فمعدلة بمعنى عدلا تميز فإن قيل ليس من لوازم الميزان العدل - أجيب بأن أُل في الميزان للعهد والمعهود هو الميزان الذي يكون في يوم القيامة ومن لوازمه العدل أو المعهود هو الميزان المستقيم ولو كان في الدنيا وليست للاستعراق فيشمل كل ميزان وقوله فالقسط من غيرها في الناس لم يقيم أى فالقسط بكسر القاف الذي هو العدل المأخوذ من غيرهما لم يقيم في الناس - فإن قيل العدل المأخوذ من غيرها قد يقوم في الناس كل مأخوذ من السنة أو الإجماع أو القياس - أجيب بأن ذلك مأخوذ منها أيضا أما المأخوذ من السنة فلقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وأما المأخوذ من الإجماع والقياس فلأن مستندهما الكتاب والسنة والمراد بالناس الخصوص واللازم أن لا يكون في أهل التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية عدل وهو باطل (قوله لا تعجب الخ) لما وصف الآيات بما ذكره استشعر شخصا قال له طي وجه التعجب إذا كانت الآيات بالمرتلة التي وصفت فكيف أنكرها كثير من الكفار فقال له لا تعجب الخ أى لا ينبغي العجب لأنه إذا ظهر السبب بطل العجب وهنا قد ظهر السبب وهو الحسد فإنه هو الذي دعاه إلى

الحوض المراد به الكوثر والعصاة جمع عاص ضد المطيع والهم جمع حممة وهي حمرة انطفأت ناراها وبقيت حمّة مسودة والقسط العدل والصراط جسر منصوب على متن جهنم والميزان ما يوزن به أعمال المكلفين والويزان جبريل والناس اسم جمع انسان والإقامة الدوام ، [الاعراب] كأنها حرف تشبيه وضمير الآيات اسمها الحوض بالحاء المهمة والضاد المهمة خبرها تبيض الوجوه فصل وفاعل حال من الحوض به متعلق بتبيض وهو رابط الحال بصاحبها من العصاة حال من الوجوه وقد حرف تحقيق جاءوه فعل وفاعل ومفعول حال من العصاة والرابط الواو والهاء للحوض كالحلم بضم الحاء المهمة وفتح الهم الأولى في موضع الحال من جاءوه فهي حال متداخلة وكالصراط وكالميزان معطوفان على خبر آيات حق أول البيت الحادى عشر من الآيات قبله معدلة تميز فالقسط بكسر القاف مبتدأ من غيرها في الناس متعلقان يقيم لم يقيم بضم الياء وحسب اتقاف خبر القسط ،

[ومعنى البيتين] كأن الآيات في تبيض وجوه القارئ لها كحوض الكوثر في تبيض وجوه العصاة به إذا جاءوه كالفهم الأسود فبهر بالوجوه عن الدوات وبينها بالعصاة وعن الماء بالحوض لأنه محله وإنما آيات حق مستقيمة عادلة كالصراط في الاستقامة وكالميزان في العدل الدائم فالعدل من غيرها من الكتب لم يدم في الناس بل نسخ

العجب الاستعظام والحسود الذي يتعنى زوال النعمة عن غيره سواء وصات إليه أم لا وراح ينكرها أى ذهب يحجدها والتجاهل أن يظهر الجهل من نفسه وليس عنده والحاذق الماهر والفهم الكثير الفهم والرمد داء يصيب العين والسقم للرض .

[الاعراب] لاحرف نهى تعجبين بسكون النون الخفيفة فعل مضارع وفاعله مستتر فيه وجوبا لحسود بكسر اللام وفتح الحاء وضم السين المهملتين متعلق بتعجبين راح نعت حسود ينكرها حال من فاعل راح المستتر فيه تجاهلا مفعول لأجله وهو بسكون الهاء مبتدأ عين خبره الحاذق بالدال المعجمة مضاف إليه الفهم بفتح الفاء وكسر الهاء نعت الحاذق وحمله الابتدأ والخبر حال من فاعل تنكر المستتر فيه قد حرف تحقيق تنكر العين فعل وفاعل ضوء مفعول الشمس مضاف إليه من رمد متعلق بتنكر على أنه علة له وينكر القم بالتشديد فصل وفاعل معطوف على تنكر العين ظم مفعول الماء مضاف إليه من سقم بفتحتين متعلق بتنكر الثانى على أنه علة له .

[ومعنى البيتين] لا تعجب أيها المؤمن بهذه الآيات من حسود الذي صلى الله عليه وسلم حمله حسده على إنكارها تجاهلا منه والحال أنه عالم وليس بجاهل وإنما هو نفس الحاذق الكثير الفهم ولكن بقلبه مرض حمله على إنكارها فإن العين الباصرة إذا رمدت تنكر

ضوء الشمس والقمر إذا حصل له سقم ينكر طعم الماء العذب .

يَا خَيْرَ مَنْ يَمُّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتَوْنِ الْأَيْنُقِ الرُّسْمِ

إنكارها تجاهلا وإظهارا للجهل مع علمه في الواقع بما اشتملت عليه من أنواع الإعجاز وقوله لحسود متعلق بتعجبين ومعنى الحسود ذو الحسد وقوله راح ينكرها أى ذهب ينكر كونها من عند الله وأصل راح مار بالعنى ثم استعمل في الذهاب والمراد أنه أنكر ما انضحت دلالة حتى صار كالأشياء المحسوسة بحاسة البصر في نصف النهار الذى هو أول وقت الرواح وقوله تجاهلا أى حال كونه متجاهلا أى مظهرا للجهل فإنكاره ليس لجهله حقيقة بل لحسده وإن كان قد أظهر الجهل وقوله وهو عين الحاذق الفهم أى والحال أنه عين الحاذق بالدال المعجمة أى الماهر الفهم بفتح الفاء وكسر الهاء أى الشديد الفهم وحينئذ فإنكارها عناد دعه إليه الحسد فلا عجب لإنكارها للحسد وأشار بقوله الفهم إلى أن حذقه ليس ناشئا عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع بل حذقه مع كونه فاهما بالأصالة ولا شك أنه يحصل بالتمرين مع كونه فاهما بحسب الأصالة مالا يحصل مع كونه بليدا بحسب الأصالة وبهذا التقرير ظهر أن الفهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم (قوله قد تنكر الخ) لما ادعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة أثبت ذلك بأمرين محسوسين الأول إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها والثانى إنكار القم طعم الماء من أجل السقم القائم به فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالنكر فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل وكلامه على حذف مضاف فيهما والتقدير قد ينكر ذو العين الخ وقد ينكر ذو القم الخ لأن المنكر في الحقيقة إنما هو صاحب كل منهما (قوله ياخير من يم الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به مخبرا عنه على وجه القية أقبل عليه بالخطاب فقال ياخير من يم الخ أى ياخير كريم قصد العافون وهم الطالبون للمعروف ساحته وهى حريم داره الواسع حال كونهم ساعين بمعنى مسرعين فى التوى ليحصلوا حاجتهم أقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق التى ترسم الأرض وتؤثر فيها لحصول الحاجة سريعا وقصده بذلك الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم والتوطئة لذكر صفاته والعافون جمع عاف وهو طالب المعروف والساحة حريم الدار الواسع وصعيا بمعنى ساعين والمتون جمع متن وهو الظاهر والأينق جمع ناقة وأصله أنوق قدمت الواو على النون فصار أنوق ثم قلبوها ياء فصار أينق وهذا جمع قلة وجمع الكثرة نياق والرسم ضم الراء للشدة وضم السين جمع رسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض من شدة الوطء عليها [ومن هنا إلى آخر قوله وجل مقدار الخ] خاصيتها لمن خاف أن يلومه السلطان على جناية وقعت منه فليكتبها فى جلد جميل ويجعله منشورا على صدره تحت الثياب ويدخل على السلطان وهو يقول الله أكبر ثلاثا فإنه لا يكلمه أبدا ومن وقع بينه وبين زوجته خصومة أو بين أحد من أحبابه فليكتبها فى جلد أسد ويجعلها فى كور عمامته ويدخل على حبيبه وهو صامت فإن حبيبه يسدؤه بالكلام ويكون محباله وإياك

وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَمِرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَمِرٍ

يَعْنِي أَيُّ قَصْدٍ وَالْعَافُونَ جَمْعُ عَافٍ وَهُوَ طَالِبُ الْمَعْرُوفِ وَالسَّاحَةِ النَّاحِيَةِ وَالْمَرَادُ هُنَا حَرِيمُ الْبَارِ وَالسَّعْيُ الْمَشْيُ السَّرِيعُ وَالْمَنْزِلُ الظَّهَرُ وَجَمْعُهُ مَتُونٌ وَالْأَيْنِقُ جَمْعُ نَاقَةٍ وَأَصْلُهُ أَنْتَوَقَ قَدِمْتَ الْوَاوُ عَلَى النُّونِ (٣٧) لَاسْتِقْطَالِ الضَّمَّةِ عَلَى الْوَاوِ ثُمَّ بَدَلَتْ الْوَاوُ

يَاءً لِأَنَّ بَيَاتَ الْيَاءِ أَكْثَرُ مِنْ بَيَاتِ الْوَاوِ وَالرَّسْمُ بَضْمَتَيْنِ جَمْعُ رَسُومٍ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَهِيَ الَّتِي تَوَثَّرُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْوُطْءِ وَالْآيَةُ الْعَلَامَةُ وَالْمُعْتَمِرُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ فِكْرَهُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالنِّعْمَةُ وَاحِدَةُ النِّعَمِ وَهِيَ رَغْدُ الْعَيْشِ وَالْعُظْمَى تَأْنِيثُ الْأَعْظَمِ وَالْمُعْتَمِرُ مِنَ اغْتَمَمَتِ الشَّيْءُ أَخَذْتَهُ غَنِيمَةً .

[الاعراب] يَحْرَفُ نَدَاءُ خَيْرٍ مِنْ بَفْتَحِ الْمِيمِ مَنَادَى مَنْصُوبٍ مضاف إلى من الموصولة بِعَمِّ الْعَافُونَ سَاحَتُهُ فَعَلٌ وَفَاعِلٌ وَمَنْعُولٌ وَالْجُمْلَةُ صَلَاةٌ مِنْ وَعَائِدِهَا الْهَاءُ مِنْ سَاحَتِهِ سَعْيًا حَالٌ مِنَ الْعَافُونَ وَفَوْقَ ظَرْفٍ مُتَعَلِّقٌ بِحَالٍ مَحذُوفَةٌ أَيْ وَرَكْبَانَا فَوْقَ مَتُونٍ بضم الميم والتاء الفوقية مضاف إليه وهو مضاف أيضا الْأَيْنِقُ بِتَقْسِيمِ الْيَاءِ عَلَى النُّونِ مضاف إليها الرِّسْمُ بضم الرَّاءِ وَالسَّيْنِ الْمَهْمَلَتَيْنِ نَمَتْ الْأَيْنِقُ وَمِنْ بَفْتَحِ الْمِيمِ اسْمُ مَوْصُولٍ مَعْطُوفٍ عَلَى مِنَ الْمَجْرُورَةِ بِإِضَافَةِ خَيْرِ إِلَيْهَا هُوَ الْآيَةُ مَبْدَأُ وَخَبَرُ صَلَاةٍ مِنَ الْكُبْرَى نَعَتْ الْآيَةَ لِمُعْتَمِرٍ بِفَتْحِ الْمَتَاءِ الْفُوقِيَةِ وَكُسْرُ الْمَوْحِدَةِ مُتَعَلِّقٌ بِالْآيَةِ وَمِنْ بَفْتَحِ الْمِيمِ مَوْصُولٌ اسْمُ مَعْطُوفٍ عَلَى مِثْلِهِ هُوَ النِّعْمَةُ مَبْدَأُ وَخَبَرُ صَلَاةٍ مِنَ الْعُظْمَى نَعَتْ النِّعْمَةَ لِمُعْتَمِرٍ بِكُسْرِ النُّونِ مُتَعَلِّقٌ النِّعْمَةُ .

[وَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ] يَاحْيِرُ مِنْ قَصْدِ

أَنْ تَفْعَلَ هَذَا لِلْحَرَامِ فَاتَّقِ اللَّهَ اه (قوله ومن هو الخ) أي ويامن هو الخ فهو معطوف على النداء في البيت قبله وأجاز بعضهم أن يكون معطوفا على من في قوله ياخير من الخ والأول هو الظاهر وعليه فمن هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وحده بخلافه على الثاني فإنها عليه واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة وقوله الآية الكبرى لمعتبر أي الآية الكبرى التي هي أكبر الآيات لتأمل ومتفكر لأنه صلى الله عليه وسلم بصحة السنن التي لا تنقص إلى قوم مغمورين في الجهالة والضلالة قد بلغ من جهلهم وضلالهم أن يعبدوا الأصنام فندبهم على الله وأرشدهم إلى ما لا ينال الا بتخصيص من المولى الوهاب فمن تأمل ذلك عرف أنه الآية الكبرى أي الدليل الأعظم على أن ما جاء به حق قال تعالى وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم وقوله ومن هو الخ أي ويامن هو الخ فهو معطوف على النداء في البيت قبله ويحتمل أنه معطوف على من على ما قاله بعضهم كما علمت في نظيره وقوله النعمة العظمى لمعتم أي النعمة العظمى التي هي أعظم النعم للمريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الأبدية لأنه صلى الله عليه وسلم أتخذ الخلائق من النار ومن الدخول في دار البوار بالبيان الواضح والبرهان الناصح فمن أراد أن يغتنم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة العظمى له ولسائر العالمين قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (قوله سرية الخ) كأنه قال ومن معجزاتك أنك سرية الخ ومعنى سرية سرية ليل لأن السري هو السري ليل وسري وأسرى بمعنى وقال السهيلي سري لازم وأسرى متعد لكن أكثر حذف مفعوله فظن أهل اللغة أنهما بمعنى فالمفعول في قوله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده محذوف والتقدير أسرى البراق بعبده فحذف المفعول استغناء عنه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم لأنه المقصود بالخبر أو حذف لقوة الدلالة عليه وقوله من حرم أي حرم مكة وقوله ليل أي في ليل فإن قيل إذا كان معنى سرية سرية ليل ومعنى أسرى بعبده جعله ساريا أي ساريا ليل فما فائدة قوله بعد ذلك ليل . أجيب بأن فائدة في النظم والآية التأكيد كما قاله الجوهري والإعلام بأنه في جزء من الليل كما قاله الزمخشري بقرينة تنكيره لأنه للتفليل ولولم يذكر لاحتمال أن يكون ذلك في الليل كله وليس كذلك قال الزمخشري ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أي بعضه وإنما خص الليل بذلك دون النهار لأنه وقت تفريغ البال وقطع العلائق وقيل لأن الله تعالى لما عا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فخير بآن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل

الطالبون حريم داره ساعين على الأقدام ورا كيين فوق الإبل السريعة كقولهم تعالى يا توك رجالا وعلى كل ضامر ياخير من هو العلامة الكبرى لمن يريد معرفة الحق من الباطل وياخير من هو النعمة العظمى لمن يغتنم النعم وهي الهداية إلى الإسلام وفي البيت الثاني من البديع الموزانة وهي أن تتساوى الفاصلتان من القريتين في الوزن دون التقفية .

سَرَبَتْ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ كَأَنَّ سَرَى الْبَدْرِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَبِت تَرَقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةَ

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تَدْرَكَ وَلَمْ تَرْمِ

سريت أى سرت ليلا والحرم المكان المحترم والبدر القمر عند كاله والداجي المظلم والرقى الصعود وقاب قوسين أى مقدارهما لم تدرك أى لم يصل أحد إليها ولم ترم أى لم تطلب لعزة مكانها .

[الاعراب] سريت بفتح التاء فعل وفاعل من حرم ليلا الى حرم متعلقان بسريت كما جار ومجرور وما مصدرية سرى البدر فعل وفاعل صلة ما فى داج بالجيم متعلق بسرى من الظلم بضم الظاء المعجمة وفتح اللام نعت داج وبِت بكسر الموحدة وفتح المثناة الفوقية المشددة فعل ماض ناقص والتاء اسمها ترقى بفتح المثناة الفوقية والقاف خبرها الى حرف جر أن بفتح الهنزة موصول حرفى نلت بكسر النون وفتح التاء فصل وفاعل صلة أن المصدرية وأن وصلتها فى تأويل مصدر مجرور بالى منزلة مفعول نلت من قاب نعت منزلة قوسين بفتح السين مضاف إليه لم تدرك بالتاء الفوقية والبناء للمفعول ونائب الفاعل مستتر يعود الى منزلة ولم ترم بضم التاء الفوقية وفتح الراء معطوف على لم تدرك .

[ومعنى البيتين] سريت بإرسول الله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ليلا كسرى البدر فى ليل مظلم ولازلت ترقى الى أن نلت منزلة قريبة من الحضرة القدسية مقدار قاب قوسين وهذه المنزلة لم يصل اليها أحد من الأنبياء غيرك ولم يطلبها لعزة مكانها والتشبيه فى سرعة السير والكمال والإشارة وقطع المنازل .

بالشمس قليل لا تفتخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيخرج بشمس الأرض فى الليل الى السماء وقيل لأنه سراج والسراج إنما يوقد فى الليل وقيل لأنه سمى بدرا فى قوله تعالى طه فإن الطاء بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه تعالى قال يا بدر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر والله در القائل حيث قال :

قلت ياسيدى ولم تؤثر الميصال على بهجة النهار النير
قال لا أستطيع تغيير رسمى هكذا الرسم فى طلوع البدر
إنما زرت فى الظلام لكىما يشرق الليل من أشعة نورى

وقوله الى حرم أى حرم بيت المقدس وقوله كما سرى البدر أى مثل سير البدر الذى هو القمر ليلة كاله وهى ليلة أربعة عشر سمى بذلك لأنه يسير الشمس فى الطلوع ووجه التشبيه أنه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدور وأتم وقد قطع مسافة عظيمة فى ليل مظلم كما سرى البدر النير فى ليل مظلم مع سرعة السير وكال الانارة والداج اسم ليل المظلم يقال دجا الليل أى أظلم فهو داج أى مظلم فقوله من الظلم تكلمة أى من ذى الظلم بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة ومن للبيان الشوب بالتبعض وفى هذا البيت إشارة الى قصة الإسراء وقد ذكرها الله تعالى بقوله سبحانه الذى أسرى بعبد ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله وحاصلها أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بيته أوفى السجدة على اختلاف الروايات فى ذلك فجاء جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فأحتملاه وشقا صدره وغسله جبريل وملاه علما وحكمة وإيمانا ويقينا ثم أتى له بالبراق فركبه وسار وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره حتى وصل الى بيت المقدس الخ (قوله وبِت ترقى الخ) عطف على قوله سريت الخ أى وبعد وصولك الى بيت المقدس بت ترقى أى تصعد فإنه صلى الله عليه وسلم نصب له معراج له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو الذى تعرج عليه أرواح المؤمنين فدللت له مرقاة فصعد عليها الى سماء الدنيا فاستفتح جبريل الباب فقبل من الباب قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل أوقد أرسل اليه قال نعم قبل مرحبا به وأهلا ونعم المهيء جاء فلما جاوز السماء الأولى دللت المرقاة الثانية فصعد عليها الى السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم الى الكرسى ثم الى سدرة المنتهى ثم الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ثم دلى الرغرف وهو سحابة خضراء فصعد عليها الى ما شاء الله تعالى وهذا المكان هو الذى أعده الله للخطاب وفرض الصلوات وإلا فالله تعالى منزله عن المكان وقوله الى أن نلت منزلة غاية لما قبله أى الى أن أعطيت مرتبة فى القرب وقوله من قاب قوسين بيان للمنزلة لكن فى العبارة قلب والأصل من قابى قوس أى من قدر ما بين قابى القوس لأن كل قوس له قاتبان وبينهما شيء قليل جدا فبينهما غاية القرب فكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولى فيبينهما غاية القرب لكن المراد هنا القرب المعنوى وقوله لم تدرك بالبناء للمجهول أى لم يدركها غيرك وقوله ولم ترم بالبناء للمجهول أيضا أى لم يرمها غيرك ولم يطلبها للعلم بأنها ليست إلا لك وفى هذا البيت إشارة الى قصة المعراج وقد ذكرها الله تعالى بقوله ثم دنا فتدلى

وَقَدَّمْتَكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَادِمٍ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوَكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ

التقديم ضد التأخير والقدم في مرتبة المخدم والتأخر في مرتبة (٦٩) الخادم واخترق الطريق قطعه والسبع الطباق

السموات السبع أخذنا من قوله عز وجل سبع سموات طباقا جمع طبق أو طبقة والسراد بعضها فوق بعض وحققها مختلفة فقد نقل السكالك الدميري عن كعب الأحبار أنه قال خلق الله تعالى السماء الدنيا موجا معكفوا والثانية صخرة والثالثة حديدا والرابعة نحاسا والخامسة فضة والسادسة ذهباً والسابعة ياقوتاً والموكب الجماعة من الفرسان والمراد هنا جماعة من الملائكة والعلم رمح في رأسه راية والمراد بصاحب العلم هنا كبير القوم للتقدم عليهم وليس المراد من تكون الراجحة في يده .

[الاعراب] وقدمتك جميع فعل ومفعول وفاعل الأنبياء مضاف إليه بها متعلق بقدمتك والباء للظرفية والهاء للنزلة والرسول بالجر عطف على الأنبياء من عطف الخاص على العام وبالرفع عطف على جميع وبالنصب عطف على المفعول معه تقديم مفعول مطلق مخدوم مضاف إليه على خدم بفتحين متعلق بتقديم وأنت مبتدأ تخترق السبع فعل وفاعل ومفعول خبر المبتدأ الطباق بكسر الطاء نعت السبع بهم متعلق بحال مخدومة أي ماراً بهم في موكب بفتح الهم وكسر السكاف متعلق بما تعلق به المجرور قبله كنت بفتح التاء فعل ماض ناقص والتاء اسم

فكان قاب قوسين أو أدنى وقد علمت حاصلها (قوله وقدمتك الخ) عطف على قوله سريت الخ أيضاً ثم إنه يحتمل أن المراد التقديم في الرتبة والمكانة كما يدل عليه قوله تقديم مخدوم على خدم وذلك لأن الله قد أطلعهم على منزلته صلى الله عليه وسلم بالوحي في مدة حياتهم كما يدل عليه قوله تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبيين الآية ويحتمل أن المراد التقديم في الحسن والخارج كما يدل عليه ما روى من أنه حشره جميع الأنبياء والرسول ليلة الإسراء وصلى بهم في المسجد الأقصى بعد أن أثنى كل على ربه بما هو أهله وكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في ذلك فأثنى على الله بما ألهه له فقال إبراهيم عند ذلك بهذا فضلكم محمد وذلك كان قبل العراج على المشهور ولا يخفى أن السكاف مفعول وجميع الأنبياء فاعل وألحق الفعل التاء لأن جميع في معنى جماعة أو لإضافته إلى جمع التكسير الذي يجوز تأنيثه وقوله جميع الأنبياء بالمد وقوله بها أي بتلك النزلة أو الليلة المفهومة من قوله ليسلا وقوله والرسول أي وجميع الرسل فهو بالجر معطوف على الأنبياء ويحتمل أنه بالرفع معطوف على جميع وعلى الأول فهو صريح في العموم وعلى الثاني فهو ظاهر فيه وهل كانت الأنبياء والرسول بأجسامهم وأرواحهم أو بأرواحهم فقط والراجح أنهم كانوا بأرواحهم فقط لإعيسى وإدريس فإنهما كانا بروحهما وجسمهما وبعضهم رجع أن الأنبياء جميعاً كانوا بأجسامهم وأرواحهم وعطف الرسول على الأنبياء من عطف الخاص على العام كما هو المشهور لشرفهم وقوله تقديم مخدوم على خدم أي تقديماً مثل تقديم مخدوم على خدم فهو بالنصب على الصدرية لكن على وجه التشبيه (قوله وأنت تخترق الخ) أي وقدمتك جميع الأنبياء والحال أنك تخترق بمعنى تقطع السموات السبع الطباق أي التي هي طبقة فوق طبقة فالواو للاحال لكنها حال منتظرة لامقارنة ووصف السموات بأنها طباق مأخوذ من قوله تعالى سبع سموات طباقاً أي طبقة فوق طبقة وقوله بهم أي حال كونك ماراً بهم يعني بالذي لقيه منهم في حديث الإسراء في مسلم أنه مر في السماء الدنيا بآدم وفي الثانية بعيسى ويحيى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة بإدريس وفي الخامسة بهرون وفي السادسة بموسى وفي السابعة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله في موكب بكسر السكاف أي حال كونك في موكب فهو حال أو هو خبر ثان لأنك والموكب الجمع العظيم للتلبس بهيئة عظيمة وقد كان معه صلى الله عليه وسلم جبريل وما أعظمهما وأعظم هيئتهما وجملة كنت فيه صاحب العلم صفة لموكب أي كنت فيه لشار إليه لأن العلم الرمح في رأسه راية ومن شأن صاحبه أن يشار إليه

فيه متعلق بكان والضمير للموكب صاحب خبر كان العلم بفتحين مضاف إليه . [ومعنى البيتين] وقدمتك جميع الأنبياء والرسول في المنزلة تقديم المخدوم على الخدم وأنت تخترق السموات السبع سماء بعد سماء حال كونك ماراً بالرسول واحداً بعد واحد في السماء الدنيا مرت بآدم وفي السماء الثانية مزرت بعيسى ويحيى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة بإدريس وفي الخامسة بهرون وفي السادسة بموسى وفي السابعة إبراهيم وأنت في جمع من الملائكة الكرام صاحب التحية والاكرام .

حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأَوًا لِمُسْتَبَقٍ مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرَقًى لِمُسْتَمٍّ

حق هنا غاية لتخرق وتدع أى ترك شأوا أى غاية لمستبق أى ساع لسبق والدنوالقرب والمرق موضع الرق والمستم أى لطالب
رفعة [الاعراب] حتى حرف غاية إذا ظرف (٧٥) زمان مجرد عن معنى الشرط لم تدع بفتح الدال جازم ومجزوم

شأوا بفتح الشين المعجمة وسكون
الهمزة وبالواو مفعول تدع لمستبق بضم
الميم وسكون السين الهملة وفتح الشاة
القوية وحكى اللوحدة من الدنو
المجروران متعلقان بتدع ولا مرق
بالتنوين معطوف على شأوا لمستم بضم
الميم الأول وسكون السين الهملة
وفتح الشاة القوية وكسر النون متعلق
بتدع أيضا .

[ومعنى البيت] لازلت تخرق الى
وقت لم تترك فيه غاية لمن يريد السبق الى
القرب ولا موضع رقى لطالب رفعة .

خَفَضْتُ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ

نُودِيتَ بِالرَّفْعِ بِمِثْلِ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ

كَيْفَا تَفُوزُ بِوَصْلِ أَيْ مُسْتَمٍّ

عَنِ الْعِيُونِ وَسِرِّ أَيْ مُكْتَمٍّ

الخفض ضد الرفع والراد انحطاط

الرتبة والمقام المنزلة والإضافة النسبة

والنداء طلب الإقبال والفرد التوحد

في قومه والعلم الشهور العالى القدر

وتفوز أى تظفر والوصل ضد القطع

والستر المحبوب والعيون جمع عين

الباصرة .

[الاعراب] خفضت بفتح التاء فعل

وفاعل كل مفعول به مقام بفتح الميم

مضاف إليه بالإضافة متعلق بخفضت

اذ ظرف لماضى متعلق بخفضت نوديت

بضم النون وكسر الدال فعل ماض

مبنى للمفعول ونائب الفاعل تاء المخاطب

بالرفع متعلق بنوديت مثل نعت مصدر

وهو المراد فأطلق اسم المازم وأريد اللازم أو المعنى على التشبيه وكان جبريل يستفتح
في كل سماء فيقال له ومن معك فيقول مجد كما تقدم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه
وسلم هو المشار اليه في ذلك الموكب (قوله حتى إذا الخ) غاية لقوله وأنت تخرق الخ
وإذا ظرفية مجازية أى إلى مقام القرب وقوله لم تدع شأوا للمستبق أى لم تترك غاية لطالب
سبق فلم تدع بمعنى لم تترك وشأوا بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وفي آخره واو
أى غاية والمستبق طالب سبق وهو الساعى ليسبق والجار والمجرور متعلق بشأوا
وقوله من لدنو بيان للشأوا أى من القرب وقوله ولا مرقى لمستم أى تدع مرقى لمستم
والمرقى محل الرقى وهو الدرجة والمستم طالب الرفعة وهو الساعى ليرتفع والجار
والمجرور متعلق بمرقى . وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يصعد الى مقام
القرب فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب سبق ولم يترك درجة لطالب رفعة وذلك
المقام هو أعلى مقامات القرب وهو للعبث عنه فيما تقدم بقاب قوسين (قوله خفضت كل
مقام الخ) هذا البيت جواب إذا في البيت قبله أى خفضت كل رتبة لغيرك وقوله
بالإضافة أى بالنسبة الى مقامك لامطلقا وإلا فالأنبياء كلهم متصفون بالكمال لكنه
صلى الله عليه وسلم أكمل فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه المرتفع عن مقام كل مخلوق
وإن كان ذلك المقام المنخفض مرتفعاً في نفسه وإنما انخفض بالنسبة لمقامه صلى الله
عليه وسلم وإياك أن تعتقد أن غيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء ليس متصفا
بالكمال لأن ذلك كفر فالواجب عليك أن تعتقد أنهم متصفون بالكمال لكن نبينا
أكمل وقوله إذ نوديت بالرفع أى لأنك نوديت من قبل الله تعالى نداء مصحوبا برفع
شأنك الى ما لم يصله أحد غيرك وهو أعلى مقامات القرب فاذا للتعليل وقيل ظرف
لزمان الماضى وقوله مثل المفرد العلم أى حال كونك ممائلا للمفرد العلم من حيث
الاختصاص بكونه نودى نداء مصحوبا برفع لفظه فكما أن المفرد العلم خص بكونه
نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين أقسام المادى فان ما عداها منها منصوب كذلك
صلى الله عليه وسلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين سائر الأنبياء
وإن ما عداها منهم مخفوض المقام بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم . فان قيل المفرد العلم
إنما نودى بالبناء على الضم لا بالرفع حتى يتم التشبيه . أجب بأن البناء على الضم رفع
في المعنى والمراد بالمفرد العلم العرفة من إطلاق الخاص وإرادة العام لأن النكرة
للمقصودة من أقسام العرفة عند المحققين فانها تعرف بالقصد والإقبال عليه كالمشار اليه
وذلك كما في قولك مقبلا على رجل مخصوص يارجل فالقصد رجل معين لا شائع
في جنسه والظاهر أن التشبيه بالمفرد العلم إنما هو في النداء بالرفع خاصة لافى خفض
مقامات غيره (قوله كيف تفوز الخ) أى لكيف تفوز الخ فاللام مقدرة قبل كي فتكون

مصدرية

محذوف منصوب على المفعول المطلق المفرد العلم بفتحتين نعت المفرد كما كي

حرف جرو تليد ومازائدة تفوز فعل مضارع منصوب بأن مقدرة بعد كي بوصل متعلق بتفوز أى بفتح الهمزة وتشديد الياء
المكسورة نعت وصل مستتر مضاف إليه عن العيون متعلق بمستر وسر بكسر السين الهملة معطوف على وصل أى بفتح الهمزة

مضاف اليه [ومعنى اليتيم] خفضت

كل مقام لغيرك بالنسبة الى مقامك حين نوديت بالارتفاع نداء مثل نداء المفرد العلم لأجل أن تفوز بوصل مستتر عن عيون الناظرين استقاراً أى استتاراً وسر مكتم عن غيرك اكتتاما أى اكتتم وجمع في البيت الأول بين الخفض والإضافة والنداء والرفع والمفرد والعم وهو جمع حسن .

فَحَزَّتْ كُلَّ نَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكٍ

وَجَزَّتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمٍ

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وَلِيَتْ مِنْ رُتَبٍ

وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمٍ

الحيازة الجمع والفخار ما يفتخر به من الفضائل والمشارك ضد المختص والجواز المرور والمقام المنزلة والازدحام المزاحمة وجل أى عظم والمقدار القدر وما وليت أى قللت وصار أمره اليك والرتب جمع رتبة وهى الدرجة العالية وعز الشيء تمنع وعسر حصوله والإدراك هنا الوجدان وأوليت أى أعطيت والنعم جمع نعمة .

[الاعراب] لحزت بضم الحاء المهملة

وسكون الزاى وفتح التاء فعل وفاعل

كل مفعول به نثار بفتح الفاء والحاء

المعجمة مضاف اليه غير بالنصب نعت

كل مشترك بفتح الراء مضاف اليه

وجزت بضم الجيم وسكون الزاى فعل

وفاعل كل مفعول به مقام بفتح الميم

مضاف اليه غير بالنصب نعت كل مزدحم

بضم الميم وسكون الزاى وفتح الدال

والحاء المهملتين مضاف اليه وجل بفتح

الجيم فعل ماض مقدار فاعل ماموصول

الاسمى في محله جر بالإضافة وليت بضم الواو وكسر اللام المشددة وسكون المثناة التحتية وفتح الفوقية فعل ماض مبنى للفعول والتاء

ناصب الفاعل والجملة صلة ما والعائد محذوف أى وليته من رتب بضم الراء وفتح المثناة الفوقية بيان لما متعلق بوليت وعز بفتح

مصدرية وعلى هذا فكى هى الناصبة للفعل بنفسها ويحتمل أن اللام ليست مقدرة قبلها فتكون تظلية وعلى هذا فالناصب للفعل أن مقدرة بعدها لاهى نفسها على الصحيح ومازائدة على الوجهين وعلى كل من الوجهين فهو علة لقوله سررت وبت الخ فاللهى فملت ذلك لأجل أن تفوز الخ أى تظفر بوصل من الله لك حيث أحلك المنزلة التى رفعت اليها وناداك الى الصعود اليها وقوله أى مستتر عن العيون بتشديد أى وجرها على أنها صفة لوصل وهو دال على معنى الكمال أى وصل كامل فى الاستتار عن العيون وقوله وسراى مكتم بتشديد أى وجرها على أنها صفة لسر وهو دال على معنى الكمال أى سر كامل فى الاكتتام عن الخلق ولا يخفى أن كلا من مستتر ومكتم بصفة الفاعل وبعضهم ضبط مكتم بفتح التاءين وهذا مأخوذ من قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى كما يدل على ذلك حديث عائشة رضى الله تعالى عنها حيث قالت يا رسول الله ما الذى أوحى اليك ربك إذ قال فأوحى الى عبده ما أوحى قال يا عائشة أتريدن أن تعلمى ما لا يعلم جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب فقالت أسألك بأبى بكر الامأ علمتنى فقال أنى لما كنت قاب قوسين قلت اللهم إنك عذبت الأمم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالحسف فما أنت فاعل بأمتى فقال أنزل عليهم الرحمة من عنان السماء وأبدل سياهم حسنات ومن دعائى منهم لبيته ومن سألتى أعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا أستر على العصاة وفى الآخرة أشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب معاتبه جيبه لما حاسبته أمتك . ولما أردت الانصراف قلت يارب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتى قال الله تعالى أنالهم ما عاشوا وأنالهم إذا ماتوا وأنالهم فى القبور وأنالهم فى النشور كذا فى بعض الشروح وذكر جمع من الشراح مانصه وهذا السر مأخوذ من حديث علمى ربه ليلة الإسراء علوما شتى فعلم أخذ على كتمانهم وعلم خيرنى فيه وعلم أمرنى أن أبلغه قال على رضى الله عنه فكان يسر الى أبى بكر وعمر وعثمان والى ماخبر فيه اه لكن لم يوقف على أصل لذلك فى كتب الحديث (قوله لحزت الخ) أى فبسبب مانلت من تلك المرتبة حزت الخ والحيازة بالحاء المهملة الجمع فعنى حزت جمعت وقوله كل نثار مفعول لحزت والفخار بفتح الفاء كما هو السموغ وإن كان القياس الكسر لقول ابن مالك فى الخلاصة :

لفاعل الفاعل والفاعله وغير ماصر السماع عادله

وهو ما يفتخر به من الفضائل وقوله غير مشترك أى بينك وبين غيرك بل هو مختص بك وقوله وجزت بالجيم والزاى أى عبرت وتجاوزت وقوله كل مقام مفعول لجزت والقام المرتبة وقوله غير مزدحم بفتح الحاء أى غير مزدحم فيه لعدم الواصلين اليه وهو من باب الحذف والإيصال ولا يخفى أن لفظ غير فى الموضعين مجرور على أنه صفة للمجرور قبله وحاصل المعنى فبسبب مانلت من تلك المرتبة جمعت كل ما يفتخر به من الفضائل المختصة بك وعبرت وتجاوزت كل رتبة غير مزدحم فيها لأنه لا يصل اليها غيرك (قوله وجل الخ)

الاسمى في محله جر بالإضافة وليت بضم الواو وكسر اللام المشددة وسكون المثناة التحتية وفتح الفوقية فعل ماض مبنى للفعول والتاء

ناصب الفاعل والجملة صلة ما والعائد محذوف أى وليته من رتب بضم الراء وفتح المثناة الفوقية بيان لما متعلق بوليت وعز بفتح

المهملة والزاي فعل ماض معطوف على جمل إدراك بكسر الهزة فاعل عز ماموصول اسمي في محل جر بالإضافة أوليت بضم
 الهزة وسكون الواو وكسر اللام فعل ماض مبنى المفعول صلة ما والعائد محذوف أي أوليته من ثم بكسر النون وفتح
 العين المهملة بيان لما متعلق بأوليت . [ومعنى البيتين] جُمعت كل غير مستقل بك غير مشترك بينك وبين غيرك وعبرت
 كل مكان بمفردك غير مزاحم لغيرك وعظم ما أوليت من المناصب الشريفة وامتنع الوصول إلى كمال ما أعطيت من الفضائل المنيفة
 وفي البيت الأول الجناس المحرف في قوله (٧٢) لحزت وحزت وفي الثاني الجناس الناقص في قوله أوليت وأوليت :

بُشِّرِي لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا
 مِنْ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ

لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِيَنَا لِبَطَاعَتِهِ
 بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
 بشرى اسم من البشارة يطلق ويراد
 به الخبر السار المفيد البشر والمعشر
 الجماعة الذين يشملهم وصف واحد
 والعناية من عني بحاجتي أي اعني بها
 وركن الشيء ما يعتمد عليه والانهدام
 التغير ودعا أي سمي وداعينا أي النبي
 صلى الله عليه وسلم والطاعة ضد المعصية
 والأم جمع أمة وهي الجماعة .

[الاعراب] بشرى مبتدأ ونفها
 محذوف أي بشرى عظيمة لنا خبره
 معشر منصوب على الاختصاص بفعل
 محذوف تقديره أخص الإسلام مضاف
 إليه إن بكسر الهزة أوفتحها وتشديد
 النون لنا خبرها مقدم من العناية بكسر
 العين وفتح النون حال من الضمير في لنا
 ركننا اسم إن مؤخر غير بالنصب نعت
 ركننا منهدم مضاف إليه وهذه الجملة
 تعليلية فإن سكست إن فهي تعليل
 مستأنف وإن فتحت فعلى تقدير لام
 العلة لما بفتح اللام وتشديد الميم حرف

أي عظم ذلك فلا يخاط به وقوله ما أوليت بالبناء للمفعول أي ما أولاك الله قوله من رتب
 بيان لما والرتب المناصب الشريفة وقوله وعز بفتح العين وتشديد الزاي أي امتنع
 ذلك فلا يحصل لأحد غيرك وقوله ما أوليت بالبناء للمفعول أي ما أولاك مولاك وقوله
 من ثم بيان لما والمراد من النعم الأمور المنعم بها وكل من الجملة إما مستأنف
 أو معطوف على ما تقدم (قوله بشرى لنا الخ) أي هذه المناقب بشرى لنا الخ فبشرى
 خبر مبتدأ محذوف ولناصفة له ويحتمل أن بشرى مبتدأ ولنا خبر وساخ الابتداء
 ببشرى لأنها في معنى النكرة للوصفة فإنها بمعنى الخبر السار وقوله معشر الإسلام
 أي معشر أهل الإسلام وهو منصوب على الاختصاص أي أخص معشر الإسلام
 وقوله إن لنا من العناية ركننا غير منهدم أي إن لنا جميع المسلمين من أجل العناية
 بنا في الأزل شريعة غير متغيرة بالنسخ فالمراد بالركن الشريعة على سبيل الاستعارة
 التصريحية الأصلية حيث شبه الشريعة بمعنى الركن بجامع الثبات في كل واستعار اسم
 الشبه به للمشبه والمراد بالانهدام التغير لكن لا مطلقا بل بخصوص النسخ ، أماتا الله
 على سنته وأتباع ملته بمنه وفضله ورحمته (قوله لما دعا الله الخ) أي لما سمى الله الخ
 ولا يخفى أن لما شرطية ودعا فعل الشرط والله فاعل وداعينا مفعول ولطاعته متعلق
 بداعينا وبأكرم الرسل متعلق بدعا وكنا أكرم الأمم جواب الشرط والمعنى لما
 سمى الله النبي صلى الله عليه وسلم الذي دعانا أي طلبنا لطاعته تعالى بأكرم الرسل
 كنا معشر أمته أكرم الأمم لأن أكرم الرسل لا يبعث إلا لأكرم الأمم وفي التنزيل
 كنتم خير أمة أخرجت للناس وجعل بعض الشراح داعينا بدلا من الفاعل وجعل
 لطاعته متعلقا بدعا والمعنى عليه لما دعانا الله وهو داعينا لطاعته بواسطة أكرم الرسل
 كنا أكرم الأمم والأول أقرب كما لا يخفى (قوله راعت الخ) أي افترعت الخ وهذه
 الجملة مستأنفة وقلوب بالنصب مفعول مقدم لراعت لكن على تقدير مضاف أي أصحاب
 قلوب ويحتمل أنه سمي الذوات بالقلوب فيكون قد عبر باسم الجزء وأراد الكل على
 سبيل المجاز المرسل والعدا بالكسر والقصر جمع عدو وللراد بهم الكفار وأبناء
 بعثته بالرفع فاعل مؤخر لراعت ولا يخفى أن إسناد راعت إلى أبناء البعثة من المجاز

العتلى

وجود لوجود أو ظرف بمعنى حين على القولين دعا الله فعل وفاعل داعينا مفعول

وسكن الياء على لغة من يعرب المتقوس في الأحوال الثلاثة بحركات مقدرة لطاعته متعلق بداعينا بأكرم جار ومجرور متعلق
 بدعا الرسل بسكون السين مضاف إليه كنا كان واسمها أكرم خبرها الأمم مضاف إليها والجملة جواب لما . [ومعنى البيتين]
 بشرى عظيمة لنا أيها المسلمون لأن لنا شريعة باقية غير منسوخة ولما سمى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بأكرم الرسل كنا أكرم
 الأمم السالفة قبل مجيء الإسلام صدقه قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أي أتم خير أمة وإنما كانت أمته خير الأمم لأنه هو خير الرسل
 رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءَهُ بِفَتْحِهِ كَتَبَتْهُ أَجْفَلَتْ غَفَلًا مِنَ الْغَمِّ

كَأَنَّهُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ حَتَّىٰ حَكَمُوا بِالْقَنَاءِ لِحَمَائِهِمْ وَضَمَّ

راعت أي أفرغت والعداء الأعداء والأنباء الأخبار والبئة الرسالة والنبأ الصرخة وأجفلت أي أفرغت وغفلا جمع أغفل وهو البليد الغافل الذي لا يحس بالأمارات الواضحة والغم اسم جنس والمعتك موضع الاعتراك وهو الازدحام في الحرب وحكوا شابهوا والقنا جمع قناة وهي الرمح والوضم ما يوضع عليه الجزار اللحم من قصب (٧٢) أو غيره معدا لمن يأخذه ، [الاعراب]

راعت بالراء والعين المهملتين فعل ماض وتاء تأنيث قلوب مفعول مقدم العداء بكسر العين وضمة واو القصر مضاف إليه أنباء بفتح الهمزة الأولى وسكون النون وفتح الموحدة والد فاعل راعت مؤخر بعته بكسر الموحدة وفتح المثلثة وكسر المثناة القوقية مضاف إليه كنبأة بفتح النون وسكون الموحدة وفتح الهمزة في موضع الحال من أنباء أجفلت فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود إلى نبأ والجملة صفتها غفلا بضم المعجمة وسكون الفاء مفعول أجفلت من الغم بفتح العين المعجمة والنون نعت غفلا ومن للبيان ما حرف نفي زال فعل ماض ناقص اسمه مستتر فيه يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم يلقاهم بضم الميم فعل مضارع وفاعله مستتر ومفعول جملة في موضع نصب خبر زال وضمير الجمع للأعداء من الكفار في كل متعلق يلقاهم معتك بضم الميم وسكون المهملة وفتح المثناة فوق والراء مضاف إليه حتى حرف ابتداء حكوا بفتح المهملة والكاف فصل ماض وفاعل والضمير للأعداء بالقنا بفتح القاف والنون متعلق بحكوا لما بفتح اللام وسكون المهملة مفعول حكوا على وضم

الغفل لأن موجد الروح في القلوب هو الله تعالى وأنباء بعته إنما هي سبب فهو من إسناد الفعل إلى سببه وللإيراد أنباء بعته أخبارها التي صدرت من الكهان والأخبار وغيرهم كقولهم إنه سيظهر دين يطلب كل دين وإنما أفرغتهم لفتلتهم عنها كما يؤخذ من التشبيه بعد ولو كانوا ملتفتين إليها ما فزعوا منها وقوله كنبأة أي مثل نبأ أي زارة الأسد التي هي صوته وجملة أجفلت بالجيم والفاء أي أفرغت صفة لنبأ وغفلا بضم الغين وسكون الفاء جمع غافل وهو مفعول لأجفلت وقوله من الغم بيان لغفلا مشوب بتبعض وإنما كانت غفلا لكونها راتعة في ربيعها مشغلة في أكلها وشهواتها فأجفلها ذلك الصوت وفرقها (قوله ما زال الخ) أي لم ينفك صلى الله عليه وسلم عن كونه يلقاهم بنفسه تارة وبخيله ورجله أخرى في كل معتك وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم ويلقاهم بالاشباع والجار والمجرور متعلق به والمعتك بفتح الراء محل الاعتراك أي الازدحام للحرب وقوله حتى الخ غاية لقوله ما زال يلقاهم في كل معتك وقوله حكوا بفتح الكاف لأن أصله حكوا قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين ومعنى حكوا شابهوا وقوله بالقنا أي بطعن القنا فهو على تقدير مضاف والباء للسببية أي بسبب طعنهم بالقنا وكذا بسبب ضربهم بالسيوف ورميهم بالنبل والقنا جمع قناة وهي الرمح ولحما مفعول لقوله حكوا وقوله على وضم متعلق بمحذوف صفة للحما والوضم بالضاد المعجمة ما يوضع القصاب اللحم عليه معدا لمن يأخذه وهو المسمى بالطبلية وقيل إنه الحديد الذي يفرز فيه اللحم حين يشوى ليؤكل . وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم ما زال يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدين لأن كل السباع والطيور لحومهم ويقال للذليل الحقير لحم على وضم بطريق الاستعارة ويحتمل أن يكون هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة (قوله ودوا الفرار الخ) أي تمنوا الهرب منه صلى الله عليه وسلم وإنما تمنوه مع أنه أقبح الحاصل وأذمها عند العرب فإنه من أفعال اللثام وما كانوا يرضون به فضلا عن تمنيه لما استمر فيهم من القتل ولما كثرت ودادتهم للفرار وصار من شهواتهم المطلوبة لهم ولات حين فرار لهم من غضب الله تعالى الذي حل بهم على يد رسول صلى الله عليه وسلم ويد المؤمنين نزل هربهم منزلة الحال الذي لا ينال إلا بالتمني

(١٠ - باجورى - برده)

بفتح الواو والضاد المعجمة نعت لحما [ومعنى البيتين] أن أخبار

بئة النبي صلى الله عليه وسلم أفرغت قلوب الأعداء وفرقت شملهم كما أفرغت صيحة الأسد قلوب غم غافلة وما زال صلى الله عليه وسلم يحاربهم حتى بضهم وصاروا كلهم ملقى على الأرض تأكله السباع والوحوش والطيور ، وفي البيت الأول الجناس الشبيه بالمشتق في قوله أنباء ونبأ :

وَدَّوْا الْفَرَارَ فَكَادُوا يَغِيطُونَ بِهِ أَشْلَاءَ شَاكَتَ مَعَ الْعِقَابِ وَالرَّحِمِ

تَمْضَى اللَّيَالِي وَلَا يَذْرُونَ عِدَّتَهَا مَلَمَ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ

ودوا أى تمنوا والفرار الحرب ويكاد أى يقارب والغبطة تمنى مثل حال الغبوط ولم يرد زوالها وأشلاء جمع شلو بكسر المعجمة وسكون اللام وهو العضو من اللحم وشالت أى ارتفعت والعقبان جمع عقاب نوع من كرائم الطير والرخم جمع رخمة وهو طائر يشبه النسر يقع على الميتات وتمضى تمر والليالى جمع ليلة على غير قياس والمراد الليالى والأيام وخص الليالى بالذكور لأن مقاساة الحنوم فيها أشد ولا يدرون أى لا يعلمون والعدة العدد والأشهر الحرم أربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم والحرم جمع حرام . [الاعراب] ودوا بفتح الواو وضم (٧٤) الدال فعل ماض وفاعل والضمير للأعداء الفرار بكسر الفاء

ومفعول ودوا فكادوا فمسل ماض والواو اسم يغبطون بفتح التاء التحتية وسكون السين المعجمة وكسر الموحدة وضم الطاء المهملة فعل مضارع وفاعل والجملة فى موضع نصب خبر كاد به متعلق يغبطون والضمير للفرار أشلاء بهجتين مفتوحتين بينهما شين معجمة ساكنة ولام مفتوحة والمد بغير تنوين للضرورة لأن أصله أشلاو قلبت الواو همزة لتطرفها إثر ألف زائدة كسواء مفعول يغبطون شالت بالسين المعجمة فاعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه يعود الى أشلاء والجملة نعت أشلاء مع بفتح العين متعلق بشالت العقبان بكسر العين مضاف إليها والرخم بفتح المهملة والحاء المعجمة معطوف على العقبان تمضى الليالى فعل وفاعل والمعطوف محذوف أى والأيام على حد سرايل تنفيكم الحر أى والبرد ولا حرف نفي يدرون فصل مضارع وفاعل عدتها بكسر العين مفعول يدرون ما ظرفية مصدرية لم تكن صلة ما واسم تكن مستتر فيها يعود الى الليالى من ليالى خبر تكن

وقوله فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم أى فلتمنيهن ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار أشلاء على وزن أشياء أى أعضاء شالت أى ارتفعت حال كونها مع العقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من الطير ومع الرخم جمع رخمة وهو نوع من الطير أيضا وإنما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون غيرهما والغبطة هى تمنى الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره فكأنهم يقولون يائيت لنا مثل ما لأعضاء اللحم التى ارتفعت مع العقبان والرخم الى منازلها وأشلاء جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم وإنما غبطوا الأعضاء دون العقبان والرخم التى ارتفعت بها لما بينهما وبين تلك الأعضاء من الشابهة لأنهم لأحركة لهم ولا قوة بسبب طعن القنا وغيره فخالتهن كحالة الأعضاء لا كحالة العقبان والرخم (قوله تمضى الليالى الخ) أى تمر عليهم الليالى بأيامها والحال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل فى قلوبهم من الفزع وخامر بواطنهم من الهلع بسبب جهاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لهم فيسكرون من الخوف وتذهب عقولهم وينعدم تمييزهم فلا يدرون عدة الأيام بلياليها وعلم مما تقرر أن الواو فى قوله ولا يدرون عدتها واو الحال وقوله مالم تكن من ليالى الأشهر الحرم أى مالم تكن تلك الليالى من ليالى الأشهر الحرم التى هى ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب بخلاف ما إذا كانت تلك الليالى من ليالى الأشهر الحرم المذكورة فإنها تمضى عليهم ويدرون عدتها لكونهم يفقهون من سكرهم من الخوف وترجع اليهم عقولهم ويوجد لهم تمييزهم لإمساك النبي والمؤمنين عن جهادهم فى الأشهر الحرم فى صدر الإسلام عند من رأى أن منع قتالهم فيها نسخ وقال عطاء لم ينسخ وهو ضعيف وما ذكرناه فى عهد الأشهر الحرم هو الصحيح وقيل هى الحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وعلى الأول فهى من سنتين وعلى الثانى فهى من سنة ويترتب على الخلاف ما لو نذر صومها مرتبة فيصوم على الأول ذا القعدة أولا الى آخرها ويصوم على الثانى الحرم الى آخرها

(قوله

الأشهر مضاف إليها الحرم بضم الحاء والراء المهملتين نعت الأشهر .

[ومعنى البيتين] تمنى الأعداء الفرار من الحرب لشدة ما حصل عليهم فلم يقدرُوا عليه وتمنوا أن يحصل لهم مثل ما حصل لأعضاء أمثالهم حين وقت عليها الطيور فأكلت منها ما اختارت وارتفعت منها بما شاءت ليخاصوا بمهام فيه فإن الإنسان إذا اشتد عليه الحال ولا يجد لشدة فرجا ولا لضيقة مخرجاً يتخلى الموت وإذا استولى عليه الخوف لا يميز بين الأيام والليالى ولا يضبط عدد الليل والنهار فكذلك هؤلاء تمر عليهم الليالى والأيام لا يعرفون عددها لشدة ما حصل عليهم من القتال والحاربة لهم فإذا دخلت الأشهر الحرم عرفوها بأمساك النبي صلى الله عليه وسلم عن القتال فيها رغبة لحرمتها ووفاء بحمها .

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلٌّ سَاحَتِهِمْ بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى تَحْمِ الْهَذَا قَرْمٍ

الدين الإسلام وحلّ نزل والساحة المكان وقرم يسكون الرأ السيد وبكسرهما شديد الشهوة الى اللحم والمراد شديد الظن على قتل أعداء الدين . [الاعراب] كأنما حرف تشبيه الدين (٧٥) بكسر الهمزة مفتاح خبره حل مفتاح

المهملة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على ضيف ساحتهم مفعول فيسه بحل والجملة نعت ضيف بكل متعلق بحل قرم بفتح القاف وسكون الرأ مضاف اليه الى لحم متعلق بقرم آخر البيت العدا بكسر العين والقصر مضاف اليهم قرم بفتح القاف وكسر الرأ نعت قرم يسكون الرأ المتقدم .

[ومعنى البيت] كان دين الإسلام ضيف نزل ساحة كل سيد من الصحابة شديد الشهوة الى قتل أهل الكفر وتزيق لحومهم، وفي البيت من البديع الجنس المحرف بين قوله قرم وقرم .

يَجْرُ بِحَرْ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِجَةٍ
تَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَظِمٍ
مِنْ كُلِّ مُتَنَدِّبٍ لِلَّهِ مُخْتَصِبٍ

يَسْطُو بِمُخْتَصِلٍ لِلْكَفَرِ مُضْطَلِمٍ
البحر كناية عن الكثرة والخميس الجيش سمى بذلك لأنه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة قاله في القاموس وخيل سابجة إذا مدت يدها للجري مأخوذ من السباحة وهي العوم في الماء والأبطال جمع بطل بفتح الطاء وهو الشجاع وموج ملتطم أى دخل بعضه على بعض لكثرتة والتندب الحبيب يقال نذبه لكذا فالتدب أى دعاه فأجابه والتدب من يقدم الخير ويسدده فيما يدخره ويسطو أى يصول ومستأصل للكفر

(قوله كأنما الدين الح) أى كأنما دين الإسلام ضيف حل ونزل ساحة الكفار فالضمير في ساحتهم عائد على الكفار كما قاله بعض الشارحين وهو قضية السياق أو ساحة الصحابة فالضمير في ذلك راجع للصحابة كما قاله بعض الشارحين وهو المسموع من المشايخ وقوله بكل قرم بفتح القاف وسكون الرأ أى مع كل شجاع لأن هذا الضيف الذى وقع التشبيه به شجاع فلذا نزل مع شجاعين أمثاله فالباء بمعنى مع والقرم بفتح فسكون الشجاع وقوله الى لحم العدا قرم بفتح القاف وكسر الرأ أى شديد الشهوة الى لحم العدا للمسلمين فالقرم بفتح فكسر شديد الشهوة والجار والمجرور متعلق به . وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم عائدا على الكفار كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الكفار مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا للمسلمين ومن شأن الضيوف إذا كانوا أكراما أن يشبعوا عند المضيف لهم مما يشتهون وفيه على هذا إقامة الظاهر مقام الضمير والافكان مقتضى الظاهر أن يقول الى لحمهم ونكتته التصريح بوصفهم بالعداوة للمسلمين . وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم راجعا الى الصحابة كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الصحابة مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا للمسلمين ومن شأن المضيف أن يشبع ضيوفه مما يشتهون وعلى كل فالغرض من ذلك الإخبار بكثرة القتل في الكفار (قوله يجر) أى يستتبع هذا القرم بفتح القاف وسكون الرأ الذى هو الشجاع فالمراد بالجر هنا الاستتباع ليكون قد شبه الاستتباع بالجر واستعار اسم المشبه به للشبه ثم اشتق منه يجر بمعنى يستتبع ويحتمل أنه شبه الخميس الذى كالبحر بدابة تجر برسن تشبيها مضمر في النفس وحذف اسم المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الجر فهو تخيل للاستعارة بالكناية وقوله بحر خميس أى خميسا كالبحر في موجيه واهلاكه الكفار فهو من إضافة المشبه به للمشبه والخميس هو الجيش العظيم سمى بذلك لأنه مركب من خمس قوائم مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب وقوله فوق سابجة أى كائن فوق خيل سابجة أى مسرعة في طلب الكفار كالساج في البحر وقوله يرمى بموج الح صفة للخميس والمراد بالموج ما يصل الى الكفار من الطعن والقتل وغيرها فيكون قد شبه ذلك بمعنى الموج واستعار اسم المشبه به للشبه على طريق التصريح وقوله من الأبطال أى صادر ذلك الموج من الأبطال وإنما لم يقل منهم مع أن الأبطال نفس الجيش لإفادة أن ذلك الجيش كله أبطال والأبطال جمع بطل وهو الشجاع وقوله ملتطم صفة لموج أى ملتطم بعضه ببعض (قوله من كل متندب الح) الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله أى من كل محبب الح فالمتندب بكسر الهمزة

أى يقلعه من أصله والاصطلاح الاستئصال قاله في الصحاح . [الاعراب] يجر بضم الجيم فصل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى الضيف بحر يسكون المهملة مفعول به خميس بفتح الخاء المعجمة مضاف اليه فوق ظرف مكان منصوب بيجر سابجة بمحملةتين بينهما باء موحدة مكسورة مضاف اليها والمنعوت بها محذوف تقديره خيل سابجة يرمى بفتح الياء المشناة .

التحتية فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى بحر بموج جار ومجرور متعلق يرمى من الأبطال نعت موج ملتحظ بضم الميم الأولى وفتح التاء الفوقية وكسر الطاء المهملة نعت ثان لموج من كل بدل من الأبطال بإعادة من منتدب بضم الميم وسكون النون وفتح اللثام الفوقية وكسر الدال المهملة مضاف اليه لله متعلق بمنتدب محنوب بضم الميم وسكون الحاء وكسر السين للمهلتين نعت منتدب بكسر الدال دون فتحها يسطو بفتح الياء المثناة التحتية وسكون السين وضم الطاء المهملتين فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى منتدب بمستأصل بضم الميم وسكون السين للمهمة وفتح اللثام الفوقية وسكون الهمزة وكسر الصاد المهملة متعلق بيسطو على تقدير مضاف بين الجار والمجرور أى بسيف مستأصل للكفر متعلق بمستأصل على تقدير مضاف بين الجار والمجرور أى لأصل الكفر مصطلم بضم الميم الأولى (٧٣) وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين واللام نعت منتدب .

[ومعنى البيتين] يجر ذلك الضيف جيشا بموج كجوج البحر للتلطم فوق خيل ساحة بكل فارس منتدب لله تعالى محنوب بعمله عند الله تعالى يسول بسيف قاطع قاطع لأصل الكفر مهلك لأهله .

حَقَّ غَدَتْ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةٌ الرَّحِمِ مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرٍ أَبٍ وَخَيْرٍ بَدَلٍ فَلَمْ تَنْتُمْ وَلَمْ تَنْتُمْ غَدَتْ صَارَتْ وَالْمِلَّةُ الشَّرِيعَةُ وَالْفَرِيقَةُ الْبَعِيدَةُ عَنْ أَهْلِهَا وَصَلَةُ الرَّحِمِ قَرَبُ ذَوَى الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي تَعَاظُمِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ وَالْمَكْفُولُ الَّذِي يَقَامُ بِحَقِّهِ وَالْأَيْدِ الدَّائِمَةُ وَالْبَعْلُ الزَّوْجُ وَيَتِمُّ الصَّبِيُّ بِالْكَسْرِ يَتِمُّ بِالْفَتْحِ إِذَا مَاتَ أَبُوهُ وَأَمَتُ الْمَرْأَةِ تَتِمُّ أَيْمَةً وَأَيْمًا إِذَا خَلَّتْ مِنْ زَوْجٍ .

[الاعراب] حق حرف ابتداء غدت بالغين المعجمة فعل ماض ناقص ملة اسمها الإسلام مضاف إليه وهي بهم

على أنه اسم فاعل وضبطه بعض الشيوخ بفتحها على أنه اسم مفعول بمعنى مدعو وعلى كل فقله لله متعلق به وقوله محنوب أى مدخر ثواب عمله عند الله وقوله يسطو أى يسول وقوله بمستأصل للكفر أى بآلة مستأصلة لأهل الكفر كالسيف وغيره من آلة القتال أى من أجل لهم من أصلهم يقال استأصله إذا أزاله من أصله وقوله مصطلم أى مهلك لهم يقال اصطلمه إذا أهلكه وفي الصحاح الاصطلام الاستئصال وعليه فهو تأكيد (قوله حق غدت الخ) أى وما زال هذا المنتدب يسطو بمستأصل لأهل الكفر الى إن غدت الخ فهو غاية لخدوف وغدت بمعنى صارت وهو بالغين المعجمة وقوله ملة الإسلام أى ملة هي الإسلام فالإضافة في ذلك من إضافة الأعم الى الأخص لأن الملة تشمل سائر الأديان وقوله وهي بهم أى وهي مصحوبة بالصحابة والجملة اعتراضية بين اسم غدت وهو ملة الإسلام وخبرها وهو موصولة الرحمة وقوله من بعد غربتها متعلق بغدت بمعنى صارت والبراد بغربتها عدم شهرتها لقلة من ينتمى اليها وقوله موصولة الرحمة بالنصب على أنه خبر لغدت كما علمت والبراد بكونها موصولة الرحمة كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمى اليها ويدخل فيها وقد شبه كثرة القيام بحقها بوصول الرحمة واستعار اسم الشبه به للشبه وأشار بذلك الى حديث مسلم بدأ الإسلام غريباً أى ظهر بين قوم لا يقومون بحقه فهو مقطوع الرحمة ثم قامت الصحابة بحقه فصار موصول الرحمة (قوله مكفولة الخ) أى محفوفة الخ وهو خبر ثان لغدت وقوله أبدا ظرف لقوله مكفولة وقوله منهم أى من الكفار وقوله بخير أب وخير بعل وهو النبي صلى الله عليه وسلم فإنه أشفق على أمته من الأب على أولاده وأقوم بمصالحهم من البعل على زوجته ومثله صلى الله عليه وسلم من يقوم مقامه من الخلفاء الراشدين والعلماء المهديين ولا شك أن المرأة التي كفها خير أب وخير بعل في غاية من المكانة ورفاهية من العيش وقوله فلم تيتم

بفتح

مبتدأ وخبره وضمير بهم للأبطال والجملة حال من ملة مرتبطة بالواو والضمير من بعد

متعلق بغدت غربتها بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة مضاف اليها موصولة بالنصب خير غدت الرحمة بكسر الحاء المهملة مضاف اليها مكفولة بالنصب خبر بعد خبر أبدا ظرف زمان منصوب بمكفولة منهم بخير متعلقان بمكفولة والضمير للأبطال أب مضاف اليه وخير بالجر معطوف على خير المجرور بانه بعل بالوحدة والمهمة مضاف اليه فلم تيتم بتأين متناهي من فوق مفتوحين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة جازم ومجزوم ولم تيتم بفتح اللثام الفوقية وكسر الهمزة جازم ومجزوم معطوف على ما قبله وفيه لف ونشر لأن نفي التيم مع وجود الأبوة ونفي التأيم مع وجود البعولة . [ومعنى البيتين] لم يزل السيف قائماً حتى صارت ملة الإسلام موصولة بعد أن كانت مقطوعة الوصلة ومكفولة بخير أب وخير زوج وهو النبي صلى الله عليه وسلم فلم يحصل لها تيم من جهة الأب ولاتأيم من جهة الزوج لأنه أبو الملة وبعلها في الشفقة على أهلها .

هُمْ الْجِبَالُ فَتَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ
وَسَلَّ حَتِينًا وَسَلَّ بَذْرًا وَسَلَّ أَحَدًا فُصُولُ حَتَفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوُخْمِ

الجبال جمع جبل وتصادم الفارسان إذا التقيا بأجسادهما والمصطدم (٧٧) موضع الاصطدام وحين وأد قريبا من

الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا
وبدر اسم ماء بينه وبين المدينة بمائة
وعشرون فرسخا على طريق مكة وأحد
جبل عند المدينة الشريفة والمراد بهذه
الأمكنة الثلاثة الفزوات عندها
والفصول جمع فصل والمراد بها هنا
أنواع الهلاك والحلف الهلاك وأدهى
أفعل تفضيل من الداهية والوخم
الوباء .

[الاعراب] هم الجبال بالجيم مبتدأ

وخبر فصل فعل أمر وفاعل عنهم
متعلق به مصادمهم بضم الميم الأولى
وفتح الثانية وكسر الدال مفعول به
والضمير للأبطال ما اسم استفهام مبتدأ
ذاخيره وهو اسم موصول رأى بفتح
الراء والمهمزة صلة ذا وفاعله ضمير مستتر
فيه يعود إلى مصادمهم والماند محذوف
أى رآه ويحتمل أن تكون ماذا كلمة
واحدة في موضع نصب رأى منهم في
كل متعلقان برأى مصطدم بضم الميم
الأولى وسكون الصاد وفتح الطاء والدال
المهملات مضاف إليه وسل حنيننا بضم
الحاء المهملة وفتح النون فعل وفاعل
ومفعول وسل بذرا بفتح الواو فاعل
وفاعل ومفعول وسل أحدا بضم
المهمزة والحاء المهملة فعل وفاعل
ومفعول والجلل الثلاث معطوفة على
سل مصادمهم من عطاف الخاص على
العام فصول بضم الزاء والصاد المهملة

بفتح التاء وسكون اللام التحتية بينهما أى من جهة الأب وقوله ولم تلم بفتح التاء
وكسر المهمزة أى من جهة البعل فى ذلك لف ونشر مرتب يقال يتم الولد بكسر
التاء يتم بفتحها إذا مات أبوه وهو صغير ويقال آمت المرأة تئيم مكباعت تبع
إذا دخلت من زوجها ومنه قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم (قوله هم الجبال الخ)
هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأنها جواب عما يقال من الدين صارت بهم الملة إلى
هذه الحالة والكلام على التشبيه أى هم كالجبال فى الصبر والصلابة وهذا يسميه
البيانون تشبيها بليغا لاستعارة وقوله فصل عنهم مصادمهم أى إن ارتبت فى هذا
فصل عنهم من صادمهم من أعدائهم ولعل مراده فصل عنهم مؤرخ أخبار مصادمهم
أو فصل مصادمهم على تقدير حياته والافكيف يتصور سؤاله الآن وقد مات من
مدة مئين من السنين حتى عاد رفاتا والمصادمة اصطكاك الصفيين وقوله ماذا رأى
منهم أى من الشدة التى لا توصف لعظمها وما اسم استفهام مبتدأ وذال اسم موصول
خبر أى أى شيء الذى رأى ويصح أن يكون ماذا بتمامها اسم استفهام وعلى هذا
فهو مفرد بخلافه على الأول فهو جملة وقوله فى كل مصطدم بفتح الدال أى فى كل
مكان الاصطدام الذى هو اصطكاك الصفيين كما مر والمراد بالمصطدم الأماكن التى
التقوا فيها مع أعدائهم وبين مصادمهم ومصطدم تجنيس الاشتقاق وهو رد
الصدور على الأعجاز ومن هنا إلى قوله طارت قلوب العدا الخ [خاصيتها] أن من كتبها
على باب بلد أودار أو بستان مدايت مكتوبة لا يصل إلى ذلك سارق ولا دود ولا غير
ذلك قال قائل هذه الفائدة قد جربت فى القمع والشعير وغيرهما وقال أيضا كتبت
هذه الأبيات على باب دار لجاء السارق فسمع صوتا فى الدار فرجع ثم قال لأصحابه
ذلك فأخبروه بأن صاحب البيت غائب جمعين ثم رجع ثانى لیسلة فسمع فيه صوتا
يقول له ما غبت شيئا ومنعه الله ببركة هذه الأبيات (قوله وسل حنيننا الخ) أى وسل
زمن غزوة حنين وسل زمن غزوة بدر وسل زمن غزوة أحد ويحتمل أن يكون
مراده وسل أهل حنين وسل أهل بدر وسل أهل أحد أو وسل مؤرخ وقعة
حنين وسل مؤرخ وقعة بدر وسل مؤرخ وقعة أحد والتفسير الأول أولى لأن
قوله فصول حنف بدل من حنين وما عطف عليه بدل مجمل من مفصل وبعضهم جعله
خبر مبتدأ محذوف أى هى فصول الخ ومعنى قوله فصول حنف لهم أزمنة موت
للكفار وقوله أدهى من الوخم أى أشد داهية عليهم لما يصيبهم فيه من الوخم الذى
هو الوباء فإن ما يموت منهم فى زمن الوباء مع تطاوله لا يبلغ كثرة من يموت منهم

خير مبتدأ محذوف أى هى فصول ويجوز نصبها على البدلية من الأمكنة الثلاثة لأن المراد بها زمن القتال فيها حنف بفتح الحاء
المهملة وسكون اللام التحتية مضاف إليه لهم متعلق بحنف أدهى اسم تفضيل نعت حنف من الوخم بفتح الواو والحاء المعجمة
متعلق بأدهى . [ومعنى البيتين] هم الأبطال الراسخون فى القتال فاسأل عنهم من صادمهم فى الحرب ما الذى رآه منهم فى كل
موضع من مواضع الاصطدام واسأل عنهم وقعة حنين وقعة بدر وقعة أحد تخبرك أنها كانت عليهم فصول وباء وهلاك .

المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت من العدا كل مسود من اللهم
والكاتبين بشر الخط ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منبجهم

المصدرى جمع مصدر من قولهم صدر عن (٧٨) الماء أى رجع عنه وأصدر غيره فهو مصدر والبيض جمع أبيض

في زمن مقاتلة المؤمنين لهم مع قصره كالساعة الواحدة وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان وهو اسم لواد بين مكة والطائف وفيه التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مع المشركين فانهزم الكفار وتسل منهم كثير وسيت أموالهم ونساؤهم وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين إليها في يوم الجمعة سنة ثنتين وبدر اسم ماء على طريق مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا وعنده كانت هذه الغزوة وقتل فيها من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون وكان عددهم نحو ألف والمسلمون نحو ثلثمائة وروى أنه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمام بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم ولم تقاتل الملائكة في سوى يوم بدر وإنما يكونون عددا ومدا وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث وهو اسم لجبل بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيها من المسلمين سبعون منهم حمزة وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا وكان المسلمون سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف والحرب سجال واحدة لنا وواحدة علينا (قوله المصدرى البيض الخ) أى أمدح المصدرى البيض الخ فهو مفعول لفعل محذوف وأصله المصدرين لكن حذف نونه للإضافة إن جعلنا المصدرى مضافا للبيض أو للتخفيف إن جعلناه غير مضاف والمصدرين جمع مصدر بضم الميم من أصدر عن الماء رجع ويقال أصدره غيره أى أرحمه والمراد من البيض السيوف المصقولة فشبه السيوف المذكورة بابل بيض أوردت ينبوعا أسود يحرق بماء أحمر ثم أصدرت عنه حمراء من تلبيسها بالماء الذى وردته تشبها مصمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإصدار ففيه استعارة بالكناية وتخيل وقوله حمرا أى من السماء التى خالطها وهو حال من البيض وقوله بعد ما وردت أى بعد ورودها فما مصدرية وقوله من العدا حال من قوله كل مسود الواقع مفعولا لقوله وردت وقوله من الميم أى الشعر المجاوز شحمة الأذن فالهم بكسر اللام جمع لمة وهى الشعر المذكور ومن زائدة لأن المعنى على الإضافة والتقدير كل مسود اللهم فافصل المعنى أمدح الصحابة الذين أصدروا أى أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من السماء بعد ورودها كل شخص مسود اللهم حال كونه من العدا وفى ذلك دليل على شجاعة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حيث لا يرضون لا يقتل سود اللهم من العدا وهم الشبان في الغالب (قوله والكاتبين بسمر الخط) عطف على قوله المصدرى البيض وأراد من الكاتبين الطاعنين فيكون قد شبه

والمراد السيوف المصقولة وحمراء جمع أحمر والورود الاثنيان والعدا اسم جمع عدو ومسود اسم مفعول من أسود بتشديد الدال والهم جمع لمة وهى الشعر إذا جاوز شحمة الأذن فإذا بلغ المنكبين فهو حمة والسمر الرماح والخط شجر يؤخذ منه خشب الرماح واسم موضع باليمامة وهو خط هجر تجلب اليه الرماح من الهند فتقوم به واليه تنسب الرماح الخطية والأفلام جمع قلم والمراد أسنة الرماح والحرف والطرف والمنعجم من أعجمت الكتاب نقطته وحقيقة اللفظ أزلت عنه العجمة.

[الاعراب] المصدرى بضم الميم وسكون الصاد وكسر الدال المهملتين بالجر نعت الأبطال في البيت السادس قبله وحذفت النون للإضافة البيض مضاف إليها حمرا بضم الحاء حال من البيض بعد ظرف زمان منصوب بالمصدرى ما مصدرية وردت صلتها من العدا بكسر العين وضمها متعلق بوردت كل مفعول وردت مسود بضم الميم وسكون السين وفتح الواو وتشديد الدال مضاف إليه من اللهم بكسر اللام وفتح الميم الأولى نعت مسود والكاتبين معطوف على المصدرى بسمر بضم السين المهمة وسكون الميم متعلق بالكاتبين الخط بالحاء المعجمة والطاء المهمة مضاف إليه مانافية تركت

أقلامهم فعل وفاعل حرف بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين مفعول به جسم بكسر الجيم مضاف إليه الطعن غير بالصب نعت حرف منعجم بضم الميم وسكون النون وفتح العين المهمة وكسر الجيم مضاف إليه . [ومعنى البيتين] الراجعين أسبغهم المصقولة حمرا من دم القتلى بعد ما وردت كل شعر أسود وطعنت الرماح الخطية كل جسم فلم تترك طرفا منه بلا أثر طعنة وفى البيت الأول الجمع بين الصدور والورود وهو نوع من المطابقة والجمع بين البياض والحمرة والسواد وهو مراعاة النظير .

شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ سِيَمًا تَمَيِّزُهُمْ
وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيَمَا مِنَ السَّلَمِ
تَهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ تَشْرَهُمْ
فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي الْأَشْكَامِ كُلِّ كَمِي
شَاكِي مِنَ الشُّوْكَ وَهِيَ الْحِدَّةُ وَالشَّدَّةُ
يَقَالُ رَجُلٌ شَاكِي السَّلَاحِ أَيْ حَادَهُ
وَالسَّلَاحُ آلَةُ الْحَرْبِ وَالسِّيَمَا الْعَلَامَةُ
تَمَيِّزُهُمْ أَيْ تَعَيِّنُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ وَالسَّلَمُ شَجَرٌ
لَهُ شَوْكٌ يَشْبَهُ شَجَرَ الْوَرْدِ وَيَمْتَازُ الْوَرْدُ
عَنْهُ بِحَسَنِ الْحَلْقَةِ وَبِهَاءِ الْمَنْظَرِ وَطِيبِ
الرَّائِحَةِ وَيَمْتَازُ فِي النَّوْرِ فَإِنَّ شَجَرَةَ الْوَرْدِ
نُورُهُ أَحْمَرٌ غَالِبًا وَالسَّلَمُ نُورُهُ أَمْرَقُ
وَالْهَدْيَةُ اسْمُ مَا يَهْدِي بِهِ وَالرِّيَّاحُ جَمْعُ
رِيحٍ وَالنَّصْرُ التَّأْيِيدُ وَقَهْرُ الْأَعْدَاءِ
وَالنَّشْرُ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ وَتَحْسِبُ تَظُنُّ
وَالْأَشْكَامُ جَمْعُ كَمْ بِكَسْرِ الْكَافِ وَهُوَ
الْعَلَافُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الزَّهْرِ وَإِنَّمَا
خَصَّ الزَّهْرَ فِي أَكْثَرِهِ لِكَوْنِهِ أَكْثَرُ
رَائِحَةً وَأَحْسَنَ مَظَارًا وَالسَّكِي الرَّجُلُ
الشَّجَاعُ الَّذِي يَكْمِي جَسَدَهُ بِالسَّلَاحِ
أَيْ يَسْتُرُهُ .

[الاعراب] شَاكِي مَنْصُوبٌ عَلَى
الْحَالِ مِنَ الْأَبْطَالِ لِأَنَّهُ صِفَةٌ مُضَافَةٌ إِلَى
مَعْمُولِهَا وَأَضَافَتُهَا لِانْفِيسِدِ الْعَرِيفِ
وَالْأَصْلُ شَاكِيْنَ حَذَفَتْ النُّونُ لِلِإِضَافَةِ
السَّلَاحِ مُضَافٍ إِلَيْهِ لَهُمْ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ
وَالضَّمِيرُ لِلْأَبْطَالِ سِيَمًا بِكَسْرِ السَّيْنِ
الْمَهْمَلَةِ وَسَكُونِ الْيَاءِ الْمَثْنَاءِ التَّحْتِيَّةِ
وَالْقَصْرُ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ تَمَيِّزُهُمْ بِهَمِ النَّاءِ
الْفَوْقِيَّةِ وَكَسْرِ التَّحْتِيَّةِ الْمَشْدُودَةِ وَبِالزَّايِ
فَعْلٌ وَفَاعِلٌ نَمَتْ سِيَمًا وَالْوَرْدُ بَفَتْحِ الْوَاوِ
مُبْتَدَأٌ يَمْتَازُ بِالزَّايِ خَبَرُهُ بِالسِّيَمَا مُتَعَلِّقٌ
بِيَمْتَازَ مِنَ السَّلَمِ بَفَتْحِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ
وَاللَّامِ مُتَعَلِّقٌ بِيَمْتَازَ أَيْضًا تَهْدِي بِهِمْ
النَّاءُ الْفَوْقِيَّةُ وَسَكُونُ الْمَاءِ وَكَسْرُ الدَّالِ مُضَارِعٌ أَهْدَى إِلَيْكَ مُتَعَلِّقٌ بِتَهْدِي رِيَّاحُ بِالنَّاءِ التَّحْتِيَّةِ فَاعِلٌ تَهْدِي النَّصْرَ مُضَافٌ إِلَيْهِ

انْطَعَنَ بِالسَّكَاةِ بِجَمَاعِ التَّأْيِيدِ فِي كُلِّ وَاسْتِعَارِ السَّكَاةِ لِلطَّعْنِ وَاسْتَقَى مِنَ السَّكَاةِ بَعْنَى
الطَّعْنِ السَّكَاةِيْنَ بَعْنَى الطَّاعِنِيْنَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ التَّبَعِيَّةِ وَالْمُرَادُ بِسَمَرِ
الْحَطِّ الرَّمَاحُ الْحَطِيَّةُ فَالسَّمَرُ جَمْعُ أَسْمَرٍ وَهُوَ الرَّمْحُ وَالْحَطُّ شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ تِلْكَ الرَّمَاحُ
وَقِيلَ مَوْضِعٌ بِالْبِيَّامَةِ تَجْلِبُ إِلَيْهِ تِلْكَ الرَّمَاحُ مِنَ الْهِنْدِ وَقَوْلُهُ مَا تَرَكْتَ أَقْلَامَهُمْ حَرْفٌ
جِسْمٌ غَيْرٌ مَنَعَجٍ أَيْ لَمْ تَتْرَكْ أَسْنَةً رَمَاحَهُمْ طَرَفُ جِسْمٍ مِنْ أَجْسَامِ الْكُفَّارِ غَيْرُ مَزَالٍ
عَجَمَتُهُ بَلْ أَزَالَتْ عَجَمَتُهُ أَيْ خَفَاءَهُ بِالطَّعْنِ بِأَنَّهُ طَعَنَتْهُ لِيَتَمَيَّزَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
فَإِنَّ الْأَمْرَ مُخْتَلِطٌ فِي الْحُرُوبِ فَيَتَمَيَّزُ الْكَاذِبُ بِطَاعِنِهِ وَالْمُؤْمِنُ بِسَلَامَتِهِ كَمَا يَتَمَيَّزُ الْحَرْفُ
النَّجْمُ بِنَقْطِهِ وَالْمَهْمَلُ بِحُلُوهِ عَنْ النَّقْطِ فَالْمُرَادُ بِأَقْلَامِهِمْ أَسْنَةُ رَمَاحِهِمْ فَيَكُونُ قَدْ شَبَّهَ
أَسْنَةَ رَمَاحِهِمْ بِالْأَقْلَامِ وَاسْتِعَارَ اسْمَ الْمَشْبِهِ بِهِ الْمَشْبُوهَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ
الْأَصَابِيَّةِ وَالْحَرْفُ بِمَعْنَى الطَّرَفِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ أَيْ
عَلَى طَرَفٍ وَجَانِبٍ مِنَ الدِّينِ وَفِي هَذَا الْبَيْتِ لَطَائِفٌ مِنْهَا تَشْبِيهُ الصَّحَابَةِ بِالسَّكَاةِ وَأَسْنَةُ
رَمَاحِهِمْ بِالْأَقْلَامِ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى غَايَةِ إِحْكَامِهِمْ لِلطَّعْنِ بِهَا حَتَّى إِنَّمَا فِي أَيْدِيهِمْ كَالْأَقْلَامِ
فِي يَدِ السَّكَاةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ كَبِيرُ مَشَقَّةٍ فِي التَّصَرُّفِ بِهَا وَمِنْهَا الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَطْعَنُونَ
طَعْنَةً إِلَّا فِي عَمَلِهَا كَمَا لَا تَنْقُطُ السَّكَاةُ نَقْطَةً إِلَّا فِي مَحَالِهَا وَمِنْهَا الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُمْ أَعْجَبُوا
حُرُوفَ أَجْسَامِ الْكُفَّارِ لِيَتَمَيَّزُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيُوجَدُ فِي بَعْضِ النُّسخِ بَيْتٌ وَهُوَ :

إِنْ قَامَ فِي جَمَاعِ الْهَيْجَاءِ خَاطِبُهُمْ تَصَاحَّتْ عَنْهُ أَذْنَا صَمَةِ الصَّمِ
أَيْ إِنْ قَامَ فِي مَجْتَمَعِ الْحَرْبِ خَاطِبُ الصَّحَابَةِ تَغَافَتَ عَنْهُ أَذْنَا صَمَةِ الصَّمِ أَيْ أَشَدَّهُمْ
شَجَاعَةً قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ مَرْزُوقٍ وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَثْبُتْ فِي رِوَايَتِي وَأَمَّا هُوَ فِي بَعْضِ النُّسخِ
وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّازِمِ وَلِذَلِكَ وَقَعَ الْاضْطِرَابُ فِي تَفْسِيرِهِ وَهَذَا شَأْنٌ كَثِيرٌ
مِمَّا أُدْخِلَ فِيهِ وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ وَصِدْقِ مَحَبَّتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَعَنَّا
بِرِكَاتِهِ (قَوْلُهُ شَاكِي السَّلَاحِ الْحِ) أَيْ حَادِيهِ كَمَا عَلَيْهِ الْجَوْهَرِيُّ وَبَعْضُهُمْ فُسِّرَهُ بِتَمَيِّهِ
أَيْ جَامِعِينَ لِأَنْوَاعِهِ وَالْمُنَاسِبُ لِأَخْذِهِ مِنَ الشُّوْكَ الَّتِي هِيَ الْحِدَّةُ الْأُولَى وَتَرْكِيبُ شَاكِي
السَّلَاحِ كَتَرْكِيبِ الْمَصْدَرِ الْبِضِّ فَأَصْلُهُ شَاكِيْنَ السَّلَاحِ لَكِنْ حَذَفَتْ مِنْهُ النُّونُ
لِلِإِضَافَةِ أَوَّلًا لِتَخْفِيفِ وَأَصْلُ شَاكِي شَاوُكٌ فَدَخَلَ الْقَلْبُ الْمَسْكُونُ فَصَارَ شَاكُوْثٌ ثُمَّ دَخَلَ
الْقَلْبُ الذَّائِي فَصَارَ شَاكِي وَقَوْلُهُ لَهُمْ سِيَمًا تَمَيِّزُهُمْ أَيْ لَهُمْ عَلَامَةٌ تَمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ قَالَ
تَعَالَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ قَالَ بَعْضُهُمْ يَكُونُ
مَوْضِعُ السُّجُودِ مِنْ وَجُوهِهِمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةُ الْبَدْرِ وَقَوْلُهُ وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيَمَا عَنِ السَّلَمِ
أَيْ وَالْوَرْدُ يَتَمَيَّزُ مِنَ السَّلَمِ بِالْعَلَامَةِ مِنْ طِيبِ الرَّائِحَةِ وَحَسَنِ الْحَلْقَةِ وَبِهَاءِ الْمَنْظَرِ فَإِنَّ
السَّلَمَ بَضْدُ ذَلِكَ فَالْوَرْدُ وَالسَّلَمُ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي أَنَّ كِلَا شَجَرٍ مُورِقٌ ذُو شَوْكٍ إِلَّا أَنَّ بَيْنَهُمَا
فَرْقًا ظَاهِرًا لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَغَيْرُهُمْ فَانْهَمَا وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي أَنَّ كِلَا
ذُو سِلَاحٍ إِلَّا أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا ظَاهِرًا لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ فَالصَّحَابَةُ يَمْتَازُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ
بَشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ وَطِيبِ الرَّائِحَةِ وَبِهَاءِ الْمَنْظَرِ وَحَسَنِ الْحَلْقَةِ فَانْ غَيْرُهُمْ بَضْدُ ذَلِكَ فَالْمَقْصُودُ
مِنْ قَوْلِهِ وَالْوَرْدُ الْحِ تَوْضِيحُ لِفَرْقِ (قَوْلُهُ تَهْدِي إِلَيْكَ الْحِ) أَيْ تَرْسُلُ إِلَيْكَ الرِّيَّاحُ الَّتِي

النَّاءُ الْفَوْقِيَّةُ وَسَكُونُ الْمَاءِ وَكَسْرُ الدَّالِ مُضَارِعٌ أَهْدَى إِلَيْكَ مُتَعَلِّقٌ بِتَهْدِي رِيَّاحُ بِالنَّاءِ التَّحْتِيَّةِ فَاعِلٌ تَهْدِي النَّصْرَ مُضَافٌ إِلَيْهِ

نشرهم بفتح البون وسكون الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وضم الهاء واليم مفعول تهدي فتحسب فصل مضارع يتعدى الى اثنين الزهر بالزاي مفعوله الأول في الأكام بفتح الهمزة حال من الزهر أو نعت له لأنه معرف بأل الجنسية كل مفعول ثان لتحسب كى بفتح الكاف وكسر اليم مضاف اليه (٨٠) وهو من باب القلب والأصل فتحسب كل كى الزهر في الأكام

[ومعنى اليتيم] الأبطال في حال كونهم شاكين السلاح لم بذلك علامة تميزهم من غيرهم كما يمتاز الورد من السلم بعلامة وهى طيب الرائحة وبهاء النظر وحسن الخلق تهدي اليك رياح النصر خبرهم الطيب فتظن أنت كل كى منهم في استناره بسلاحه كأنه الزهر في استناره بكامه لأنه في كمامه أحسن منظرا وأطيب رائحة منه خارج كمامه وفي قوله الأكام وكى الجنس الشبيه بالمشقى :

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْحَيْلِ نَبَتْ رُبًا
مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَأَمِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ
طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا
فَمَا تَفَرَّقُ بَيْنَ الْبَنِي وَالْبَنِي

الحيل اسم جمع واحده في المعنى فرس وربا جمع ربوة بضم الراء وفتحها وكسرهما المرتفع من الأرض الحزم بالسكون ضبط الأمر وقوة الثبات والحزم بضمين جمع حزام مثل كتب وكتاب وهو ما يشد به السرج أو غيره على ظهر الدابة وطارت أى اضطربت وبأسهم شدتهم في الحرب وفرقا أى خوفا والبهيم بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهيمة وهى السخلة والبهيم بضم الباء وفتح الهاء جمع بهيمة بضم الباء وسكون الهاء وهو الشجاع الذى لا يدري من أين يؤتى في الحرب لشدة بأسه .

حصل بها النصر خبرهم السار على وجه الهدية فتهدى بمعنى ترسل وهو بضم التاء من أهدي والمراد بريح النصر الرياح التى حصل بها النصر بالإضافة لأذى ملابسته ويحتمل أن المراد بها بركات النصر وغمراته وقد يراد بالرياح الدولات كما في قول الشاعر :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فغني كل عاصفة سكون

والمراد بالنصر الخبر السار وإن كان في الأصل الرائحة الطيبة وقوله فتحسب الزهر في الأكام كل كى كان حق الكلام أن يقول فتحسب كل كى الزهر في الأكام لكن المصنف قد جعله من التشبيه المقلوب على حد قوله :

ومعه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

والزهر نور الشجر كما مر والأكام جمع كم وهو غلاف النور والكى الشجاع في سلاحه من كى جسده بالسلاح إذا استره به وأصله كى بتشديد الياء حنفت منه الياء الساكنة وسكنت المتحركة للوقف . وحاصل المعنى أنه لما فتحت الأزهار في رياض ملة الإسلام بريح نصرهم كان كلما تهب هذه الرياح من تلك الأزهار وتنتشر الى الشام روائح نشرهم فتظن كل بطل في الدروع الفاصرة زهرا في الأكام الفاخرة وإنما قيد بكونه في الأكام لأنه في أكمامه أحسن منظرا وأطيب رائحة منه في خارج الأكام (قوله كأنهم في ظهور الحيل الخ) أى كأن الصحابة حالة كونهم على ظهور الحيل نبت ربا في الاستقرار والثبوت حتى إنهم لو تحركوا عليها لم ينقلعوا من ظهور الحيل وإنما يتحركون للطعن والاتقاء مع ثبوت أصلهم كما يتحرك نبت الربا إذا حركته الرياح فالضمير للصحابة وفي ظهور الحيل حال وفي معنى على كما في قوله تعالى حكاية عن فرعون ولأصلبكنم في جذوع النخل والربا جمع ربوة بثلاث الراء وهى ما ارتفع من الأرض ونبتها يكون أثبت من غيره لطول عروقه حتى يصل إلى الماء ويكون أحسن من غيره لأنه لا يستقر عليه الماء فيأخذ حظه من الشمس والرياح فتجده أخضر يعجب حسنه الناظرين أما غيره فقد يستقر عليه الماء فيقتله أو يضعفه فيصفر لونه وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم كالخبة في حميل السيل وإنما يشبههم بالشجر لأن الكفار تشبهه في عدم التحرك فانهم لا يتحركون للطعن والاتقاء وأما النبت فالرياح تميله يمينا وشمالا وقوله من شدة الحزم بكسر الشين المعجمة وفتح الهاء المهملة وسكون الزاي أى وذلك أعنى استقرارهم وثبوتهم في ظهور الحيل من قوة جودة رأيهم وتديبرهم وقوله لامن شدة الحزم بفتح الشين المعجمة وضم الهاء والزاي أى لامن ربط الحزم التى يربط بها السرج أو غيره على ظهر الدابة وظاهر أن من في الموضعين بمعنى لامن التعليل (قوله طارت قلوب العدا الخ) أى اضطربت قلوب العدا الخ فشبها الاضطراب

بالطيران

[الاعراب] كأنهم كأن واسمها في ظهور حال من اسم كأن الحيل بفتح الحاء

المعجمة مضاف اليه نبت بفتح النون وسكون الواو خبر كأن ربا بضم الراء المهملة وفتح الواو والقصر مضاف اليه من شدة بكسر الشين المعجمة متعلق بكأن لما فيها من معنى التشبيه الحزم بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي مضاف اليه لامن شدة بفتح الشين المعجمة للمرة من الشد معطوف على الجار والجرور قبله الحزم بضم الحاء المهملة والزاي مضاف اليها طارت قلوب فاعل

جملة مستأثة العدا بكسر العين للهمة والقصر مضاف اليه من بأسهم متعلق بطارت فرقا بفتح الفاء والراء والقياف مفعول لأجله
فما حرف نفي تفرق بضم التاء الفوقية وفتح الفاء وكسر الراء للشدة فعل مضارع وقاعله مستتر فيه يعود إلى قلوب العدا بين
ظرف مكان منصوب بفتح الهم بفتح اللوحدة وسكون الهاء مضاف اليه والهم بضم اللوحدة وفتح الهاء معطوفة على الهم .
[ومعنى البيتين] كأنهم في ثباتهم على ظهور الخيل مثل ثبات (٨١) نبت الربا ونبتها أثبت في الأرض من نبت

غيرها لطول عروقه حتى تصل إلى الماء
بخلاف نبت غيرها وثباتهم على ظهور
الخيل من شدة حزمها لا من شد الحزم
على السرج واضطربت قلوب الأعدا
من ثباتهم في الحرب خوفا منهم حتى
صارت من الخوف لا تفرق من دهشتها
بين سخال النسم وشجان الفرسان
وفي البيت الأول من البديع الجناس
المحرف بين قوله شدة وشدة الأولى
بالكسر وهي القوة والثانية بالفتح
وهي المرة من الشد وهو الربط وبين
قوله الحزم والحزم وفي البيت الثاني
الجناس المحرف أيضا في قوله بهم وبهم
والجناس الشبيه بالمشتق في قوله فرقا
وتفرق ثم أخذيين السبب الموصل إلى
ذلك فقال :

وَمَنْ تَسْكُنُ رَسُولُ اللَّهِ نُصْرَتُهُ
إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجِمُ
وَأَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّ غَيْرِ مُنْقَصِرٍ
بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ
النصرة التأييد والأسد جمع أسد وهو
الحيوان المفترس والآجام جمع أجمة وهي
الغابة وتجم مضارع وجم إذا أنسك
عن الكلام وغيره لخوف أو هيبة
أو غيرها وترى تبصر ومن ولي أي
صديق والمتنصر المنتقم والمنقصم بالقياف
التكسر المقطوع وبالفاء بلاقطع
والرواية بالقياف .

بالطيران واستعار اسم للشبه به للشبه واشتق من الطيران بعد استعارته للاضطراب
طارت بمعنى اضطربت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقوله من بأسهم أي
من شدتهم وقوتهم في الحرب ومن في ذلك بمعنى لام التظليل وقوله فرقا بفتحات أي
فرقا وهو مفعول لأجله أي لأجل الفرق والفرع الذي حل بهم وقوله فما تفرق بين
الهم والهم أي فبسبب ذلك حصل لهم دهش حتى صارت قلوبهم لا تفرق بين الهم
بفتح الباء اللوحدة وسكون الهاء جمع بهمة وهي السخلة فالهم هي السخال وهي
أولاد الضأن وبين الهم بضم الباء اللوحدة وفتح الهاء جمع بهمة بضم الباء وسكون
الهاء وهو الشجاع فالهم هم الشجان ولا يخفى أن تفرق في كلامه بضم التاء وتشديد
الراء من فرق بالتشديد لا من فرق بالتخفيف (قوله ومن تكن برسول الله الخ)
لما ذكر أنه حصل للعدا الفرع الشديد من بأس الصحابة أشار إلى أن ذلك إنما هو
بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ومن تكن برسول الله الخ أي ومن تكن
نصرته برسول الله كالصحابة ومن هذا حدوهم الخ ولا تكون النصرة برسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا باتباع سنته وترك ما كان على خلاف شريعته وذلك هو تقوى
الله والحامل عليها خوف الله ومن خاف الله خاف منه كل شيء حتى الأسد في آجامها
فمن حصلت له هذه المرتبة طارت قلوب العدا من بأسه وسلم من أعدائه وقوله
إن تلقه الأسد في آجامها تجم أي إن تلقى الأسد التي هي جمع أسد وهو الحيوان
المعروف من تكون نصرته برسول الله صلى الله عليه وسلم حالة كونها في آجامها
التي هي جمع أجمة وهي الغابات أي المحلات التي تستتر فيها كالأشجار الملتفة تجم
بكسر الجيم بمعنى تسكت من هيئته فلا يسمع لها صوت خوفا من أن يكون صوتها
دالا عليها فيأتيها المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض عليها وإنما قيد الأسد
بكونها في آجامها لأنها فيها أجزأ منها في غيرها فإنه لا يقدر أحد على أن يدخل عليها
فيها ولو اتزعت منه أعز ما يكون عليه لكن إن بقيت المنتصر برسول الله صلى الله
عليه وسلم انعكس الحال هذا ويحتمل أن المراد بالأسد الشجان والآجام الحصون
ويناسب حمل الأسد على حقيقتها قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
الأسد وهي أنه خرج عليه سبع بالصحراء فقال أقسمت عليك برسول الله أن تسكن
فسكن ، وهذا البيت واللذان بعده [خاصيتهما] أن من كان خائفا في بحر أو بر وكتبها
يريقه في كفه وأراها تلسباع فإنها تذهب عنه بإذن الله تعالى (قوله ولن ترى من ولي الخ)
ترى بصرة على ما يقتضيه كلام بعض الشارحين ويحتمل أنها عليية ومن زائدة

(١١ - باجورى - برده)

[الأعراب] ومن بفتح الهم اسم شرط مبتدأ تكن بالفوقية والتحتية
فعل الشرط خبر من فهي عاملة في لفظه الجزم وفي محل الجملة الرفع برسول الله خبر تسكن مقدم على اسمها إن قرئ تسكن بالفوقية
نصرته اسم تسكن مؤخر وإن قرئ يكن بالتحتية فاسمها مستتر فيه يعود إلى من الشرطية ونصرته مبتدأ خبره في المجرور قبله والجملة
خبر يكن إن بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط تلقه فعل الشرط وعلامة جزمه حذف الألف والهاء يعود إلى من الشرطية

الأسد بضم الهزة وسكون السين فاعل تلقه في آجامها بمد الهزة وبالجميم حال من الأسد نجم بفتح التاء الفوقية وكسر الجيم جواب إن وإن وجوابها جواب من ولن حرف نفي ترى منصوب بلمن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف وفاعله ضمير المخاطب من ولي مفعول ترى ومن زائدة في المفعول به غير بالجر نعت ولي على لفظه والنصب على محله إن كانت ترى بصرية وإن كانت علمية فهي للمفعول الثاني منتصر بكسر الصاد مضاف إليه به متعلق بمنتصر والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ولا حرف نفي من عدو معطوف على من ولي غير نعت عدو (٨٢) وفيها ما تقدم منقسم بضم الميم وفتح القاف وكسر الصاد مضاف إليه .

[ومعنى البيتين] ومن تكن نصرته وتأيدته بإعانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو المنتصر والمؤيد ولولفته السباع في غاباتها التي هي أشد فيها بالوثوب من غيرها سكنت وخضعت له فلذلك لا تبصر ولها وصديقا مسلما إلا وهو به منصور ولا تبصر عدوا كافرا إلا وهو به منقسم مقهور ولا يخفى ما فيه من الموازنة والتكرير :

أَحْلُ أُمَّتِهِ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَاللَّيْلِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمِ
أحل أزل أمته أي أمة الإجابة في حصن حصين والملة الدين الذي أملى من السماء وهو دين الإسلام والليث الأسد والأشبال جمع شبل وهو ولد الأسد وأجم بفتح تين جمع أجمة وهي الغابة . [الاعراب] أحل بفتح الهزة والحاء المهملة فصل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته مفعول أحل في حرز متعلق بأحل ملته مضاف إليها كالليث في موضع الحال من فاعل أحل المستتر فيه حل فعل ماض وفاعله ضمير الليث المستتر فيه والجملة حال من الليث مع بفتح السين وكسرها متعلق بحل الأشبال بفتح الهزة مضاف إليها في أجم بفتح الهزة والجميم حال من الأشبال كثيرا

في المفعول والمراد بالولي من آمن به صلى الله عليه وسلم وكان على هديه وطريقته والعدو ضده وقوله به أي برسول الله فإن قيل ما الفائدة قوله ولان عدو الخ بعد قوله ولن ترى من ولي الخ مع أنه إذا أخبر بأن الولي منتصر علم منه أن العدو منقسم لأن من المعلوم أن أحد المتقابلين إذا انتصر كان مقابله بضد ذلك ، وبضدها تتميز الأشياء . أجب بأننا لا نسلم أنه إذا أخبر بأن الولي منتصر علم منه أن العدو منقسم وإنما يعلم منه أنه غير منتصر وذلك أعم من كونه منقسما لجواز أن يهزم مع سلامته والأعم لا إشعار له بالأخص وعلى تسليم علم ذلك منه فيعلمه منه بالضرورة والمناسب لتمام المدح التصريح والمنقسم بالقاف وفي بعض النسخ بالفاء والأول أولى لأن القسم بالفاء القطع من غير إهانة والقسم بالقاف القطع مع الإهانة كما تقدم (قوله أحل أمته الخ) هذا البيت كالتلليل للبيت قبله فكأنه قال لأنه أحل أمته الخ وقوله في حرز ملته أي في ملته الشبيهة بالحرس بالإضافة في ذلك من إضافة للشبه به لمشبه كما في قول الشاعر :

والريح تبعث بالفصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وإنما كانت ملته صلى الله عليه وسلم شبيهة بالحرس لأنها تحفظ من اتبعها من نار الكفر فهي كأعظم الحصون النيرة التي لا يدخلها إلا من هو من أهلها وقوله كالليث حل مع الأشبال في أجم أي فأنبي صلى الله عليه وسلم حل مع أمته في ملته كالليث حل مع أشباله في الأجم فكأنه لا يستطيع أحد الدخول على الليث مع أشباله في الأجم لا يستطيع أحد الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمته في ملته والليث هو الأسد والأشبال هي أولاده والأجم جمع أجمة وهي الغابة أي الشجر الملتف لا يقال ما أفاده قوله كالليث الخ من أن الليث في هذه الحالة يخاف منه غيره بخلافه ما أفاده قوله سابقا إن تلقه الأسد في آجامها نجم لأننا نقول الأسد إنما نجم في آجامها من المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم كما استفيد مما تقدم وهذا لا ينافي أن غيره يخاف منها كما استفيد مما هنا (قوله كم جدت كلمات الله الخ) لما كانت النصرة نارة تكون بالسيف ونارة تكون بالحجج وقد تقدم الكلام على الحالة الأولى أخذ بتسليم على الحالة الثانية فقال كم جدت كلمات الله الخ وكما خبرية في الوضعين بمعنى

[ومعنى البيت] أزل النبي صلى الله عليه وسلم أمته في حرز دينه الحصين من نار الكفر كما ينزل الليث مع أولاده في الغابة للتحصين من عدو يطرقهم والتشبيه بالأسد في السلطنة وكال الشجاعة ورفعة الهمة وشدة البطش لمن يتمرّد عليه وعدا التعرض لمن يتذلل له والشفقة على أتباعه وشبه الأمة بالأشبال لأنه صلى الله عليه وسلم أصلهم في الإسلام وأزواجه أمهاتهم وسبب حياتهم الحقيقية ومنه نشوؤهم :

كَمْ جَدَلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصِمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمٍ

الجدالة وجه الأرض وجدته أوقه على الجدالة وكللت الله القرآن والجدل بكسر الدال الهملة كثير الجدال أي الخصومة وخضم
بفتح الحاء والصاد غلب في الخصام والبرهان الدليل القاطع والخضم بكسر الصاد الألف الشديد الخصام . [الإعراب] كم خبرية
موضعا نصب على المصدرية أو الظرفية جدلت بفتح الجيم والدال الهملة المشددة فعل ماض وتاء التأنيث كلات الله فاعل جدلت
ومضاف إليه من جدل بفتح الجيم وكسر الدال الهملة مفعول جدلت (٨٣) ومن زائدة فيه متعلق بجدل لأنه صفة

مشبهة والهاء للنبي صلى الله عليه وسلم
وكم خبرية معطوفة على كم المتقدمة خصم
بفتح الحاء المعجمة والصاد الهملة المخففة
فعل ماض البرهان بضم الموحدة فاعله
من خصم بفتح الحاء المعجمة وكسر
الصاد الهملة مفعول خصم ومن زائدة
وتمييز كم في الموضعين محذوف .

[ومعنى البيت] كم مرة رمت إلى
الأرض في الجدالة آيات الله تعالى التي
أتى بها من عند الله تعالى شخصا كثيرا
الجدال وكم مرة غلب الدليل القاطع
شخصا كثير الخصام وفيه الجناس
الشبيه بالمشتق .

كفأك بالعلم في الأمي معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتيم
الأمي منسوب إلى الأم كأنه باق على
أصل الخلقة وهو في العرف من
لا يعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط
ولم يتعلم بطريق العادة من معلم
والجاهلية عبارة عن زمان لا علم فيه
والتأديب مصدر أدبه والأدب ما يحصل
للنفس من الأخلاق الحسنة وما يحصل
من العلوم المكتسبة واليتيم مصدر يتم
فهو يتم إذا مات أبوه وهو صغير .

[الإعراب] كفأك فعل ماض
ومفعول بالعلم فاعل كفأك والباء زائدة
في الأمي حال من العلم معجزة تمييز
في الجاهلية متعلق بمحذوف حال من

كثيرا والمجرور تمييز لها وجدلت بتشديد الدال ويجوز تخفيفها أي قطعت وأزالت
جداله وكللت الله هي القرآن والجدل بكسر الدال اسم فاعل من جدل جدلا أي
أحكم الخصومة إحكاما وقوله فيه أي في أمره صلى الله عليه وسلم وقوله وكم خصم
البرهان من خصم أي وكثيرا خصم البرهان الذي هو الدليل القاطع من خصم بكسر
الصاد وهو شديد الخصومة وفيه الخذف من الأواخر لدلالة الأوائل والتقدير من
خصم فيه أي في أمره صلى الله عليه وسلم . وحاصل معنى البيت كثيرا ما أزال
القرآن جدال المجادل في أمره صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما أزال الدليل القاطع
خصومة شديد الخصومة في أمره صلى الله عليه وسلم والأول إشارة إلى ما وقع
في القرآن من جواب للماتدين السائلين له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما نقل من
أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين
فإن أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبي وإن أجاب عن البعض وسكت
عن البعض فهو نبي فنزلت قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ونزل قل الروح
من أمر ربى فأحال علمها إلى ربه والثاني إشارة إلى ما وقع منه صلى الله عليه وسلم
من الآيات حين سأله آية على رسالته كأنشأ في القمر وغيره ولا يخفى أن عطف
الثاني على الأول من عطف العام على الخاص [وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما]
أن من كتبهما في ورقة بيضاء لصغير وجعلها في قسبة وربطها في خيط حرير وعلقها
عليه فإنه لا يصيبه شيطان ولا مرض ولا غير ذلك (قوله كفأك بالعلم الخ) لما ذكر
أنه كثيرا ما خضع البرهان من خضع عتب ذلك بذكر برهانيين حيث قال كفأك بالعلم
الخ أي كفأك العلم فالباء زائدة في الفاعل لأن زيادتها في فاعل كفي كثيرة وقوله
في الأمي أي في النبي الأمي وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة للأم كأنه على الهيئة التي
نزل عليها من أمه وهذا وصف مدح بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لأنه دليل على أن
القرآن من عند الله وأما بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم فهو وصف ذم والجار
والمجرور حال من العلم أو صفة له وقوله معجزة أي من جهة المعجزة فهو تمييز للنسبة
في كفي وقوله في الجاهلية أي الزمن الذي لا علم فيه والجار والمجرور تمثّل الجار
والمجرور قبله وإنما قيد بقوله في الأمي وقوله في الجاهلية لأن كلا من كونه أميا وكونه
في الجاهلية مظنة لعدم العلم لأنه لا يصحكون إلا بمطالعة الكتب العلمية وهو لا يقرأ
ولا يكتب أو بملافة العلماء وهو متنفذ في الجاهلية فتعين أن علمه صلى الله عليه وسلم
ليس بالاعتليم من الله تعالى وقوله والتأديب في اليتيم أي وكفأك بالتأديب في اليتيم معجزة

العلم والتأديب بالجر عطفا على لفظ العلم وبالرفع عطفا على محله والأول هو الرواية في اليتيم بضم التاء الفوقية على لغة لاتبعها للتحتية
حال من التأديب . [ومعنى البيت] كفأك أيها المخاطب بالعلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معجزة له مع كونه أميا لا يقرأ
ولا يكتب ومولودا جاء في زمن الجاهلية الذين لا علم عندهم يكتسبه منهم وكفأك بالتأديب الحاصل منه معجزة لكونه من غير
مؤدّب مع أنه ربى يتيما لأب له يؤدّبه .

خَدَمْتُهُ بِعَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ مُعْرِضٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْحَدَمِ
إِذْ قَلْدَانِي مَا تَخْشَى عَوَاقِبُهُ كَأَنِّي بِهَا هَدَى مِنَ النِّعَمِ

خدمته أي مدحته والهاء للشيء صلى الله عليه وسلم والمدح عدّ الفضائل وبيانها والمدح اسم لما يمدح به من الثناء الحسن وأستقيل أطلب الإقالة والذنوب جمع ذنب وهي الجرائم وعمر الإنسان مدة حياته ومضى أي ذهب وقارب الفراغ والشعر الكلام اللوزون من أي بحر كان والخدم جمع خدمة وهي (٨٤)

في عنقه والحشية الخوف والعواقب جمع عاقبة وهي ما يتوَلَّى إليه الأمر آخرها وعاقبة كل شيء آخره والهدى ما يهدي إلى الحرم من النعم وهي الإبل غالباً . [الإعراب] خدمته بضم التاء فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به مدح متعلق بخدمته أستقيل بفتح الهمزة وكسر القاف فعل مضارع وفاعله ضمير المتكلم مستتر فيه وجوابه متعلق بأستقيل والضمير للمدح ذنوب بضم الدال المعجمة مفعول أستقيل محمّل بضم الهمزة وسكون الميم مضاف إليه مضى بفتح الضاد المعجمة فعل ماضٍ وفاعله مستتر فيه يعود إلى عمر والجملة نعت له في الشعر بكسر الشين المعجمة وسكون العين الهملة متعلق بمضى والخدم بكسر الحاء المعجمة وفتح الدال الهملة معطوف على الشعر إذ بسكون الدال المعجمة تعليل أستقيل قلداني بفتح القاف واللام والدال وحكسر النون وفتح الياء فعل وفاعل ومفعول أول وضمير التثنية وهو الألف يعود إلى الشعر والخدم مانكرة موصوفة في موضع المفعول الثاني أي أمراً تخشى بضم التاء القوية وسكون الحاء وفتح الشين المعجمتين

فهل مضارع مبني للمفعول عواقبه نائب الفاعل والجملة نعت ماوراءها الهاء من عواقبه كأنني حرف تشبيه وياء التثنية اسمها بكسر الواو الواحدة حال من اسم كان هدى بفتح الهاء وسكون الدال خبر كأن من النعم بفتحين نعت هدى . [ومعنى البيتين] مدحت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدح أطلب من الله تعالى أن يقبلني به من أوزار عمر انقضى غالبه في إنشاد الشعر والخدم لأبناء الدنيا من الملوك وأصحاب الدولة فإن الشعر والخدم كلّفاني ارتكاب أمور من السكاره تخشى عواقبها كأنها قلادة في عنق وكأني في التقليد كأنهم القلدة للهدى إلى الحرم وفي البيت الأول ردّ العجز على الصدر في قوله خدمته والخدم وفي التشبيه بالهدى دقيقة وهي أنه خشي على نفسه الهلاك المتوقع للإبل القلدة .

حكائي

فهل مضارع مبني للمفعول عواقبه نائب الفاعل والجملة نعت ماوراءها الهاء من عواقبه

كأنني حرف تشبيه وياء التثنية اسمها بكسر الواو الواحدة حال من اسم كان هدى بفتح الهاء وسكون الدال خبر كأن من النعم بفتحين نعت هدى . [ومعنى البيتين] مدحت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدح أطلب من الله تعالى أن يقبلني به من أوزار عمر انقضى غالبه في إنشاد الشعر والخدم لأبناء الدنيا من الملوك وأصحاب الدولة فإن الشعر والخدم كلّفاني ارتكاب أمور من السكاره تخشى عواقبها كأنها قلادة في عنق وكأني في التقليد كأنهم القلدة للهدى إلى الحرم وفي البيت الأول ردّ العجز على الصدر في قوله خدمته والخدم وفي التشبيه بالهدى دقيقة وهي أنه خشي على نفسه الهلاك المتوقع للإبل القلدة .

أَطَعْتُ غِيَّ الْمُبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلَتْ إِلَّا عَلَى الْإِثَامِ وَالنَّدَمِ
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمَ وَمَنْ يَبِيعُ آجِلًا مِنْهُ بِمَا جِله

أطعت امتثلت والتي الضلال والصبا حدائة السن والحالتين حالة (٨٥) الشعر وحالة الخدم والآثام الذنوب والندم

الحسرة والحسارة ضد الريح والتجارة
التقليب في المال اطلب الريح والسوم
العرض للشراء والآجل بعد الهمة ضد
العاجل ويبع يعطى ويبين يظهر والعين
النقص والسلم صنف من البيع .

[الاعراب] أطعت بضم التاء فعل
وفاعل غي بفتح الغين المصحة مفعول
به الصبا مضاف اليه في الحالتين متعلق
بأطعت وما حرف نفي حصلت فعمل
وفاعل الاحرف إيجاب على الآثام بفتح
الهمزة المدودة والمثلثة متعلق بحصلت
على الاستثناء الفرغ والنسب بفتح
النون والبدال المهمة معطوف على الآثام
فيحرف نداء خسارة نفس منادى على
طريق التعجب أى ما أخسر نفسا
في تجارتها متعلق بخسارة لم تشتت بالمشاة
فوق جازم ومجزوم نعت نفس الدين
بكسر الدال المهمة مفعول تشتت بالدنيا
متعلق بقتشت ولم تسم بضم السين
المهمة معطوف على لم تشتت ومن بفتح
الم اسم شرط مبتدأ بيع خبرها آجلا
بعد الهمزة مفعول بيع منه نعت آجلا
والضمير لمن بعاجله متعلق ببيع بين
بفتح الياء المثناة تحت وكسر الواحدة
جواب الشرط له متعلق بين الغين
بفتح المصحة وسكون الواحدة فاعل
بين في بيع متعلق بالغين وفي سلم بفتح
السين واللام معطوف على في بيع .

[ومعنى الأبيات الثلاثة] امتثلت

أمر ضلال الصبا في حالة اشتغالى بالشعر وفي حالة اشتغالى بخدم الناس لما حصل لي إلا الإثم والندامة لما أخسر نفسي في تجارتها
إذا لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تتعرض لأخذه بل أخذت الدنيا وتركك الدين الذى تنجوبه في الآخرة وما مثلها في الحسارة
إلا مثل من باع عينا حاضرة بشئ غائب فإنه قد يشتغل الوفاء بالثمن فيؤدى إلى الغبن سواء وقع العقد بلفظ البيع أم بلفظ السلم
فكيف من باع ما يضره عاجلا بما يضره أشد غنا ،

كانت بهما هدى من النعم أى كانت بسبب الشعر والخدم هدى من النعم التى هى
الإبل والبقر والنعم ومن شأن الهدى أن يقلد بحمل شئ في عنقه من نعل ونحوه ليعلم
أنه هدى . وحاصل المعنى أن الشعر والخدم جملا الآثام التى تخشى عواقبها من أنواع
المذاب قلادة في عنق فصرت بسببها أشبه الهدى من النعم فكما لا يخفى حال الهدى
على من رآه بما جعل في عنقه من نعل ونحوه كذلك لا يخفى حال على من رآه
وعرف حاله بما اكتسبته من الآثام التى تخشى عواقبها بسبب الشعر والخدم (قوله
أطعت غي الصبا الخ) بين بهذا البيت سبب كون الشعر والخدم قلدا الآثام التى
تخشى عواقبها وذلك السبب هو اطاعة غي الصبا والتي ضد الهدى وأضيف للصبا
لأنه يدعو إليه فإنه زمن الجهل والبطالة وقوله في الحالتين أى حالتي الشعر والخدم
وقوله وما حصلت إلا على الآثام والندم أى وما حصلت منهما إلا على الآثام التى صدرت
منى وعلى الندم على تلك الآثام (قوله فيا خسارة نفس الخ) هذا البيت تحقيق للندم
وتبكيت للنفس لأن فيه نداء عليها بالحسارة في تجارتها فكأنه قال يا خسارة نفس
موصوفة بما ذكر احضرى فهذا أوانك وهذا كناية عن استعظام خسارة هذه
النفس والتعجب منها فإن عادة العرب إذا استعظموا شئنا وتعجبوا منه نادوه ليحضر
وقوله في تجارتها متعلق بخسارتها وقوله لم تشتت الدين بالدنيا أى لم تأخذ الدين بدل
الدنيا بل عدلت عن العظيم الباقي الى الحسيس الفانى وقوله ولم تسم بفتح المثناة
الفوقية وضم السين المهمة أى ولم تتعرض لأخذ الدين بدل الدنيا بل أخذت الدنيا
وتركت الدين الذى تنجوبه في الآخرة وكأن الناظم عن نفسه فنادى عليها بالحسارة
حيث اتبعت الشعر والخدم لأبناء الدنيا ولومحجها التوفيق لتركك ذلك واشتغلت بالدين
لكن التوفيق بيد الله يعطيه من يشاء (قوله ومن يبيع آجلا منه الخ) هذا البيت
تتميم لتحقيق الندم وتبكيت النفس لأن فيه توعدا بالغبن حيث بين فيه أن من
يبع الآجل بالعاجل يظهر له الغبن والمراد بالآجل الثواب الذى يكون في الآخرة
الحققة الباقية وبالعاجل الذى يأخذه من الدنيا الداهية الفانية وهذا على ما في كثير من
النسخ مما نصه ومن يبيع آجلا منه بعاجله وفي بعضها ومن يبيع عاجلا منه بآجله وعليه
فالمراد بالعاجل الثواب الذى يكون في الآخرة الحققة الباقية وبالآجل الشئ الذى
يأخذ من الدنيا الفانية الداهية وعلى هذا المثل المشهور برة عاجلة خير من درة آجلة
ولما كان الثواب المذكور محققا ولا بد أطلق عليه عاجل لأنه كأنه حاصل بالفعل
ولما كان الشئ الذى يأخذه من الدنيا غير محقق أطلق عليه آجل والظاهر أن الضمير

إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمَنْتَقِصٍ مِنْ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمَنْتَصِرٍ
فَإِنْ لِي ذِمَّةٌ مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَدًّا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ

العهد الوثاق وبتقص العهد عدم الوفاء به (٨٦) والحبل الوصل والنصرم النقطع والذمة الأمان قاله أبو عبيدة

في منه راجع للدين في البيت قبله كذا قال بعض الشارحين والأظهر أنه راجع لمن يبيع كالضمير في عاجله وقوله بين له التبعين أي يظهر له الخداع وقوله في يبيع وفي سلم كل منهما متعلق بالتبعين والمطف في ذلك من قبيل عطف التفسير لأن البيع المذكور في كلام المصنف يسمى سلمًا فاندفع ما يقال الذي تقدم في كلام الناظم هو صورة السلم وأين صورة البيع غير بيع السلم وبعض الشارحين طرق احتمال أن يكون في كلام الناظم حذف والتقدير ومن يبيع آجالًا من متاع الآخرة بما جله من متاع الدنيا أو يشتري عاجلًا من متاع الدنيا بآجله من متاع الآخرة فقوله في يبيع راجع للصورة الأولى وقوله وفي سلم راجع للصورة الثانية وفيه تكلف (قوله إن آت ذنبًا إلخ) هذا البيت تأنيس للنفس وترج لها في رحمة الله تعالى وآت أصله آت بهزتين قلبت الثانية ألفًا فصارت بالمد وهو مجزوم بأن الشرطية وعلامة جزمه حذف الياء وقوله لما عهدي بمنتقص من النبي أي لما إيماني بمنقطع عن النبي لأن الذنب لا ينقص الإيمان فالمراد بالعهد الإيمان فتكون الإضافة في قوله عهدي للعهد والمعهود هو الإيمان وقوله ولا حبلِي بمنصرم أي ولا وصلي بمنقطع من النبي صلى الله عليه وسلم فالجمل مستعار للوصل وفي البيت الحذف من الثاني لدلالة الأول كافي نظرًا والتقدير ولا حبلِي بمنصرم من النبي (قوله فإن لي ذمة إلخ) هذا البيت تعاليل للبيت قبله ووجه ذلك أن اختياره التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم دليل على محبته فيه فإنه لا يسمى بالاسم إلا من أحب مسماه وأما من يكرهه فلا يسمى به وقوله وهو أوفى الخلق بالذم أي وهو صلى الله عليه وسلم أشدهم وقاءها فيقوم تحتها بأن يشفع لأهلها لعظم جاهه وعلو مكانته عند ربه وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم وقد جاء في ذلك أحاديث فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بسم استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة فيقول الله عز وجل عبادي ادخلا الجنة فأتيت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد أو محمد وعن جعفر بن محمد إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا يقيم من اسمه محمد فيدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ آخر ينادى يوم القيامة يا محمد فيرفع رأسه في الموقف فيقول الله عز وجل أشهدكم أنني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد وعن أبي أمامة من ولده مولود فسماه محمدًا تبركا كان هو ومولوده في الجنة رواه صاحب الفردوس وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما من مائدة وضعت فحضر عليها من

والتسمية جعل الاسم علما على الذات وأوفى اسم تفضيل من وفي بالعهد إذا رعى مقتضاه والذم جمع ذمة [الإعراب] إن بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط آت بعد الهمزة وكسر التاء الفوقية فعل الشرط وفاعله مستتر فيه وجوبا ذنبًا بفتح المجمة وسكون النون مفعول آت فما حرف نفي عهدي اسمها بمنتقص بالعاقبة والضاد المجمة خبرها من النبي متعلق بمنتقص ولا حرف نفي حبلِي بفتح الحاء للمهلة وسكون الواحدة اسمها بمنصرم بضم اليم وفتح الصاد وكسر الراء للمهلتين خبرها والباء زائدة في الموضعين وجملة لما عهدي إلخ جواب الشرط على إقامة السبب مقام السبب والأصل إن آت ذنبًا فإنني أرجو ستره وغفرانه لأن عهدي ثابت ولا يصح جعلها جوابا أصالة لفساد المعنى فإن مفهومه أنه إذا لم يأت ذنبًا فإنه ينقص عهده وليس كذلك لأن عهده ثابت على كل حال سواء أت ذنبًا أم لا فإن بكسر الهمزة وتشديد النون حرف توكيد لي خبرها مقدم ذمة بكسر الدال المجمة اسمها مؤخر منه نعت ذمة والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم بتسميته متعلق بذمة والباء للسببية وتسميته مصدر يتعدى لمفعولين وهو مضاف إلى مفعوله الأول وهو ياء التشكلم محمدا مفعوله الثاني

اسمه

وهو أوفى بفتح الهمزة وإفاء مبتدأ وخبر الخلق مضاف إليه بالذم

بكسر الدال المجمة وفتح اليم الأولى متعلق بأوفى : [ومعنى البيتين] إن عدت بعد توبتي وأتيت ذنبًا فإنني أرجو غفرانه فإن تقضى التوبة لا ينقص عهدي من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقطع سبب الوصلة به فإن لي أمانًا منه بسبب تسميته باسمه الشريف وارثا لثبته لا يقطع التسمية فإنه أكثر الناس وفاء بالعهد .

بِحَسْبِ جَعْنٍ فِي مَعَادِي آخِذًا يَبْدَى فَضْلاً وَإِلَّا فَقُلْ تَمَازَلَةُ الْقَدَمِ
حَاشَا أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ

المعاد المود إلى دار الجزاء والأخذ باليد الخلاص من الشدة والفضل التبرع وزلة القدم كناية عن الوقوع في الشدة وحلها أي
تنزيهه أن يحرم أي يمنع والرجاء الطمع في يمكن الحصول والمكارم جمع (٨٧)

الداخل في الجوار والمحترم الموقر .
[الإعراب] إن حرف شرط لم حرف
جزم يكن بالياء المثناة التحتية مجزوم
لم ولم يكن في محل جزم بأن واسم
يكن مستتر فيها يعود إلى النبي صلى الله
عليه وسلم في معادى بفتح الميم والعين
وكسر الدال المهملتين متعلق بـيكن
آخذًا بهمزة ممدودة وبغاء وذال
معجمتين خبر بـيكن يبدى متعلق بآخذًا
فضلاً مفعول لأجله منصوب بآخذًا
وإلا حرف شرط مقرون بلا النافية
وفعل الشرط وجوابه محذوفان أي
وإن كان آخذًا يبدى فزت لأن نفي
النفي إثبات والجملة مقترنة بـأو الاعتراض
بين الشرط الأول وجوابه وفي بعض
الشروح تقديره وإن لم يكن آخذًا
يبدى وهو توكيد للشرط الأول وفيه
نظر من جهة حذف الشرط والمطف
بالواو فإن الحذف يتنافى التوكيد
والمطف في توكيد الجملة خاص بهم
والأول قاله ابن مالك والثاني قاله
أبوحيان ثم إن سمعت من يقول بين
اليقظة والنام قوله وإلا زائدة في الكلام
فقل جواب الشرط الأول يا حرف نداء
زلة بفتح الزاي منادى منصوب القدم
بفتح الدال مضاف إليه أي بازلة القدم
تعالى فهذا أو أنك حاشاء مصدر منصوب

اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك للنزل مرتين وبالجملة فالتسمية باسمه صلى الله عليه
وسلم أمر مندوب إليه يسأل الله تعالى أن ينظما في سلك محبته عنه وفضله ورحمته
(قوله إن لم يكن في معادى الخ) أي إن لم يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودى إلى
الله تعالى آخذًا يبدى بأن يشفع لي حال كون ذلك فضلاً من السابقة منى تقتضى ذلك
فقل بازلة القدم وهو كناية عن سوء الحال والوقوع في الشدة وإلا أي وإلا لم يكن
في ذلك اليوم آخذًا يبدى بأن كان آخذًا يبدى فقل بإثبات القدم وهو كناية عن حسن
الحال وحصول النعمة فقوله خطاباً لمن جرده من نفسه فقل بازلة القدم جواب الشرط
الأول وهو قوله إن لم يكن في معادى آخذًا يبدى وجواب الشرط الثاني وهو قوله
وإلا فإن أصله إن الشرطية المدغمة في لا النافية محذوف لدلالة المقام والسياق عليه
والتقدير والا فقل بإثبات القدم أي وإن انتفى لم يكن آخذًا يبدى بأن كان آخذًا يبدى
فقل بإثبات قدمي وهذا يندفع استحكال هذا البيت بأن الظاهر منه أن قوله فقل
بازلة القدم جواب الشرط الثاني فيصير المعنى وإن انتفى لم يكن آخذًا يبدى بأن كان
آخذًا يبدى فقل بازلة القدم وهذا فاسد لا شك في بطلانه وهذا كله على ما في النسخ
من قوله إن لم يكن في معادى الخ وقيل الرواية فإن يكن في معادى الخ وعليه فلا إشكال
لأن جواب الشرط الأول محذوف لعدم به من المقام والسياق وجواب الشرط الثاني
مذكور بقوله فقل بازلة القدم وتقدير البيت على هذا فإن يكن صلى الله عليه وسلم
في يوم عودى إلى الله تعالى آخذًا يبدى بأن يشفع لي حال كون ذلك فضلاً من
للسابقة منى تقتضى ذلك فقل بإثبات القدم والا أي وإن لم يكن كذلك فقل بازلة
القدم وهذا ظاهر لا إشكال فيه (قوله حاشاء أن يحرم الخ) هذا البيت لزيادة تسكين
النفس من خوفها وتقوية تطمينها من قلقها وحاشا هنا اسم بمعنى الحاشاة وهي
التزنية فهو واقع موقع المصدر فيكون منصوباً بفعل مضمر والتقدير أحاشيه حاشاء
أي أنزهه تنزيهه والضمير للتصل به في محل جر باضافته إليه وأما حاشا للمستعمل
في الاستثناء فتارة يستعمل فعلاً وتارة يستعمل حرفاً كما هو مشهور وقوله أن يحرم
الراجي مكارمه أي من أن يحرم النبي صلى الله عليه وسلم الراجي منه مكارمه فهو
على تقدير من والفاعل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والراجي مفعول
وسكنت ياؤه على لغة والمكارم جمع مكرمة والمراد منها الشفاعة ويجوز ضم ياء يحرم

بفعل محذوف والماء مضاف إليها والتقدير أحاشيه حاشا أي أنزهه تنزيهاً أن يفتح الهمزة وسكون النون يحرم بضم أوله
وكسر ثالثه مضارع أجزم مبنى للفاعل وفاعله مستتر فيه يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم الراجي بسكون الياء على لغة مفعوله الأول
مكارمه مفعوله الثاني أو يرجع بالنصب عطفاً على يحرم الجار بالجرم فاعل يرجع منه متعلق بـيرجع والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم غير حال
من الجار محترم بفتح التاء والراء مضاف إليه . [ومعنى البيتين] إن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة لدار الجزاء
آخذًا يبدى فيشفع لي فضلاً من وإحساناً إليّ وإلا فيازلة قدمي عن الصراط المستقيم إلى نار الجحيم وإن كان كما أرجو فروح وريحان

على أنه مضارع أحرم وفتحها على أنه مضارع حرم فإنه يقال أحرمه يحرمه يضم الياء
وحرمه يحرمه بفتحها ويصح بناء الفعل للفاعل وقد قدمنا الحل عليه ويصح أيضا
بناؤه للمفعول وعليه فالراجح نائب فاعل وتسكين يائه حينئذ ظاهر وقوله أو يرجع
الجار منه غير محترم الظاهر أن أو بمعنى الواو فالمعنى وحاشاه من أن يرجع الجار منه
أى المستجير به الداخلة في جواره حال كونه غير محترم بل يرجع محترما بشفاعته
صلى الله عليه وسلم فالجار بمعنى المستجير ومنه بمعنى به وغير محترم حال من الجار .
جلنا الله من أهل شفاعته أجمعين (قوله ومنذ ألزمت أفكاري الخ) هذا البيت
استدلال على قوة رجائه وأنه لا يخيب في ظنه فكأنه قال إنما قوى رجائي وأنى
لا أخيب في ظني لأنى منذ ألزمت أفكاري الخ ومنذ ظرف زمان وهو ظرف لوجوده
وأفكاري مفعول أول لألزمت ومدانحه مفعوله الثانى والضمير العائد على النبي
صلى الله عليه وسلم مفعول أول لوجدت وخير ملتزم بكسر الزاى مفعوله الثانى وبه
يتعلق الجار والمجرور قبله وتقدير البيت وجدت النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن
الذى ألزمت فيه أفكاري مدانحه خير ملتزم لخلاصى من جميع الشدائد التى تصيب
والأفكار جمع فكر وهو حركة النفس فى العقولات والدائع جمع مديح وهو الثناء
الحسن وإنما كان صلى الله عليه وسلم خير ملتزم لخلاصه من الشدائد لأنه وفى بخلاصه
منها على أحسن الوجوه وأنحها وأشار للصنف بذلك إلى الداء الذى كان أصابه وهو
داء الفالج والعياذ بالله تعالى منه وكان هو السبب فى إنشاء هذه القصيدة فإنه لما
أصيب به عملها قرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ومسح بيده الكريمة عليه
فوفى فلما استيقظ قال له بعض أصحابه الصالحين أسمعنى القصيدة التى مدحت بها النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت سمعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتأبل مثل القضب
(قوله ولن يفوت النقى الخ) هذه الجملة مستأنفة والنقى بالكسر مع القصر اليسار ومع
المد تطريب الصوت مع سرور وبالفتح مع القصر الإقامة ومع اللد الكفاية والضمير
فى منه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والجار والمجرور متعلق بمحذوف إماسة
للفى أو حال فالأول إن قدر معرفة والثانى إن قدر نكرة ومن لا ابتدء وقوله بدا
مفعول وجملة قوله تربت صفة ليدا وتربت بكسر الراء أى التصقت بالتراب لسكونها
مفتقرة افتقارا حسيا بأن ضيعت ما كانت فيها من الأموال أو معنويا بأن ضيعت
ما كان لها من الثواب لاقترافها المعاصى وإنما لم يفوت النقى منه صلى الله عليه وسلم
اليد المذكورة لمعوم النقى منه صلى الله عليه وسلم لجميع الأيدي التى تكون كذلك
ومنها يد الناظم وقد استدل على ذلك بقوله إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم ووجه
الاستدلال بذلك أنه كما يشاهد محسوسا أن الحيا بالقصر الذى هو المطر ينبت الأزهار
جمع زهر فى الأكم بضمين جمع أكمة حكى صعب جمع قصبة والأكمة هى الروبة
أى الحل المرتفع من الأرض مع كونها ليست مظنة النبات لعدم استقرار الماء عليها
لملؤها كذلك صلى الله عليه وسلم ينبل النقى من ليس مظنة النقى وهو اليد التى تربت
وإنما أنبت الحيا الأزهار فى الأكم مع أنها مظنة عدم النبات بسبب عدم استقرار الماء

وجنة نعيم وحاشى قدره الجليل أن يحرم
الراجح الدليل كرمه الجزيل وأن يرجع
من التبجأ إلى جواره النيع وجنابه الرفيع
محروما من نواله الوسيح .

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَانِحَهُ
وَجَدْتُهُ خَيْرَ مُنْتَرِمٍ
وَلَنْ يَفُوتَ النِّقَى مِنْهُ يَدَا تَرَبَّتْ
إِنَّ الْحَيَا يَنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ

وَلَمْ أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا أَلَنِي اقْتَطَعْتُ يَدَا زَهْرِي بِمَا أَتْنِي عَلَى هَرَمٍ

أثرت نفس الأمر أي جعلتها لازمة له والأنكار جمع فكر وهو قوة في الإنسان يحصل به التأمل والمدائح جمع مدح لاجمع مدح لأن فيلا لا يجمع على فاعل والتزم تكفل وأوجب على نفسه وقائه الشيء سبقه فلم يدركه والغنى الاستغناء بالشفاعة عن الأعمال وبدا ترتب أي افتقرت والحيا بالقصر المطر والأزهار جمع زهر والأكرم جمع أكمة بفتح الكاف الزبوة وزهرة الدنيا نعيمها واكتظفت جنت وزهير هو ابن أبي سلمى بضم السين للزنى بالزاي والنون وكان بمدح هرم بن سنان المرءى بالمهملة وهو من أجواد ملوك العرب حصل زهير منه عطايا كثيرة خارجة عن العادات ، ومن مدحه له قوله :

قف بالديار التي لم يصفها القدم * بلى وغيرها الأرواح والديم إن البخيل ملوم حيث كان ولعلكن الجواد على علته هرم هو الجواد الذي يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فينظم وإن أئمه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم [الاعراب] ومنذ ظرف زمان لمخولها على الجملة الفعلية في عمل (٨٩) نصب وجدت ، أثرت بضم التاء فعل

وفاعل أفكارى بفتح الهمزة مفعول أول لأثرت مدائح مفعوله الثاني وجدته بالجم فاعل وفاعل ومفعول أول خلاصى متعلق بوجدت خير مفعول ثان لوجدت ملترزم بكسر الزاي على الرواية الشهيرة مضاف إليه ولن يفوت بالقاء والثناء الفوقية ناصب ومنسوب الغنى بكسر الغين المعجمة وفتح النون فاعل يفوت منه متعلق يفوت والماء للنبي صلى الله عليه وسلم يدا بفتح الياء التحتية مفعول يفوت تربت بفتح التاء الفوقية وكسر الراء وفتح الموحدة فعل وفاعل نعت يدا إن بكسر الهمزة وفتح النون الشدة الحيا بفتح المهملة والياء للثناء التحتية والقصر اسم إن يثبت بضم الياء التحتية وسكون النون وكسر الموحدة فعل مضارع وفاعله

عنها وسرعة انعداؤه عنها لعمومه حتى للأكرم والتشبيه المذكور إنما هو على سبيل التقریب وإلا فهو عليه الصلاة والسلام لا يحيط بحقيقة كاله إلا الله تعالى (قوله ولم أرد زهرة الدنيا الخ) لما كان قوله ولن يفوت الغنى الخ يوم التعريض بطلب شيء من حطام الدنيا دفع هذا التوهم بقوله ولم أرد زهرة الدنيا الخ أي وإنما أردت الغنى منه في الآخرة بالشفاعة في المؤمنين والمراد بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره وإنما عبر عنها بالزهرة تشبيها لها بالزهر الذي لا يدوم التمتع به بل يتغير سريعا فيكون في ذلك استمارة تصريحية والتعبير بالانقطاع ترشيح لها وهو إما باق على حقيقته أو مستعار للأخذ وقوله يدا زهير فاعل باقتظفت والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن أبي سلمى بضم السين أبو كعب صاحب بانت سعاد القصيدة المشهورة وله أخت تسمى الحسناء كانت شاعرة مشهورة وكان الشعر فيهم وراثة ولذلك كان زهير من الشعراء القديمين على سائر الشعراء الجاهلية كما مر القيس والناطقة الدياني وعنتر وطرفة بن العبد وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير وعمره مائة سنة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعذني من شيطانه فما لأك بعدها بيتا حتى مات وقوله بما أثرت على هرم أي بالمدح الذي أثرت به على هرم بكسر الراء وهو أحد أجواد العرب وكان أحد ملوكهم وهو ابن سنان بن حيان بالحاء المهملة وبعدها مثناة تحتية وكان يصل زهيرا بالصلوات الجزيلة الخارجة عن العادة ومن جملة ما وافق

(١٢ - باجورى - برده) مستتر فيه يعود الى الحيا الأزهار بفتح الهمزة وسكون الزاي مفعول به في الأكرم

بفتحيتين متعلقين يثبت ولم أرد بضم الهمزة وكسر الراء فعل وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا زهرة بفتح الزاي مفعول به الدنيا مضاف اليها التي اسم موصول اقتطعت صلة التي وعائدها محذوف أي اقتطعت يدا فاعل اقتطعت وحذفت النون للإضافة بناء على أنه منى ويجوز أن يكون مفردا مقصورا على لغة من قال : يارب ساريات ما توسدا إلا ذراع العيس أو كف اليد زهير بضم الزاي وفتح الماء مضاف إليه بما الباء للسببية متعلق باقتظفت وما حرف موصول أثرت بفتح الهمزة وسكون المثناة وفتح النون فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود إلى زهير والجملة صلة ما على هرم بفتح الماء وكسر الراء متعلق بأثرت .

[ومعنى الأبيات الثلاثة] ومنذ أثرت أفكارى مدائح وجدته خير ملترزم خلاصى من كل مكروه وعطايه لانفوت يد فقير ذى فاقة فان للمطر إذا نزل الى الأرض عم الصالح منها وغير الصالح وأثبت الرياحين والأزهار على رؤس المنازل وأطراف الروابي وأعلى ققرى وميسر حاجتى ما أريد على مدحه شيئا من حطام الدنيا مثل ما حصل لزهير من هرم بن سنان بسبب ثنائه عليه حيث مدحه لحطام الدنيا القانية وإنما أريد الشفاعة من وزر البضاعة وأقول :

له معه إنه حلف أنه كلما مدحه أعطاه غرة عبدا أو أمة أو قيمتها وإنه كلما سلم عليه يعطيه كذلك حتى إنه من كثرة إعطائه له استغيا منه فكان إذا رآه في قوم قال أنعموا صباحا غير هرم فكل هذا لم يرد الناظم لإجلال مدحه صلى الله عليه وسلم عن ذلك إذ لا يتوصل بالعظيم إلا لليل عظيم (قوله يا أكرم الرسل الخ) لما مدح النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الإخبار عن الغائب أقبل بالخطاب عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا أكرم الرسل وفي بعض النسخ يا أكرم الخلق ولكونه صلى الله عليه وسلم أكرم الرسل وأكرم الخلق اختص بالشفاعة العظمى وهي شفاعة صلى الله عليه وسلم في فصل القضاء كما تقدم وقوله مالى من يؤذ به سوائك أى ليس لى أحد أتجى إليه غيرك وقوله عند حلول الحادث العمم أى عند نزول الحادث العام أى الشامل لجميع الخلق والمراد بذلك الحادث هول يوم القيامة فإن كلام الرسل يقول حينئذ نفسون نفسى ويخبر بأن الله غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله بعده والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى وقيل المراد بذلك الحادث الموت (قوله ولن يضيق رسول الله جاهك الخ) أى بل هو رجب وأسع يسع ويسع كل عاص مثلى فجاء على بالشفاعة لتتقضى مما استحقه من العقاب والمراد من الجاه التقدر والمنزلة وهو مأخوذ من الوجاهة وهى رفعة التقدر وسعة المرتبة ويقال رجل وجيه أى معروف مشهور بحسن الذكر وجودة الرأي وقوله بى أى عفى وقوله إذا الكريم تحلى باسم منتقم أى وذلك أغنى عدم ضيق جاهه صلى الله عليه وسلم وقت كون المولى اتصف باسم هو منتقم واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة وذلك الوقت هو يوم القيامة وتحلى بالحاء الهملة بمعنى اتصف وبالجم بمعنى انكشف والأول أصح رواية ١٠١١، أصح دراية وهذا الشرط لا مفهوم له فهو مفهوم موافقة لأن جاهه عليه الصلاة والسلام لا يضيق فى كل وقت وقد قيل فى كلام الناظم إشكال كبير وقلق عمير أما الإشكال فلا أنه يقتضى أن الكريم يتصف فى المستقبل بالانتقام لأن إذا للاستقبال مع إن صفاته تعالى قديمة لم تزل ولا تزال وأما القلق فلا أن الاسم عند أهل السنة هو المسمى وحينئذ فيكون التقدير إذا اتصف المسمى الذى هو الكريم بالمسمى الذى هو الاسم وهو المسمى الذى هو المنتقم وهو فى غاية القلق ورد ذلك بأن كلام الناظم مبنى على طريق أبى الحسن الأشعرى وهو الرضى من مذهب أهل السنة. وحاصله فى ذلك أن الكريم وللنتقم صفتان فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام والصفة الفعلية عند الأشاعرة حادثة لأنه لا يرجع منها إلى الفاعل معنى قائم به ولذا قال أئمتنا لا يتصف البارى تعالى بكونه خالفا فى الأزل إلا مجازا ولا نسلم أن كل اسم عين المسمى بل من أسمائه تعالى ما هو غيره وهو كل مادلت التسمية به على فعل كالحالقي وبذلك اندفع الإشكال والقلق فى كلام الناظم نعم يرد عليه أنه يؤذن كلامه بإجتماع صفتين متضادتين فى وقت واحد فى محل واحد فإن المراد بالكريم التجاوز عن الذنب أو ما يتضمن ذلك والمراد بالانتقام المؤاخضة بالقلب ولا يتأتى اجتماعهما فى الوقت الواحد فى المحل الواحد ويحاج بأن المراد بالكريم من شأنه الكرم

يَا أكرم الخَلْقِ مَالِي مَنْ أُوذُ بِهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي
إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِهِ مُنْتَقِمِ

فَإِنْ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ

ألوذ ألتجىء سواك غيرك وحلول الحادث العمم وقوع هول يوم القيامة الشامل لجميع الخلق والجاه العز والكريم أى الخالق جلت عظمته وتعالى شأنه وتحلى بالمهمة أى اتصف والمراد وقع الانتقام لأن التحلية تجدد الصفة وهى فى حق الله تعالى محال والنتقم للعقاب لمن عصاه وضرة للمرأة امرأة زوجها سميت بذلك لما بينهما من ضرر المعاشرة فلا تسكadan تجتمعان على أمر واحد كما أن الدنيا والآخرة ضررتان لأنهما لا تجتمعان لطالب واحد لما بينهما من التناقى والمعلوم جمع علم وإنما جمع باعتبار أنواعه ولفظناش أقوال شتى فى حقيقة اللوح والقلم والمراد هنا علم ما كتبه القلم وثبت فى اللوح . [الإعراب] ياحرف نداء أكرم الخالق منادى منصوب ومضاف إليه ماحرف نفي لى خبر مقدم من يفتح الميم مبتدأ مؤخر وهو نكرة موصوفة بمعنى أحد ألوذ يفتح الهجزة وضم اللام وبالدال المعجمة فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا به متعلق بألوذ والجملة صفة من وعاندها الهاء من به سواك بكسر السين والقصر بدل من النكرة أوصفة ثانية لها أى غيرك (٩١) أوفارف مكان أى مكانك عند منصوب

بما فى لى من معنى الاستقرار حلول بضم المهملة واللام الأولى مضاف إليه ومضاف أيضا الحادث بالمهملة والثالثة مضاف إليه العمم يفتح المهملة وكسر الميم نعت الحادث ولن يضيق بفتح الياء المثناة التحتية وكسر الضاد المعجمة ناصب ومنصوب رسول الله بالنصب منادى مضاف منقط منه حرف النداء جاهك بالميم وضم الهاء فاعل يضيق وما بينهما اعتراض بى بكسر الموحدة متعلق يضيق إذا بكسر الهجزة وفتح الدال المعجمة ظرف لما يستقبل من الزمان الكريم فاعل فعل عذوف يفسره تحلى والتقدير إذا تحلى الكريم على حد إذا السماء انشقت تحلى بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة واللام المشددة فعل ماضى وفعاله مستتر فيه يعود إلى الكريم ويروى إذ يسكون

والتجاوز عن المفقوات والمراد بالمنتقم من انتصف بالانتقام بالقلم فصفته تعالى حينئذ الانتقام والأخذ بالجرائم بالفعل وهذا لا ينافى أن شأنه تعالى الكريم والتجاوز عن المفقوات (قوله فإن من جودك الدنيا الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال وإنما كان جاهك يارسول الله لا يضيق بى بل يسفى وغيرى من العصاة لأن من جودك الدنيا الخ ومن للتبويض والمراد من الدنيا ما قابل الأخرى ولذلك جعلها الناظم ضربتها وفى كلامه تقدير مضاف أى خيرى الدنيا وضربتها التى هى الآخرة فمن خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس ومن خير الآخرة شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم وقوله ومن علومك علم اللوح والقلم من جهة التعليل لكون جاهك صلى الله عليه وسلم لا يضيق عنه لأنه لا شك أن العلم من أكبر أسباب عظم الجاه وعلوه ويجوز أن يكون مستأنفا ومن فى قوله ومن علومك للتبويض أيضا فهى للتبويض فى اللوطين والمراد بعلمه صلى الله عليه وسلم المعلومات التى أطلعه الله عليها فإنه تعالى أطلعه على علوم الأولين والآخرين والمراد بعلم اللوح والقلم المعلومات التى كتبها القلم فى اللوح بأمر الله تعالى فإنه ورد أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة من مات على غير ذلك فليس منى أى ليس على طريقى . واستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم بأن من جملة علم التوح والقلم الأمور المحسوسة المذكورة فى آخر سورة لقمان مع أن النبى عليه الصلاة والسلام لا يجهلها لأن الله قد استأثر بعلمها فلا يتم التبويض

الدال والكريم على هذا مبتدأ وتحلى خبره باسم متعلق بتحلى منتقم بكسر القاف مضاف إليه فإن حرف توكيد من جودك بضم الجيم خبرها مقدم الدنيا اسمها مؤخر وضربتها بفتح الضاد المعجمة والمثناة الفوقية معطوف على الدنيا ومن علومك معطوف على من جودك علم بكسر العين ونصب الميم معطوف على الدنيا من عطف الاسم على الاسم والخبر على الخبر وكرر من هربا من العطف على معمولى عاملين مختلفين ويحتمل أن يكون علم مرفوعا على الابتداء تقدم خبره فى الجهرور قبله والجملة مستأنفة والأول أولى لما فيه من التأكيد بأن اللوح بالمهمة مضاف إليه والقلم بفتح القاف واللام معطوف على اللوح .

[ومعنى الآيات الثلاثة] يا أكرم كل مخلوق مالى أحد غيرك ألتجىء إليه يوم القيامة من هوله العميم والخالق متناولون إلى جاهك الرفيع وجنايك المنيع ولن يضيق بى جاهك يارسول الله إذا اشتد الأمر وعيل الصبر وانتقم الله تعالى ممن عصاه فإنك أعظم الخلق على الله تعالى وخيرى الدنيا والآخرة من جودك وعلمى اللوح والقلم من علمك وأنت الحقيق بذلك والمولوف فى الشفاعة عليك ولا أقطع رجائى منك وأقول :

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ ۙ إِنَّ الْكِبَارَ فِي الْغُفْرَانِ كَالْقَلَمِ
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَفْصِمُهَا ۙ تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسْمِ ۙ ٩٢

القنوط اليأس والزلة الدنب الشامل
الكبير والصغير وعظمت أى كبرت
والكبار جمع كبيرة والغفران الغفرة
واللهم صفار الذنوب وحسب بفتح
السين القدر والعصيان ضد الطاعة
يشمل الصغار والكبار والقسم جمع
قصة وهى ما يقسمه الله تعالى لحلقه .

[الإعراب] يا حرف نداء نفس بكسر
السين منادى مضاف لياء التشكيم حذف
المضاف إليه وا كتنى بالكسرة وإن
قرئ بالضم فهو انة قليلة إلا أن تكون
نكرة مقصودة لا حرف نهى تقنطى
بكسر الذون مجزوم بلا وعلامة جزمه
حذف الذون من زلة بفتح الزاى متعلق
بتقنطى عظمت بضم الظاء المعجمة
نعت زلة إن الكبير إن واسمها فى
الغفران متعلق بما تعلق به خبر إن كاللهم
بفتح اللام واليم الأولى خبر إن فيتعلق
بالاستقرار لعل حرف ترج رحمة اسمها
ربى مضاف إليه حين ظرف زمان
منصوب بتأتى يقسمها فصل وفاعل
ومفعول فى موضع جر بإضافة حين إليها
تأتى خبر لعل على حسب بفتح الحاء
والسين المهملتين متعلق بتأتى العصيان
بكسر العين وسكون الصاد المهملتين
مضاف إليه فى القسم بكسر القاف
وفتح السين متعلق بحسب .

[ومعنى البيتين] يا نفس لا تيأسى
من مغفرة ذنب كبير إن الذنوب
الكبار كالذنوب الصغار فى جواز
الغفران قال الله تعالى إن الله لا يغفر

المذكور . وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم فى اللوح
والإلا لاطلع عليها من شأنه أن يطلع على اللوح كبعض الملائكة المقربين وعلى تسليم
أنها مما كتب القلم فى اللوح فالمراد أن بعض علومه صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم
الذى يطلع عليه المخلوق فخرجت هذه الأمور الخمسة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج
من الدنيا إلا بعد أن أعلمه الله تعالى بهذه الأمور . فإن قيل إذا كان علم اللوح والقلم
بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما البعض الآخر . أجيب بأن البعض الآخر هو
ما أخبره الله عنه من أحوال الآخرة لأن القلم إنما كتب فى اللوح ما هو كائن إلى يوم
القيامة فقط كما تقدم فى الحديث (قوله يا نفس لا تقنطى إلخ) لما خاف الناظم على نفسه
القنوط من رحمة الله تعالى بسبب شدة الخوف أقبل عليها يخاطبها بتحقيق رجائه
ويؤنسها بعظم فضل ربه وأصل قوله يا نفس يا نفس بالإضافة لياء التشكيم حذف
ياء التشكيم ويجوز ضم السين وكسرها كما فى قولك يا عبد وقوله لا تقنطى أى لا تيأسى
وهو بفتح النون على لغة كسرها فى ماضيه وبكسرها وضمها على لغة فتحها فيه وقوله
من زلة عظمت أى من أجل زلة كبرت فمن للتعليل ويحتمل أنها للتعدية لكن على
تقدير مضاف والأصل من غفران زلة عظمت والزلة بفتح الزاى وتشديد اللام الذنب
وقوله إن الكبير فى الغفران كاللهم أى إن الذنوب العظام التى ارتكبتها أيتها
النفس فى جانب الغفران أى بالنسبة له كصغار الذنوب فالكبار هى الذنوب العظام
واللهم بفتح اللام المشددة وفتح اليم أيضا صفار الذنوب ومعلوم أنه تعالى يغفر الصغار
فكذا الكبير قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
وفى قول الناظم إن الكبير فى الغفران كاللهم رد على من زعم أن الكبير ليست
كالصغار كالمعتزلة فإنهم يقولون بأن الكبير لا تغفر بل مرتكبها يخلد فى النار لأنه
ليس مؤمنا ولا كافرا فيقولون إنه منزلة بين المنزلتين ويعذب بعذاب أخف من عذاب
الكافر والحق مذهب أهل السنة أن الكبير كالصغار فى الغفران وهو الموافق
للقرآن والسنة والدليل العقلى لأنه تعالى لا يجب عليه ثواب ولا يتحتم عليه عقاب
فالثواب من فضله والعقاب من عدله لا يستل عما يفعل وهم يستلون (قوله لعل رحمة
ربى إلخ) لما نهى الناظم نفسه عن القنوط كأنها قالت له أنا لا أقنط لكن أخشى
أن لا يكون حظى من الرحمة قدر ذنوبى التى ارتكبتها فأجابها بقوله لعل رحمة ربى
إلخ أى أرجو أن تكون رحمة ربى تأتى فى القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر
عصيانهم فمن حمل من العصيان حملا كبيرا كان ما يناله من الرحمة شيئا كبيرا ومن
حمل من العصيان حملا صغيرا كان ما يناله من الرحمة شيئا صغيرا والمراد الرحمة التى
تنال العصاة لا الرحمة العامة التى تنال المطيع أيضا فلا يقال إذا قسمت الرحمة بحسب
العصيان لم يبق للمطيع منها حظ فإن قيل كلام الناظم يقتضى أن من كانت ذنوبه

أكثر

أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لعل رحمة ربى إذا قسمها تأتى

على قدر العصيان فتعم الكبير والصغار وأناذني كبير فأرجو أن يكون نصيبه من الرحمة بقدره .

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْغَرِمٍ
وَالظَّنُّ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمُ ٩٣

الرجاء بالمد الأمل وغير منعكس أي
غير مخالف لظني بك والحساب هنا
الاعتقاد والنخرم المنقطع والظن أي
ارفق في الدارين أي دار الدنيا والآخرة
والأهوال جمع هول وهو الأمر العظيم
للشقة والانهزام الحرب .

[الاعراب] يارب بحذف ياء التكلم
والاجتزاء بالكسر منادى واجعل
رجائي بالمد جملة معطوفة على جملة
مقدرة قبلها والتقدير يارب حقق
ظني واجعل رجائي غير بالنصب مفعول
ثان لاجعل منعكس مضاف إليه لديك
بفتح الدال المهملة متعلق بمنعكس
واجعل فعل وفاعل حسابي مفعوله
الأول غير مفعوله الثاني منخرم بفتح
الحاء المعجمة وكسر الراء مضاف إليه
والظن بضم الطاء معطوف على
اجعل بعبدك في الدارين متعلقان بالظن
إن له إن وخبرها صبرا متى بفتح الصاد
المهملة وسكون الواو المتحدة اسمها متى بفتح
السين الفوقية ظرف زمان متضمن معنى
الشرط يحزم فعلين منصوب بتدعاه
وتدعه مجزوم به وعلامة جزمه حذف
الواو الأهوال فاعل تدعه ينهزم بكسر
الزاي جواب متى وكسر حرف الروي
للقافية .

[ومعنى البيتين] يارب واجعل
مأملته فيك غير مخالف له واجعل
ما اعتقدته فيك من العفو غير منخرم
عندك فإنك وعدتني بالإجابة ، وقلت
ادعوني أستجب لكم وارفق بعبدك
في الدنيا والآخرة فيما قدرته عليه فيهما فإن له صبرا ضيفا لا يقيم على مقاساة الأهوال والشدائد متى تدعه الأهوال للملاقاتها ينهزم

أكثر كان ما يناله من الرحمة أعظم وكيف يصح ذلك مع أن من كانت ذنوبه أقل
كان أقرب للرحمة وأقرب منه من كان طائفا . أوجب بأن الكلام في الرحمة التي تال
العاصين وقسمها على هذا الوجه يمكن لجواز العفو عما عدا الشرك . وأورد عليه أن
مقتضى كلامه عدم دخول بعض عصاة المؤمنين النار مع أن المقرر في علم الكلام أنه
لا بد من دخول طائفة منهم النار ثم يخرجون بشفاعته صلى الله عليه وسلم . وأوجب
لأن الرحمة بالنسبة لهؤلاء هي الشفاعة العامة للإراحة من هول الموقف (قوله يارب
واجعل رجائي الخ) لما اشتملت هذه القصيدة على أنواع التغزل وتوبيخ النفس
والوعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومدح القرآن ومدح
الصحابه وذم الكفار والاقرار بالذنب ختمها بالدعاء ثم بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله يارب أصله ياربني بالإضافة لياء التكلم ثم حذف ياء التكلم
للتخفيف وقوله واجعل رجائي الخ معطوف على محذوف والتقدير يارب ارحمني
واجعل رجائي للرحمة غير منعكس أي غير خائب بأن يحصل المرجو من عفوك عن
ذنوبي كبائرهم وصغائرهم وقوله لديك أي عندك وهو ظرف لقوله اجعل أول منعكس
وقوله واجعل حسابي غير منخرم أي اجعل ما حسبته أي ظننته من الجليل فيك
وهو أن تنيلني من فضلك وكرامتك ما يليق بي غير ناقص بأن يحصل المحسوب أي
المظنون تاما كاملا وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أي غير منخرم لديك
وفي الحديث حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر
وقد قال من غلب عليه الرجاء :

وَأَنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَى بِجَمِيلِ اللَّطْفِ مَا اللَّهُ صَانِعٌ
وفسر بعضهم قوله واجعل حسابي غير منخرم بأن المعنى واجعل تعداد الأمور الصادرة
منك يا الله لي غير منقطع ونوقش بأنه يلزم عليه أن الناظم طلب أن لا ينقطع عذابه لأن
من نوقش الحساب عذب فكيف بمن طال حسابه فكيف بمن دام حسابه ولو قال
واجعل تعداد الأمور الصادرة منك يا الله لي غير معوج بأن يكون مستقيما لخلص من
من هذه المناقشة (قوله والظن بعبدك الخ) هذا البيت من تمام الدعاء ومعنى الظن
ارفق إذ اللطف معناه الرفق وعني بالعبد نفسه واختار الوصف بالعبودية لما فيها من
غاية الدلة والخضوع وذلك مناسب لمقام الدعاء وقوله في الدارين أي دار الدنيا والآخرة
أي فيما قدرت عليه فيهما ثم علل ذلك بقوله إن له صبرا أي إن لعبدك صبرا لا يثبت بل
متى تدعه الأهوال ينهزم أمامها فيصير العبد بلا صبر فيهلك وباللطف يندفع الهلاك وقد
امتلأ الناظم في هذا الدعاء لأمره صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا يقول اللهم هب لي
الصبر فقال له طلبت من الله البلاء فاطلب منه العافية (قوله وأذن لسحب صلاة الخ)

في الدنيا والآخرة فيما قدرته عليه فيهما فإن له صبرا ضيفا لا يقيم على مقاساة الأهوال والشدائد متى تدعه الأهوال للملاقاتها ينهزم
منها من أول الأمر ولا يقابلها فهو مفتقر الى اللطف به والإحسان إليه

وَأَذْنُ اسْعَبِ صَلَاحَ مِنْكَ دَائِمَةً عَلَى النَّبِيِّ مِنْهَلٍ وَمُنْجِمٍ

مَارَتْحَتْ عَذَبَاتِ الْبَابِ رِيحُ صَبَا وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالْغَنَمِ

وَأُذِنَ أَيُّ مَرٍّ وَالسَّحْبُ جَمْعُ سَحَابٍ وَهُوَ الْغَيْمُ وَالصَّلَاةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ طَلَبُ مَزِيدِ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَامَةِ لَهُمْ وَيَكْرَهُ إِفْرَادُهَا عَنِ السَّلَامِ ثَرَا وَشَعْرًا وَخَطَا وَانْهَلَ الْمَطَرُ سَالَ بِشِدَّةٍ وَانْسَجَمَ سَالَ بِشِدَّةٍ وَغَيْرُهَا وَرَنَحَتْ الرِّيحُ النَّصْنَ أَمَّا كَثَرَتْ وَعَذَبَاتُ الْبَابِ أَغْصَانُهُ وَالْبَابُ نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ لَهُ أَغْصَانٌ لَطِيفَةٌ وَهُوَ الْمَسْمِيُّ (٩٤) بِالْخَلَّافِ بِالْخَفِيفِ وَالصَّبَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ سَمِيَتْ صَبَا لِأَنَّهَا تَقَابِلُ

بِهَوِيهَا بَابُ السَّكْبَةِ كَأَنَّهَا تَصْبُو إِلَيْهَا وَتَسْمِي الْقَبُولِ وَيَقَابِلُهَا الدُّبُورُ وَالطَّرِبُ الْخَفَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ شِدَّةِ السَّرُورِ مَقْتَضِيَةٌ لِلْهَمَزَةِ وَالْحَرَكَةِ وَالْعَيْسُ جَمْعُ الْأَعْيَسِ وَهِيَ الْإِبِلُ الَّتِي يَخَالُطُ يَبَاصُهَا الشَّقْرَةُ وَقِيلَ هِيَ كِرَامُ الْإِبِلِ وَحَادِيهَا هُوَ الَّذِي يَسُوقُهَا وَالْحَدُّو سَوْقُ الْإِبِلِ وَالْحَدَاءُ بِالْمَدِّ مَعَ ضَمِّ الْحَاءِ وَكَسْرُهَا الْغَنَاءُ لَهَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَنَهَا وَهِيَ لَكَ الْغَدَاءُ

إِنْ غَنَاءَ الْإِبِلُ الْحَدَاءُ

وَالْغَنَمُ الصَّوْتُ الْحَسَنُ يُقَالُ فُلَانٌ حَسَنُ الْغَنَمِ أَيُّ حَسَنُ الصَّوْتِ وَالْغَنَمَةُ فِي الْعَرَفِ صَوْتٌ يَقْصِدُ بِهِ الْأَطْرَابُ .

[الْإِعْرَابُ] وَأُذِنَ بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْعِجْمَةِ فَعْلٌ وَفَاعِلٌ لِسُحْبٍ بَضْمٍ السَّيْنِ وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ مُتَعَلِّقٌ بِأُذِنَ صَلَاةٌ مُضَافٌ إِلَيْهَا مِنْكَ نَمَتْ صَلَاةٌ دَائِمَةٌ بِالْجُرْ نَمَتْ صَلَاةٌ وَبِالنَّصْبِ حَالٌ مِنْهَا عَلَى النَّبِيِّ مُتَعَلِّقٌ بِدَائِمَةٍ لِابْتِلَاةٍ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ الْمُتَعَلِّقَ قَبْلَ الْعَمَلِ لَا يَمُكِّنُ بِمَنْهَلٍ بَضْمُ الْيَمِّ وَفَتْحُ الْحَاءِ وَتَشْدِيدُ اللَّامِ نَمَتْ سَحْبٌ عَلَى تَشْدِيدِ مُوصُوفٍ بَيْنَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ أَيُّ بِمَنْهَلٍ مِنْهَلٍ وَابَاءٌ لِلْمَصَاحِبَةِ وَمَنْسَجَمٌ بَضْمُ الْيَمِّ وَسُكُونُ النَّوْنِ وَفَتْحُ السَّيْنِ وَكَسْرُ الْجِيمِ مَعْطُوفٌ عَلَى مَنْهَلٍ مَامْصَدْرِيَّةٌ

لَا يَخْفَى أَنَّ قَوْلَهُ أَذِنَ فَفَعْلٌ دَعَاءٌ وَالْأَذِنُ فِي حَقِّهِ تَمَالَى بِمَعْنَى الْإِبَاحَةِ وَاللَّامُ لِلتَّعْدِيَةِ وَالسَّحْبُ بِسُكُونِ الْحَاءِ كَمَا هُوَ لَفَةٌ فِي السَّحْبِ بَضْمًا وَإِنْ جَمَلَهُ بَعْضُ الشَّارِحِينَ لِلتَّخْفِيفِ وَهُوَ جَمْعُ سَحَابٍ الَّذِي هُوَ الْغَيْمُ وَإِضَافَةُ سَحْبٍ لِلصَّلَاةِ مِنْ إِضَافَةِ الْمَشَبِّهِ بِهِ لِلْمَشْبُوهِ أَيْ لِلصَّلَاةِ الشَّيْبَةَ بِالسَّحْبِ فِي أَنَّ كَلَامَ رَحْمَةٍ وَقَوْلُهُ مِنْكَ صِفَةُ صَلَاةٍ وَقَوْلُهُ دَائِمَةٌ صِفَةُ أَيْضًا لِلصَّلَاةِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ صِفَةُ لِسُحْبٍ وَقَوْلُهُ عَلَى النَّبِيِّ أَيُّ صَادِرَةٌ عَلَى النَّبِيِّ الْمَعْنَى وَهُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابَاءٌ فِي قَوْلِهِ بِمَنْهَلٍ وَمَنْسَجَمٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِأُذِنَ فَهِيَ لِلتَّعْدِيَةِ وَفِي الْكَلَامِ مُوصُوفٌ بِمَنْهَلٍ وَمَطَرٌ مَنْسَجَمٌ وَالتَّهْلُ النَّصْبُ لَشِدَّتِهِ وَالتَّهْلُ السَّائِلُ لَعَدَمِ شِدَّتِهِ (قَوْلُهُ مَارَتْحَتْ عَذَبَاتُ الْبَابِ الْحِ) أَيُّ مَدَّةٍ تَرْنِيحُ عَذَبَاتُ الْبَابِ الْحِ فَمَا مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ وَالتَّرْنِيحُ التَّحْمِيلُ وَعَذَبَاتُ الْبَابِ أَغْصَانُهُ وَالْبَابُ شَجَرٌ مَعْرُوفٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ وَقَوْلُهُ رِيحُ صَبَا بَفَتْحِ الصَّادِ فَاعِلٌ بِرَنَحَتْ وَالرَّادُ رِيحُ الصَّبَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ الَّتِي تَهْبُ صَوْبَ بَابِ السَّكْبَةِ وَإِنَّمَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصْبُو أَيُّ تَمِيلُ إِلَيْهَا وَتَسْمِي قَبُولًا بِفَتْحِ الْقَافِ لِأَنَّهَا تَقَابِلُ بِهَوِيهَا الْمَشْرِقَ وَأَصُولُ الرِّيَّاحِ أَرْبَعَةٌ الْأُولَى الصَّبَا وَقَدْ عَلِمْنَا وَالثَّانِيَةُ الدُّبُورُ وَهِيَ الرِّيحُ الْغَرْبِيَّةُ الَّتِي تَأْتِي مِنَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَإِنَّمَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْمَشْرِقِ اسْتِدْبَارُهَا وَالثَّلَاثَةُ الشَّمَالُ بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَهِيَ الرِّيحُ الْبَحْرِيَّةُ الَّتِي يَسَارِبُهَا فِي الْبَحْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَإِنَّمَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا عَنْ شَمَالٍ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْمَشْرِقِ وَالرَّابِعَةُ الْجَنُوبُ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَهِيَ الرِّيحُ الْقِبْلِيَّةُ وَعَامَّةُ الْمَصْرِيِّينَ يَصِيرُونَ عَنْهَا بِالْمَرْيَسِ لِأَنَّهَا تَهْبُ مِنْ بِلَادِ الْمَرْسِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ السُّودَانِ حَسَانُ الْوُجُوهِ وَكُلُّ رِيحٍ جَاءَتْ بَيْنَ مَهَبٍ وَرِيحَيْنِ يُقَالُ لَهَا التَّكْبَاءُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا نَكَبَتْ أَيُّ عَدَلَتْ عَنْ مَهَبِ تِلْكَ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعَةِ وَقَدْ نَظَّمَ الشَّيْخُ السَّجَاعِيُّ حَاصِلَ مَا تَقَدَّمَ بِقَوْلِهِ :

أَصُولُ رِيَّاحٍ أَرْبَعٌ سَمٌ بِالصَّبَا	قَبُولَاتٌ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ شَرْقِيَّةٍ
دُبُورَاتٌ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَاعِلِينَ	لَدَا عِنْدَ مَصْرٍ سَمٌ بِالصَّاحِ غَرْبِيَّةٍ
شَمَالُ تَجِيٍّ مِنْ عَنِّ شَمَالِ مَشْرِقٍ	يَسَارِبُهَا فِي الْبَحْرِ تَدْعَى بِبَحْرِيَّةٍ
جَنُوبٌ تَسْمَى بِالْمَرْيَسِ نَسْبَةً	لِلْبِلْدَانِ السُّودَانِ وَتَنْمِي لِقِبْلِيَّةٍ
وَمَا بَيْنَ رِيحَيْنِ تَهْبُ فَسَمَاهَا	بِنَسْبَةِ نَجْمٍ كَالْأَصُولِ بِلَا مَرْيَةٍ

وَقَوْلُهُ وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ الْحِ أَيُّ وَمَدَّةٍ لِطَرَابِ الْعَيْسِ الْحِ فَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ رَنَحَتْ

وَالْأَطْرَابُ

ظَرْفِيَّةٌ رَنَحَتْ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالنَّوْنِ الشَّدِيدَةِ وَالْحَاءُ فَعْلٌ مَاضٍ وَتَاءُ تَأْنِيثٌ عَذَبَاتُ بَفَتْحِ

الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْهَاءُ لِلْعِجْمَةِ وَابَاءٌ الْمَوْحِدَةُ وَكَسْرُ التَّاءِ الْفَوْقِيَّةُ مَفْعُولٌ رَنَحَتْ الْبَابُ بِالْمَوْحِدَةِ مُضَافٌ إِلَيْهِ رِيحٌ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الثَّنَاءِ التَّحْتِيَّةِ فَاعِلٌ رَنَحَتْ صَبَا بَفَتْحِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَابَاءٌ الْمَوْحِدَةُ وَالْقَصْرُ مُضَافٌ إِلَيْهِ مِنْ إِضَافَةِ الْعَامِّ إِلَى الْخَاصِّ وَأَطْرَبَ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَابَاءٌ الْمَوْحِدَةُ مَعْطُوفٌ عَلَى رَنَحَتْ الْعَيْسُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ وَبِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ مَفْعُولٌ أَطْرَبَ حَادِي بَفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرُ الدَّالِ الْمَهْمَلَتَيْنِ فَاعِلٌ أَطْرَبَ الْعَيْسُ وَفِي نَسْخَةِ الرُّكْبِ مُضَافٌ إِلَيْهِ بِالْغَنَمِ بَفَتْحِ النَّوْنِ

والإطراب إحداث الطرب وهو خفة تفشأ عن سرور مقتضية للحركة والنشاط والعيس بكسر العين مناسبة لسكون الباء بعدها وإن كان أصلها الفم وهي إبل يبيض غطائها شقرة أي حمرة عديدة وهي من كرام الإبل ويقال للبعير أعيى وللأنثى عيساء والمراد بحادى العيس ساقها فهو من حادى يحدو إذا ساق الإبل وقوله بالنغم متعلق بالطرب والنغم جميع النغم الصوت الحسن وللإبل خاصية عظيمة في حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادى وكلما كان الصوت أحسن كان طربها أكثر حتى إنها تنقطع للراحة الكثيرة في الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن ولا يفتي أن التزييع والإطراب المذكورين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا فلذلك أقت الصلاة بهما ويحتمل أنه أراد بذلك التأييد فكأنه قال دائماً وأبداً وإما خص البان والعيس لأنهما من مألوفات الأحبة وتخصيص ربح الصبا أظهر من ذلك لأنها تصبو إلى باب الكعبة التي هي أعظم مكان في البلد الذي هو مسقط رأس حبيب صلى الله عليه وسلم ويقال بعضهم يحتمل أنه أشار بالعذبات إلى عذبة النبي صلى الله عليه وسلم تحايلها بتأجيله صلى الله عليه وسلم عند سماعه المدح وأشار بالبان إلى ذاته الشريفة لطيب رائحتها كطيب رائحة البان بل أعظم وأشار بالعيس إلى أمته لطرهم عند سماع المدح كطرب العيس عند سماع صوت الحادى وأشار بالنغم إلى المدح . وحاصل المعنى في هذا ما تمايلت عذبة النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع المدح وأطرب المادح أمته بمدحه صلى الله عليه وسلم وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام وتسمى حسن التقطع وحسن الخاتمة وهي في الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه لأنه آخر ما يلقى في الإجماع وربما حفظ دون غيره لقرب المهد به ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يصرح عليها أحد من الشارحين لكن لا بأس بها وهي :

ثم الرضى عن أبي بكر وعن عمر	وعن علي وعن عثمان ذى الكرم
والآل والصحاب ثم التابعين فهم	أهل التقى والنقا والحلم والكرم
يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا	واغفر لنا ماضى يا واسع الكرم
واغفر الهى لكل المسلمين بما	يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم
بجاه من يئته في طيبة حرم	واسمه قسم من أعظم القسم
وهذه بردة المختار قد ختمت	والحمد لله في يده وفي ختم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة	فرج بها كربنا يا واسع الكرم

فرج الله الكرب عنا وعن سائر المسلمين بجاه سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

وكان القراع من جمع هذه الحاشية المباركة في يوم الاثنين المبارك من أيام شهر شوال من شهور سنة ألف ومائتين وتسعة وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية والحمد لله رب العالمين

والعين المعجمة متعلق بالطرب والباء للاستعانة .

[ومعنى البيتين] يامن هو الرب اللطيف بعباده أسألك أن تأمر لسحب الصلوات والتسليمات الدائمات على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم التي جمعت فيه بين المكارم والخيرات بمذاخيرها ، وجعلته حائز الفضائل بحكبيرها وصغيرها ، مادامت الصبا تميل أغصان البان ، وما دام الحادى يطرب العيس بالنغم والألحان ، ويذكرها المهد بالحلى والأوطان ، فإنك أمرتنا بالصلاة والسلام عليه قديماً ، فقلت إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الدين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

القصيدة المضرية

للشيخ البوصيري في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

يا رب صل على المختار من مضر
وصل رب على المهدي وشيخه
وجاهدوا معه في الله واجتهدوا
وبينوا القرض والمنون واختصموا
أزكى صلاة وأعمالها وأشرفها
معبودة يهبوق المسك ذاكية
عد الحصى والثرى والرمل يتبعها
وعد وزن مثاقيل الجبال كما
وعد ماحوت الأشجار من ورق
والوخش والطير والأسمك مع نهم
والدر والفيل مع جمع الحبوب كذا
وما أحاط به العلم المحيط وما
وعد نعمائك اللان مننت بها
وعد مقداره السامي الذي شرفت
وعد ما كان في الأكوان يأسدى
في كل طرفة عين يطفون بها
ملء السموات والأرضين مع جبل
ما أعدم الله موجودا وأوجد له
تشرق العد مع جمع الدهور كما
لا غاية وانتهاء يا عظيم لها
وعد أضعاف ما قد مر من عدد
كما تحب وترضى سيدي وكما
مع السلام كما قد مر من عدد
وكل ذلك مضروب بحقك في
يارب واغفر لقاربها وسامها
يارب أعظم لنا أجرا ومغفرة
ووالدينا وأهلينا وجيرتنا
والطف بنا ربنا في شكل نازلة
بالمصطفى المحتب خير الأنام ومن
صلى وسلم ربي دائما أبدا
والآل والصحب والأتباع قاطبة

والأنبيا وجميع الرسل ما ذكروا
وصحبه من لطى الدين قد نشروا
وهاجروا وله آووا وقد نصروا
الله واعتصموا بالله وانصروا
يعطر الكون منها نشرها العطر
من طيبها أريج الرضوان ينتشر
نجم السما ونبات الأرض والدر
يليه قطر جميع الماء والمطر
وكل حرف غدا يتلى ويستطر
يلهم الجن والأسمك والبشر
والشعر والصوف والأرياش والوبر
جري به القلم المأمور والقدر
على الخلائق مذ كانوا ومذ حشروا
به النبيون والأسمك وانفخروا
وما يكون إلى أن تبث الصور
أهل السموات والأرضين أوبدروا
والفرش والعرش والكرسي وما حشروا
دوما صلاة دواما ليس تنحصر
تخط بالحد لا تبقى ولا تدر
ولا لها أمد يقضى فيعتبر
مع ضعف أضعافه يامن له القدر
أمرتنا أن نصلى أنت مقتدر
رب وضاعفهما والفضل منتشر
أنفاس خلقك إن قلوا وإن كثروا
والسلمين جميعا أينما حضروا
فإن جودك بحر ليس ينحصر
وكلنا سيدي للعفو نفتقر
نطقا عيما به الأهوال تنحصر
جلالة نزلت في مدحه السور
عليه أضعاف ما قد مر ينتشر
واختم بخير لنا إذ ينتهي العمر

تم الكتاب والحمد لله

